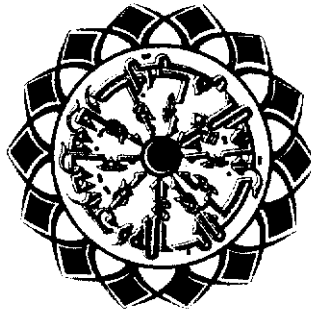


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سِرُّ الْقَلْبَيْنِ

مجلة إرشاد أمية جامعة

العدد الخامس والعشرون . السنة السابعة . مجلد الحزب - ربيع الأول ١٤١٩ هـ - ق. ١٩٩٨ م.

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي
* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم . ص . ب : (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هاتف : ٧٤٠٢٩٤ فاكس : ٧٣٥١٧٩

رسالة الثقلين

مقالة اسلامية باهية

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنة الرسول الشريفة وخط أهل البيت الاطهار عليهم السلام.
- تستقبل نتائج العلماء والمفكرين والكتّاب الاسلاميين التي تصب في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلامية وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم.
- الآراء الواردة في الموضوعات لا تعتبر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
- يُرجى ممن يرفد المجلة بمنتجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لا تعاد نشرت أم لم تنشر.

مقويات العدد

□ كلمة التحرير

- * العولمة جولة استكبارية جديدة «الجدور والحقيقة» بقلم رئيس التحرير ٤

□ من أخلاق القيادة الإسلامية

- * البعد المعنوي في شخصية الإمام الحسين (ع) ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظلّه) ١٤

□ دراسات

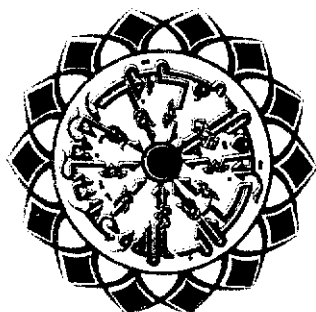
- * نظام العبادات في مدرسة أهل البيت (ع) (١) السيد محمد باقر الحكيم ٢٤
- * تركية النفس من منظور الثقلين (٦) السيد كاظم الحائري ١٠٨
- * حياة الأئمة بين أبحاث العقيدة ودراسات السيرة (٢) عز الدين سليم (العراق) ١٢٦
- * المدخل إلى النظام الاجتماعي الإسلامي (١) السيد منذر الحكيم ٧٠
- * أزمة الحضارة وقراءة في حلول الأطروحة الحسينية السيد محمد علي الحلو (العراق) ١٤٧

□ من صفات مدرسة أهل البيت (ع)

- * نظرة في مباني ولاية الفقيه (٢) الشيخ عبد الله الجوادى الآملى ٥١
- ترجمة: عباس الاسدي

□ شهادات

- * المرأة في الجاهلية والاسلام (٢) الشيخ محمد هادي اليوسفي ٩٢



المجمع العالمي لأهل البيت

الشيعة الإمامية

الشيعة

محمد علي بن الحسين

رئيس المؤتمر

الشيعة

قوله عليه السلام في الحديث

العبد كالحمار مسرور والعشرون

السنّة السابعة.

حجة المرأة - ربيع الأول

١٤١٩ م - ١٩٩٨ م

□ فنون وأدب

- * قصيدة: الأمانى حسرة وعناء الشريف الرضي ٦٥
- * قصيدة: الإمام الحسين (ع) السيد محمد جمال الهاشمي ١٦٤
- * قصيدة: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته الفرزدق ١٤٣
- * خاطرة: ختامه مسك مصطفى حسن (العراق) ١٢١

□ توقيعات

- * عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر
- الشيخ عبد المحسن العباد (الحجاز) ١٦٨

□ تقرير وتعليق

- * قرارات وتوصيات الدورة الثانية لمجمع الفقه الدولي في جدة
- التحرير ١٩٨

□ أهل البيت (ع) في روايات الصفاة

- * روايات حبر الأمة ابن عباس (٢)
- اعداد: صادق السوداني ٢٠٨

□ من غرر مكم أهل البيت (ع)

- * فخر المرء بفضل لا بأصله
- اعداد: عبد القادر فرج الله ٢١٦

□ من أنبا الضري

- * أنباء وتقارير..... ٢٢٠

□ مع صراة النضال

- * رسائل القراء ٢٥٨


العولمة

جولة استكبارية جديدة

«المجدور والحقيقتي»

كلمة التحرير

✻ بقلم رئيس التحرير

تداولت مؤخراً أجهزة الإعلام العالمية والإقليمية ،  ومؤسسات الدراسات الإستراتيجية ، دراسة وتحليل مسألة يبدو وكأنها جديدة في مفهومها وأبعادها ، وهي ما اصطلح عليها بـ «العولمة» ، وبدا على هذه الدراسات والاستعراضات والتحليلات أنها أمام حدث عالمي مرتقب ، تسير مقدماته بقوة واقتدار لا تلبث أن تخضع كل شيء يقع في طريق حركتها ، ليتحقق ذلك الحدث واقعاً حتمياً يحكم العالم ويصهره في بوتقته . ولم يكن لنا بدّ من وقفة تأمل فاحصة في كل هذا التنظير ، وما يرافقه من ردود فعل متفاوتة بين السلب والتحدي ، أو الايجاب والتسليم ، وبينهما درجات كل واحدة منها نجدها مليئة بالتقويم ، والتقارير للمبررات والعوامل الفاعلة في دعوى كل طرف من الأطراف . وفي سياق وقفة التأمل الفاحصة هذه علينا أن نعرف منشأ وجذور ما يسمى بالعولمة ؟ وما المقصود الحقيقي منها ؟

لو تتبعنا الجذور والإرهاصات في حركة التطور للمنظومات العالمية الكبرى ، لوجدنا أن هناك مراحل مرّ بها العالم الحديث ، لا بد

لنا من الإشارة إليها لتكون ضوءاً كاشفاً لنا عن حقيقة المصدر وطبيعة الجذور ، ويمكن تلخيصها بثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى : وتمثلها حركة الغرب لاستعمار الشرق ، وحذف هويته واستقلاله ، وصهره في دائرة ما سمي بالنهضة الصناعية والمبادئ العلمانية العصرية ، التي تحذف دور الدين كأطروحة ونظام لبناء الحياة الاجتماعية سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، على صعيد هوية واستقلال الشعوب والأمم ، وعلى صعيد تأسيس الدول وبناء الأنظمة والحكومات .

وعلى هذا الأساس نشأت مجموعات دول الكومنولث ، وتأسست دول الانتداب وأمثالها بعد الاستعمار العسكري المباشر لتلك البلدان ، وبذلك خضعت أغلب دول آسيا وإفريقيا وأستراليا وجنوب أميركا لهذه الأنظمة ، وكادت تتحقق إحدى صيغ الإمبراطوريات العالمية الكبرى (كالإمبراطورية البريطانية والإمبراطورية الروسية وأمثالهما) إلا أن الحرب العالمية الأولى ، وبعدها الحرب العالمية الثانية ، أوقفت مسيرة هذه الحركة ، رغم أن الأخيرة منهما كانت تتحرك تحت نفس الشعار ، وبطريقة عنصرية صارخة هي القول بتفوق العرق الجرمانى ، وضرورة هيمنته على العالم وصهره في إرادته ، وهكذا انتهت المرحلة الأولى بالفشل ، ودخل العالم في مرحلة ما سمي بالحرب الباردة بين معسكرين متقابلين ، هما المعسكر الإشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي ، والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، واستمر هذان المعسكران يتحكما سنوات طويلة بعد الحرب العالمية الثانية في سوق دول العالم لمحوريهما ، ولم ينج منهما حتى ما انتظم من الدول فيما سمي بمنظمة دول عدم الانحياز ، حيث مارست قوى النفوذ الخفية لكلا المعسكرين دورها الفاعل للتأثير على دول هذه المنظمة ، وتحويلها إلى الانحياز لهذا

المعسكر أو ذلك .

المرحلة الثانية : وهي التي أعقبت انهيار منظومة المعسكر الإشتراكي ، وانحلال الاتحاد السوفياتي ، وفيها أعلنت الولايات المتحدة الأميركية انتهاء عصر الحرب الباردة ، وبداية عصر النظام العالمي الجديد ، وهو تعبير خادع أرادت منه أميركا أن تضفي على الواقع العالمي الجديد ، الذي حصل بعد انهيار المعسكر الاشتراكي ، عنواناً سياسياً براقاً ، تكمن فيه رغبتها في تطبيق نظام القطب العالمي الواحد ، المتمثل بقوتها المادية الكبرى في جميع جوانب التقنية العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية الحديثة ، والهيمنة على العالم من خلال ذلك ، ولهذا شرعت بعقد تحالفات مرحلية مع مجموعة من الدول الأوروبية لإعادة تنظيم الخريطة السياسية والاقتصادية للعالم ، شملت احتواء البلدان المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفياتي المنهار ، وكذلك دول حلف وارشو السابق ، ووضع استراتيجية جديدة لتقوية الوجود السياسي والعسكري والاقتصادي لإسرائيل ، وإزالة كافة العقبات الإقليمية والدولية التي تقف في طريق تحقيق هذا الهدف ، من خلال مشروع التسوية الاستسلامي الجديد ، كما حاولت اختراق صمود الجمهورية الإسلامية في إيران ، التي بقيت إلى يومنا هذا مستعصية على الاحتواء الاستكباري ، والتركيع للإرادة الأميركية وسياساتها الاستكبارية ، ومؤامراتها المتوالية عبر حلفائها من دول أوربا أو الدول الإقليمية .

المرحلة الثالثة : وهي المرحلة التي نعيش إرهاباتها ، وقد تمخضت معالم هذه المرحلة عن حرب الخليج الفارسي الثانية ، إذ بدأت بعض دول أوربا الغربية ، بالتحالف مع روسيا ، بالتحرك لمواجهة سياسة القطب العالمي الواحد ، التي تنتهجها الولايات المتحدة الاميركية ، واستطاعت هذه الحركة أن تدفع كبرى الدول

الآسيوية المسماة بالنمور الآسيوية لانتهاج سياسة أكثر استقلالاً ، خصوصاً من الناحية الاقتصادية والثقافية ، وقد شجعها لانتهاج هذه السياسة النجاح الكبير الذي حققته الجمهورية الإسلامية في إيران ، على صعيد بناء قدراتها الذاتية المستقلة ، والظهور بمظهر القوة الآسيوية والشرق أوسطية في مختلف الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية .

وهنا تفتق العقل الأميركي عن مقولة العولمة وكأنها اكتشاف جديد ، وأطلقها على طريقة الفلاسفة في سوق الحتميات كنظام حتمي يتجه نحوه العالم ، مدعياً أن التحولات التقنية الهائلة هي التي تسير بهذا العالم بسرعة نحو التواصل والتقارب الشديد ، حتى يكاد يصبح كالمدينة الواحدة في سرعة تواصل دوله وتفاعل مجتمعاته . وبدأ المفكرون الأمريكيون ومن يدور في فلكهم ينظرون لهذه العولمة في المجال الاقتصادي ، باعتباره محور القوة الأول ، وأساس النظرية الغربية في بناء المجتمعات الانسانية والأنظمة السياسية . وهكذا بدأت الجولة الجديدة للاستكبار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية للتحكم في العالم ، واحتواء دوله وشعوبه تحت شعار العولمة البراق ، وماهو في الحقيقة إلا جولة جديدة للرأسمالية الغربية ، انتهزت فيها فرصة خلو الساحة الدولية من قوة التوازن المضادة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، وعليه يصح لنا أن نطلق على هذه العولمة بطريقتها الأمريكية «العولمة الرأسمالية» .

ولإنجاح هذه الجولة الجديدة للاستكبار ، عمدت الولايات المتحدة الأمريكية ومن تبقى من حلفائها ، إلى اتخاذ إجراءات واسعة على كافة الأصعدة ، وخصوصاً السياسية والعسكرية والاقتصادية منها ؛ وذلك لتهيئة الأرضية العملية لهذه الجولة ، وإحكام العوامل الضاغطة على دول العالم ومناطقه الحساسة ؛ لمنع أي انفلات أو جنوح عن

الدائرة الحمراء للخطة المرسومة لها . ومن أبرز هذه الإجراءات والعوامل هي :

١ - تجاوز السياسة الأميركية لمناطق نفوذها التقليدية ، لتشمل كافة مناطق العالم شرقاً وغرباً وجنوباً ، حتى تلك التي تخضع عادةً لنفوذ دول الحلفاء الغربيين ، كفرنسا وأنكلترا وأمثالهما .

٢ - أعادت الولايات المتحدة الأميركية تنظيم بل زيادة كم وكيف قواعدها العسكرية في أنحاء العالم ، خصوصاً في منطقة الشرق الأوسط والمناطق المحيطة بها ، ولا سيما منطقة الخليج الفارسي الحساسة التي تمتلك أكبر خزين للطاقة الإستراتيجية في العالم .

٣ - تمكين الحركة الصهيونية العالمية ربيبة الاستكبار الأميركي ، من الامتداد والهيمنة على مواقع القرار الكبرى في أغلب الدول الأوروبية ، الأمر الذي سيساعد على سوق هذه الدول للخضوع لمبدأ القطب الواحد ، المتمثل بالولايات المتحدة الأميركية ؛ باعتبارها المكنم المركزي للحركة الصهيونية ، والانصياع لسياستها العالمية . ومن يتتبع واقع الدول الأوروبية اليوم ، يجد هذا واضحاً لا يحتاج إلى تسطير للأرقام أو مزيد بيان .

٤ - إطلاق يد النظام الإسرائيلي ، ومضاعفة دعمه عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ؛ ليمارس دور العصا الغليظة التي يلوح بها لدول الشرق الأوسط ، كلما أرادت أن تعبر فيما بينها عن موقف إقليمي موحد ، أو تعلن عن سياسة مبدئية مشتركة ؛ وبذلك تحقق أحد العوامل الأساسية لإضعاف مقومات الاستقلال في الهوية والموقف المبدئي لهذه الدول ، وبالتالي صهرها في بوتقة الاستكبار العالمي وسياسته نحو العولمة الرأسمالية .

٥ - العمل على ترويض الإرادة الدولية وإخضاعها للإدارة الأميركية في حركتها الاقتصادية ؛ للتحكم بخط سير العولمة ،

وتكريسها في إطار الرأسمالية الأميركية .

وقد سلكت الولايات المتحدة الأميركية مسارين لتحقيق هذا

الهدف :

المسار الأول : تشريع قوانين بقرار أميركي منفرد ، وتحمله على المنظومة الاقتصادية الدولية ؛ لمنعها من الخروج على الإرادة الأميركية في السيطرة على العمليات الاقتصادية الإستراتيجية ، وقد تسّرت كخطوة أولى بستار محاصرة الدول المتمرّدة على الإرادة الدولية ، بعد أن اختلقت صورته وضخمته إعلامياً ، ليكون مبرراً ومقبولاً على الصعيد العالمي ؛ وكانت أبرز الدول التي نالتّها إجراءات هذا المسار هي الجمهورية الاسلامية الايرانية ، من خلال ما سمي بقانون دامتو ، الذي يحظر على أية دولة في العالم تجاوز سقف محدود لاستثماراتها في المشاريع النفطية الايرانية ، ومن الدول التي نالتّها هذه الاجراءات أيضاً كوبا من خلال قانون بيرتون وليبيا ومن بعد العراق ، كلّ بصيغتها المفتعلة الخاصة بها .

المسار الثاني : استثمار المؤسسات والقدرات الاقتصادية الأميركية ، أو التي لأمركا نفوذ مباشر فيها ؛ لدعم سياستها الخاصة في العولمة الرأسمالية ، فأخضعت العديد من الدول ، ومنها بعض الدول الصناعية والاقتصادية الكبيرة كاليابان والصين ، للانسجام أو الاقتراب من سياستها المرسومة في التحكم بالاقتصاد العالمي ؛ وتحركت لضرب أية قوة اقتصادية نامية تخرج عن إطار سياستها هذه ، كالذي فعلته مع مجموعة دول شرق آسيا المسماة بالنمور الآسيوية ، فقد استطاعت ، من خلال كارتلاتها المالية ، أن تُحدث سقوطاً كبيراً في قيمة العملات الوطنية لهذه الدول ، ومن ثم إسقاط اقتصادها ليطلب الرحمة من المؤسسات المالية الخاضعة للنفوذ الأميركي أو المرتبطة بها ، كصندوق النقد الدولي وبنك التنمية الدولية

وأمثالهما ، التي لا تقدم العون عادةً إلا بشروط أصحابها الأميركيين . ولم يقف العقل الأمريكي ، وبالأحرى السياسة الأميركية ، القائلة بالعوامة عند الحد الاقتصادي للسيطرة على الاقتصاد العالمي ، ومنع أية حركة اقتصادية كبرى مستقلة عنه ، بل راحت تدّعي أن العوامة شاملة شمول حركة الانسان والمجتمعات لجميع جوانب الحياة ؛ فهناك عوامة أمنية ، أي أن الأمن العالمي واحد ، وليس في عَرَضه أمنيات ذاتية مستقلة لأي شعب أو أمة أو دولة ، بل لابد أن يكون أمن كل واحدة منها في طول الأمن العالمي المحكوم للأمن القومي الأمريكي ، فالذي يحمي أمن الدول والشعوب ليس ذات الدول والشعوب ، بل إن الولايات المتحدة الأميركية وحلفاءها هم المسؤولون عن ذلك ، ولهم وحدهم الحق في قمع حرب قد تستعر بين دولة وأخرى ، أو يسعروا حرباً لقمع دولة في نزاع مع أخرى ، وهذا يعني تحول دول العالم إلى قواعد عسكرية تابعة للولايات المتحدة الأميركية وحلفائها ؛ وعلامات ذلك مشهودة اليوم في مسيرة السياسة الأميركية وحلفائها في انشاء القواعد العسكرية ، وتوسعتها وتطويرها كما وكيفاً في مختلف أنحاء العالم .

وهكذا قالوا عن العوامة الثقافية ، فلا ثقافة اسلامية أو وطنية أو قومية ، بل يجب أن يسير العالم بشعوبه وأمه ودوله بفعل أساليب ووسائل الاتصال الحديثة ، نحو عوامة ثقافية واحدة ، تُلغى فيها جميع الهويات الثقافية الذاتية . وإذا كانت رائدة وقائدة هذه العوامة هي الولايات المتحدة الأميركية وحلفاءها ، فالثقافة الحاكمة ستكون هي الرأسمالية ، ومنهجها المادي المنزوع من كل القيم والأخلاق إلا قيمة المنفعة المادية الضيقة .

وإذا كان من المتسالم عليه أن للشعوب والأمم ، وخصوصاً لشعوب الأمة الاسلامية ، هوية ذاتية مضادة ، وإرادة ناهضة

معارضة لذلك ، وصحوة رائدة تَوَاقَة نحو الاستقلال والحرية وتقرير المصير ، فإن صراعاً مريراً سيقع بينها وبين الاستكبار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية في جولاته الجديدة ، وإن ظلماً وفساداً كبيراً سينالان هذه الشعوب والأمم ، لو قُدِّر لهذه الجولة نجاحاً لا سمح الله ، فما هو السبيل للصمود أمامها ، بل إحباطها كما أُحبطت نظائرها من الجولات السابقة ؟

إن التجارب التاريخية الرائدة للأمم الحية ، وفي مقدمتها الأمة الإسلامية المجيدة ، ومن خلال لحاظ طبيعة السنن الاجتماعية الحاكمة في حركة الانسانية ، يستلهم منها الأحرار بعقولهم السليمة جملة مبادئ ومفردات لمنهج عمل ، يمكن للمجتمعات والدول التَوَاقَة للحرية والاستقلال ، وبناء الذات أن تُحبط عن طريقها هذه الجولة الاستكبارية الجديدة وتنجو بنفسها ، بل تساهم في خلق أرضية صالحة لعولمة سليمة تقوم على المبادئ الانسانية الحقّة .

ولعل من أهم تلك المبادئ والمفردات هي :

١ - التعامل مع حركة العولمة المعلنة بخطوات حذرة ومدروسة من موقع الاقتدار والاستقلال ، وإن أدّى ذلك إلى التضحية ببعض المكتسبات الآتية .

٢ - العمل على توحيد العالم الاسلامي على أساس الاسلام كهوية ، خصوصاً في المشتركات الأساسية ، أو قل عولمة العالم الاسلامي أولاً إن صح التعبير ، ليتكون الرقم الصعب في معادلات الجولة الاستكبارية الجديدة .

٣ - يجب ألا نسمح أن تكون العولمة المطروحة علينا ، سبيلاً لاعتبار العامل المادي والاقتصادي هو الأساس في بناء الانسان والمجتمعات العالمية ، بل لابد أن نكافح من أجل أن تكون العولمة ، بما هي عولمة طبيعية ، وسيلة لبناء انسان المبادئ والمثل العليا ،

وبناء مجتمعات الفضيلة والكمال .

٤ - العمل على توحيد القوى الإقليمية في العالم الثالث ؛ لتحقيق أعلى صور التعاون والاكتفاء الذاتي في مجالات التكنولوجيا الصناعية والتقنية الاقتصادية الحديثة .

٥ - العمل على مواجهة حركة إخضاع العالم للقطب الواحد ، ودعم مشروع الأقطاب المتعددة كمرحلة أولى لبناء عالم متوازن ، قائم على أساس التعاون والتبادل في إطار المصالح الانسانية المشتركة بين شعوبه وأممه .

٦ - امتلاك زمام المبادرة والقدرة والقرار في حق التصرف بثروات العالم الثالث ، وخصوصاً ثروات العالم الاسلامي الفريدة التي تفتقر إليها الدول الكبرى في حركتها الاقتصادية ، وفي مقدمتها مصادر الطاقة الكبرى كالنفط وأمثاله ، وذلك من خلال إنشاء وتقوية المنظمات التي تُعنى بذلك ، ومنع قوى النفوذ الاستكبارية على مقررات الدول الأعضاء فيها ، كمنظمة الأوبك ومجموعة دول بحر الخزر وأمثالها .

٧ - الكفاح المتواصل من أجل تثبيت مبدأ المصالح المتبادلة بين كافة الدول والشعوب ، وبكامل الحرية والاستقلال في اتخاذ القرار والسياسة التي تقومها .

٨ - التأكيد على الهوية الثقافية والاجتماعية في مجالات الإعلام والثقافة والتربية والفنون ، لكل المجتمعات والشعوب المستضعفة في العالم ، وخصوصاً الاسلامية منها ، والانفتاح على الآخرين في إطار مبدأ الحوار الحضاري بعيداً عن روح الهيمنة والتحميل والقهر .

٩ - التأكيد على مبدأ الاستقلال السياسي وحق تقرير المصير للشعوب والأمم ، ورفض كل صور التدخل الاستكباري في شؤون تلك الشعوب والأمم ، والتزام سياسة الاحترام المتبادل في العلاقات

الخارجية معها .

١٠ - طرح القدوة الميدانية الرائدة في الساحة الدولية ، والنموذج المبدئي الفريد المتمثل بالثورة الاسلامية ونظامها الاسلامي المقتدر في ايران ، في استقلالها الحقيقي وحريتها وعزتها وبنائها لذاتها ، ورفضها لكل صور الاستكبار مهما كانت التحديات والتضحيات ؛ وذلك لتخرج الشعوب والأمم والدول الأخرى بشجاعة وإقدام من دائرة الخوف والخنوع إلى ميدان المواجهة والتحدي لإجهاض هذه الجولة الاستكبارية ودحرها عن ديارها .

هذه هي خلاصة القول في المسألة الأولى «جذور العولمة وحقيقتها» .

أما المسألة الثانية من هذه العولمة بثوبها الجديد ، وهي مقولة «إنها مصير محتوم» ، فهذا ما سنتناوله بالبسط والنقد والتقويم في كلمة العدد القادم إن شاء الله .

والحمد لله رب العالمين

* * *

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

مَا أُعْطِيَ أُمَّةٌ
مِّنَ الْيَقِينِ
أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ أُمَّتِي

كنز العمال : ٢ / ٣٤٤٨٣

بَعْدَ مَعْنَوِي وَشَخْصِيَّة

عليه السلام

الْإمامُ الْحُسَيْنُ

من آفاق
القيادة الإسلامية

❁ ولي أمر المسلمين
آية الله العظمى
السيد القاملي «دام ظلّه»

من خطاب ألقاه ولي أمر المسلمين ، وقائد الثورة الإسلامية سماحة
آية الله العظمى السيد علي الخامنئي «مد ظله» ، بمناسبة ذكرى ولادة أبي
عبد الله الحـ :ين ﷺ ، وذلك بتاريخ ٣ / شعبان / ١٤١٨ هـ . ق .

إن لشخصيه الامام الحسين ﷺ الألمعية الباهرة بعدان :
بُعد الجهاد والشهادة والاعصار الذي أحدثه على مدى
التاريخ ، وسيبقى هذا الاعصار - بما يتسم به من بركات - مدوياً على
مدى الدهر ، وأنتم مطلعون على هذا البعد الأول . أما البُعد الآخر فهو
بُعد معنوي وعرفاني ، ويتجلى هذا البُعد في دعاء عرفة بشكل واضح
وعجيب . ولقّما يوجد لدينا دعاء يحمل هذه اللوعة والحرقة والانسياق
المنتظم في التوسل إلى الله والابتهال إليه والفناء فيه . إنه حقاً دعاء
عظيم .

ثمة دعاء آخر ليوم عرفة ورد في الصحيفة السجادية عن نجل
هذا الامام العظيم . كنت في وقت أقارن بين هذين الدعائين ، فكنت أقرأ
أولاً دعاء الامام الحسين ﷺ ، وأقرأ من بعده الدعاء الوارد في

الصحيفة السجادية ، وقد تبادر إلى ذهني مرات عديدة أن دعاء الامام السجاد عليه السلام يبدو وكأنه شرح لدعاء يوم عرفة ؛ فالأول - أي دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة - هو المتن ، والثاني شرح له ، وذلك أصل ، وهذا فرع . دعاء عرفة دعاء مذهل حقاً . وفي خطابه عليه السلام الذي ألقاه على مسامع أكابر شخصيات عصره ، وأكابر المسلمين التابعين في منى ، تجدون نفس تلك النغمة وذلك النفس الحسيني المشهود في دعاء عرفة . ويبدو أن خطابه ذلك كان في تلك السنة الأخيرة ، أو ربّما في سنة أخرى غيرها ، لا استحضر ذلك حالياً في ذهني لكنه مسطور في كتب التاريخ والحديث .

إذا نظرنا إلى واقعة عاشوراء وأحداث كربلاء ، مع أنها ساحة قتال وسيف وقتل ، نرى الحسين عليه السلام يتكلم ويتعامل بلسان الحبّ والرضا والعرفان مع الله تعالى ، وفي آخر المعركة حيث وضع خذّه المبارك على تراب كربلاء اللاهبة نراه يقول : «إلهي رضا بقضائك وتسليماً لأمرك» ، وكذا حين خروجه من مكة يقول : «كان باذلاً فينا مهجته ، وموطئاً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا» .

لقد اقترن خروجه ذاك بالتوسل والمناجاة وأمنية لقاء الله ، وبدأ بذلك الاندفاع المعنوي المشهور في دعاء عرفة ، إلى أن انتهى به المطاف في اللحظة الأخيرة ، إلى حفرة المنحر حيث قال : «رضاً بقضائك» .

معنى هذا أن واقعة عاشوراء تعد بحد ذاتها واقعة عرفانية ، مع أنها امتزجت بالقتال والقتل والشهادة والملحمة ، وملحمة عاشوراء صفحة رائعة بشكل يفوق التصور ، فإذا نظرتم إلى عمق نسيج هذه الواقعة الملحمية ، رأيتم معالم العرفان ، والمعنوية ، والتضرع ، وجوهريّة دعاء عرفة .

إذن فهذا هو البعد الآخر في شخصية الامام الحسين عليه السلام ، وهو

ما ينبغي أن يكون موضع اهتمام إلى جانب البعد الأول المتمثل بالجهد والشهادة .

القضية التي أروم الإشارة إليها هي أنه يمكن القول قطعاً إن معالم الاندفاع المعنوي ، والعرفان ، والابتهاال إلى الله ، والفناء فيه ، وعدم رؤية الذات أمام إرادته المقدسة ، هي التي أضفت على واقعة كربلاء هذا الجلال والعظمة والخلود ، أو بعبارة أخرى إن البُعد الأول ، أي بُعد الجهاد والشهادة ، جاء حصيلة ونتاجاً للبُعد الثاني ، أي نفس تلك الروح العرفانية والمعنوية التي يفتقر إليها الكثير من المؤمنين ممن يجاهدون وينالون الشهادة بكل ما لها من كرامة . نفس تلك الروح العرفانية والمعنوية تجدها في شهادة أخرى نابعة من روح الايمان ، ومنبثقة من قلب يتحرق شوقاً ، وصادرة عن روح متلهفة للقاء الله ، ومستغرقة في ذات الله . هذا اللون الآخر من المجاهدة له طعم آخر ، ويفضي أثراً آخر على التكوين .

نحن شهدنا في فترة الحرب نفحات من تلك النسمة المقدسة ، ولم يكن ما سمعتموه من تأكيدات سماحة الامام عليه السلام على قراءة وصايا الشهداء ، تأكيدات صرفة لا يبتغي شيئاً وراءها - حسب ظني - ، فهو نفسه كان قد قرأ تلك الوصايا ، وأثرت في قلبه المبارك تلك الجمرات المتلظىة ، فرغب في ألا يحرم الآخرون من هذه الفائدة . كما أنني - والحمد لله - كنت طوال فترة الحرب وما بعدها حتى يومنا هذا أستأنس بقراءة هذه الوصايا ؛ ولاحظت كيف أن بعضها نابع من أعماق روح العرفان .

فالمرحلة التي يبلغها العارف والسالك على مدى ثلاثين أو أربعين سنة ؛ يتعبد ويرتاض ، ويواصل الدراسة على يد الاساتذة ، ويكثر من البكاء والتضرع ، ويكابد المشاق لأجلها ، يستطيع أن ينالها شاب في مدة عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً ، أو عشرين يوماً في

الجبهة ، أي منذ اللحظة التي يتوجه فيها ذلك الشاب إلى الجبهة ، بأي دافع كان ، مع وجود الدافع الديني الممتزج بحماس الشباب ، ثم يتحول ذلك الاندفاع لديه بالتدريج إلى عزم على التضحية والجود بكل وجوده ، وهو من تلك اللحظات حتى لحظة استشهاده يزداد تحمساً وشوقاً ، ويصبح سيره أسرع وقربه أدنى ، إلى أن تأتي الأيام الأخيرة ، وتحل الساعات واللحظات الأخيرة ، فإن يكن قد بقي منه شيء حينذاك ، فهو كجمرة تتلظى ، تلسع قلوب من يقرأون تلك الوصايا .

يلاحظ المرء بكل وضوح في ذكريات من استشهدوا نفحة فؤاحة من نفس تلك الروح الحسينية . إذن فلحادثة كربلاء سند معنوي متين . هذا الاعصار الخالد على مدى التاريخ - وكانت قصور الظلم تخشاه على الدوام وتتقهقر أمامه - متى ما أطل عبر مختلف الحقب التاريخية ، يأت بفعل شبيه بفعل ذلك اليوم ، كما هو الحال في ثورتنا . وهذه الواقعة الكبرى التي كان أثرها ملموساً في كل برهة زمنية على مدى التاريخ ، قضت على الكثير من سلالات الجور ، وأكسبت الكثير من الناس الضعفاء العزة والمنعة ، ونفخت العزم في قلوب الكثير من الشعوب المقهورة ، وجهزت الكثير من الناس بسلاح الصمود في سبيل الله .

وفي عصرنا أيضاً استطاعت هذه الواقعة ، ومن خلال دراية إمامنا الكبير ، أن تهب في مجتمعنا فجأة - قبل انتصار الثورة - كهبة الاعصار الأول . وإنما يُعزى هذا إلى الدعاء ، وذكر الله ، والابتهاال إليه ، والارتباط به . وقد كان الإمام (عليه السلام) من أهل هذا النهج ، كان من أهل الذكر والخشوع والدعاء ، وسر تألقه يكمن في هذا المجال ، وتأثيره في النفوس لابد أن يكون هذا منشأه في الأغلب .

وما يجب على كل من يرى في عنقه مسؤولية إزاء أمانة الاسلام ،

وأمانة الثورة ، في حياة الانسان الحاضرة والمستقبلية ، ويرى لقيم الاسلام دوراً وأهمية ، أن يعلم أن القضية لم تقف عند الحد الذي انتهت عنده الحرب ، وأن المساعي لم تبلغ نهايتها بعد مرور عقد أو عقدين على انتصار الثورة . وسبب ذلك واضح ، وهو أن العداء لهذه الحركة - حركة الصلاح والفلاح - لم يتوقف ، ولم تنته العناصر المعارضة .

ذوو التدبير من الأعداء لا خصومة - مع شخص ، ومعنى هذا أن الجبهة المعادية قد تعلمت أنه متى ما عجزت عن مجابهة حركة عظمى ، كالثورة الاسلامية ، ونفذت طاقتها دون المجابهة وجهاً لوجه ، فعليها أن تنسحب على وجه السرعة ، وتتوارى خلف خندق المواجهة ريثما تواتيها الفرصة ؛ وقد مارست هذه اللعبة تقريباً مع جميع الثورات التي وقعت في القرن العشرين .

تعلمون أن القرن العشرين كان قرن الثورات والانتفاضات الشعبية ، التي اندلعت على أساس المثل والتطلعات والأفكار الحديثة ؛ حيث افتتحت العقود الاولى من هذا القرن بالثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، واستمر الوضع على هذا المنوال بالنسبة للحركات اليسارية ، وأيضاً الحركات اليسارية التي لم تنضو تحت المنهج الماركسي تماماً ، إلا أنها تحمل رؤية مسبقة على كل حال ، إلى أن وقعت ثورتنا ، وتلتها أيضاً ثورات أخرى .

لقد سلكوا هذا النهج مع عشرات الثورات التي اندلعت في مختلف بقاع العالم ، فأطاحوا بالحكومات عسكرياً ، وقامت على انقاضها حكومات وأجهزة ومؤسسات ؛ ومعنى هذا أنهم متى ما وجدوا في أنفسهم القدرة ، كانوا يدخلون الميدان ويقمعون تلك الثورات منذ بدايتها ؛ إذ إن بعضها لم يكن منذ البداية قادراً على الصمود ، وانتهى بها الأمر إلى الهزيمة والاندحار .

أما تلك الثورات التي وجدوا أنفسهم عاجزين عن مجابقتها؛ فإضافة إلى أنهم لم يتركوا مضايقتها، والتهمج الاعلامي، وفرض الحصار الاقتصادي عليها، بغية انهاكها، فقد اتخذوا لهم مكمناً يتربصون منه لكي ينقضوا عليها متى ما شعروا بانهايار قواها، ليسددوا لها الضربة القاضية. ونجحت ضرباتهم في أكثر المواقع، واستطاع الكثير من التيارات المعارضة لتلك الثورات، أن يتحرك - بعد العزلة والانحدار - ويمسك بزمام الأمور، ويسيطر على الأوضاع، ويسير دفة البلاد.

والجبهة المعادية عموماً لا كشخص وفرد، انتهج هذا الطريق مع ايران منذ انتصار الثورة، إلا أنهم لم يجدوا على مدى السنوات الثمانية عشرة التي على هذه الثورة، ثغرة واحدة تبعث الأمل والارتياح في صفوفهم.

كنت قد التقيت في عهد رئاستي للجمهورية بزعيم حركة ثورية - وهو من الساسة المعروفين في العالم - التقيت به في بلده، وكان حينذاك قد جاء بعمل يتنافى مع ادعاءاته الثورية والشعارات التي ينادي بها، فسألته عن المسوغ الذي أباح له القيام بذلك العمل، فضحك وقال: هذا تكتيك، فقلت له: يكون التكتيك مقبولاً فيما إذا لم يؤد إلى تغيير المسير العام كلياً، وأنتم قد غيرتم مسيركم. وهذا هو الذي حصل، إذ تغير مسيرهم وتوجههم بالكامل. كان تبريره أنه يناور ويستخدم التكتيك. أي تكتيك هذا الذي يؤدي بالمرء للخضوع لسيادة عدوه؟ وهل يسمى تكتيكاً ما ينتهي بالانسان إلى التراجع عن كلامه، وتغيير مسيره كلياً؟! وأمثال هذه الظواهر مشهودة في سجلات تلك الثورات، وهي مما يحفز مطامع العدو ويبعث فيه الأمل؛ فيمكن لها بالمرصاد، وكثيراً ما كان ينجح في خطته، كما حصل في كل الحالات تقريباً.

أما بشأن ثورتنا ، فقد كان لوجود الإمام عليه السلام ، بما يتصف به من رؤية وبصيرة وحزم في التمسك بأحكام الله ، واتخاذ حكم الله وحلاله وحرامه ملاكاً في الأمور ، عائقاً يحول دون ظهور أدنى تمايل صوب العدو طوال تلك السنوات العشرة . ومن بعد رحيل الإمام انصبّت الجهود على انتهاج نفس ذلك المسير . ربّما ظهر أحيانا من بعض الأشخاص ما يوحي للعدو بأنه استطاع الحصول على بعض الأنصار ، ولكن سرعان ما ينكشف له أنه وهم باطل . وبفضل الله لم يطرأ حتى الآن على معالم الثورة ما يبعث الأمل في قلب العدو ؛ فما زال العدو كامناً يتربّص ؛ وهذا ما ينبغي أن يدركه الجميع .

إن الشيء الوحيد القادر على سوق الثورة ، والتوجّه العظيم لهذا الشعب على الطريق الذي فيه الصلاح والفلاح ، والعزة ورضا الله وسعادة الدنيا والآخرة ، هو الوعي والاستعداد والاندفاع لحراسة الثورة ؛ وهذا الاندفاع رهين بوجود ذلك الجانب المعنوي . وما تأكّدي على الجوانب المعنوية في لقائي مع الأخوة أعضاء الحرس الثوري ، ومع الشرائع الثورية ، ومع الأخوة والأخوات الذين يضطلعون بمسؤوليات خطيرة في مختلف القطاعات ، إلا لأن هذا التوجه والابتهاال إلى الله والاتصال القلبي به ، كفيل باقتدار ورسوخ القوى التي تريد تحدي ومقاومة تلك الجبهة . ولا طريق آخر سوى هذا .

إذا ضعفت هذه الصلة بالله ، ووقع الانسان صريع نزواته ، وصارت توجهاته محكومة بأهوائه ، تضعف عند ذاك قدرته على مجابهة العدو . الانسان في معرض الاهواء والرغبات ، وليس من اليسير صيانة الانسان نهائياً عنها ، إلا أن المهم هو ألا يسمح للأهواء النفسية والمصالح المادية والرغبات التافهة أن ترسم للانسان مسير حياته ، وتعيّن له النهج الذي يقتنيه ، ويكون لها دور حاسم وقدره

على استبدال السبيل الذي يسلكه .

إنَّ ما من شأنه تقلى الأضرار في هذا المجال هو تلك القضايا المعنوية والأخلاقية ، والدعاء والذكر والتوجه إلى الله ، وتهذيب النفس وبناء الذات وتطهيرها من الرذائل ، وهذا السلوك على قدر كبير من الأهمية . نعم ، ما أكثر من الأشخاص الذي يكثرون من الدعاء والذكر وما شابه هذه الأعمال ، لكنهم لم ينجحوا في استئصال الرذائل والأنانية والكبر والبخل والحرص والحسد والحقد وسوء الظن والكيد لهذا وذاك من نفوسهم ، أو إلغاء تأثيرها على سلوكهم .

وعلى العكس من ذلك تلك الجئة الاخلاقية التي أرادها الاسلام للناس ؛ فالاسلام أراد للناس أن يتراحموا فيما بينهم ، وأن يهتم كل منهم بمصير الآخر ، ويحرص على مصالحه ، وأن يشارك الآخرين في معاناتهم ويسعى في تصحيح أخطائهم ، وأن يدعوا أحدهم للآخر ، وأن يتعاملوا بالمودة والرافة ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ . المحبة بين الأخوة ، وبين الاصدقاء ، وبين الأخوات ، وبين أفراد الأمة الاسلامية ، والارتباط العاطفي ، وحب الخير للآخرين ، صفات فاضلة ونبيلة ، يجب على المرء أن يعمل للاستزادة منها .

إن أقبح ما في الانسان من صفات هو أن يجعل ذاته ومصلحته المادية محوراً ، ويكون مستعداً لتدمير وإيذاء أناس كثيرين في سبيل إشباع رغباته الخاصة . هذه الصفات ينبغي معالجتها واجتثاث جذورها من قلوبنا . وهذه المعاني موجودة في تلك الادعية .

على الرغم مما نُقل إلينا من أدعية مأثورة عن جميع الأئمة عليهم السلام - على ما أتصور - إلا أن المثير في الأمور هو أن أكثرها وأشهرها هو المنقول عن ثلاثة أئمة ، كانوا قد قضوا أعمارهم في صراعات كبرى ومريرة . أولهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي نقل عنه دعاء كميل ، وأدعية أخرى فيها معان ومفاهيم كبيرة ، ومن بعدها الأدعية المروية عن

الإمام الحسين عليه السلام كدعاء عرفة الذي يزخر حقاً بمثل تثير الدهشة ، ثم من بعدها أدعية الإمام السجاد عليه السلام ، ابن واقعة عاشوراء وحامل رسالتها ، والمجاهد في قصر الجور ، قصر يزيد . هؤلاء هم الأئمة الثلاثة الذين كان لهم الدور الأبرز في ميادين الصراع ، والأدعية الماثورة عنهم هي الأعمق ، والعبر المستقاة من أدعيتهم هي الأكثر . تأملوا هذه السجايا الأخلاقية الواردة في الصحيفة السجادية ، وإذا وصفت بأنها زبور آل محمد عليه السلام ، فهي هكذا حقاً ، فهي زاخرة بالسجع المعنوي ، هي دعاء ودروس ؛ دروس في الأخلاق ، وفي علم النفس ، وفي الشؤون الاجتماعية . تأملوا هذه الجملة الواردة فيها : «اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرس وسورة الغضب ، وإلحاح الشهوة» . إنه يبين لنا - بلسان الدعاء - كل واحدة من السجايا المعنوية والأخلاقية ، والجدور الفاسدة التي تعتمل في نفوسنا .

يجب أن تسألوا الله تعالى حين الدعاء والمناجاة ، الخلاص والنجاة من هذه المشاكل الداخلية والنفسية . والمجتمع الذي تنشأ مجموعة كبيرة من أفرادها على هذه الخصائص التربوية لا تؤثر فيه أي من تلك الأساليب المعادية .

إن مجتمعنا والحمد لله مجتمع شباب ؛ أي إن نسبة الشباب فيه أكبر ، وستبقى هذه الظاهرة بارزة فيه حتى سنوات عديدة ، والشباب من مظاهر النعم الإلهية على الإنسان ؛ لأن الشباب يتسم بالنقاء والإخلاص ، إلا أن العدو يركز في خططه على جيل الشباب بسبب بعض نقاط الضعف التي يتصفون بها ، ولكن نقاط القوة لدى الشباب أكثر بكثير من نقاط الضعف .

لو أن الدعاء والتوسل المقرونين بالمعرفة اتخذوا في هذا المجتمع منهجاً وسلوكاً - بأن يكونا عن معرفة وإدراك ، أي بالمعنى الصحيح الذي أوصانا به القرآن ، والروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام ، لكان هذا

المجتمع حينذاك مجتمعاً يخشاه كل عدو مستكبر ، ويفقد الأمل
بامكانية احتوائه أو هضمه . وعليه أن يعلم أنه طالما كانت روح
الاسلام ، ومعنوية الاسلام ، والتعبّد بالاسلام ، والاعتقاد بالاسلام
موجودة في المجتمع ، يستحيل على أي عنصر أن يميل بهذا الشعب
وهذا المجتمع عن صراط الثورة الاسلامية المستقيم .

اسأل الله أن يوفقكم جميعاً ، وأن يوفق شبابنا كافة ليستطيعوا
بإذن الله معرفة هذا الطريق ، وتعلّم هذه الأحكام والتعاليم والمعارف
النيرة ، وأن يسيروا على هذا السبيل ويتففعوا ، وينفعوا ببركاته هذا
الشعب وهذا البلد والأجيال القادمة ، في ظل رعاية ولي العصر
أرواحنا فداه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قَالَ الرَّسُولُ الْحَسَنِ (ع) :

لَيَرْغَبُ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ
مُحَقَّقًا ، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ
إِلَّا سَعَادَةً ، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ
الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا .

تحف العقول : ٢٤٥

نظام العبادات

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

١

دراسات

السيد

محمد باقر الحكيم

مقدمة

في البداية يحسن أن نسجل عدة ملاحظات مهمة ذات علاقة
ببحث نظام العبادات ، وإن كان بعضها له علاقة بالابحاث



الآخري ايضاً .

الأولى : أن من الملاحظ أن دائرة الاعمال المستحبة وخصوصاً في
العبادات هي دائرة واسعة جداً ، وأن بعض هذه المستحبات والسنن
لم يثبت بطريق معتبر ؛ ولذا فلا يمكن اثبات استحبابها ومشروعيتها
من قبل الشارع المقدس ، فلا بد من الإتيان بها برجاء أن تكون مطلوبة
من الشارع الذي يعبر عنه الفقهاء بـ (رجاء المطلوبة) .

وقد وردت عدة روايات صحيحة السند تقول : إن المؤمن إذا بلغه
عن رسول الله ثواب على عمل فجاء به رجاء نيل هذا الثواب ، كتب الله
تعالى له هذا الثواب وإن كان الامر في الواقع ليس كما بلغه .

ويسمى مفاد هذه الروايات بقاعدة التسامح في أدلة السنن .
وبالرغم من ذلك فإنني قد أشير - حسب فرصة البحث - إلى السنن

والمستحبات التي وردت فيها رواية معتبرة تؤكد استحبابها ومشروعيتها .

كما أنني أحاول أن أنتخب المصاديق من هذه السنن والمستحبات التي تنسجم بشكل عام مع الخط الثابت من السند الوارد عن طريق أهل البيت (عليه السلام) ، فتكون مستحبة باعتبارها مصداقاً للخط العام وإن لم يرد دليل على استحبابها بعنوانها الخاص .

الثانية : أنه يلاحظ في المواسم العبادية التنوع والجمع بين انواع العبادات ، مثل الطهارة (الوضوء والغسل) والصلاة والدعاء والذكر والصدقة والصيام ونحوها ، وهذا يكشف عن منهج وهدف خاصين بهذه المواسم ، وهو أن التكامل الانساني إنما يمكن أن يتحقق من خلال هذا المزيج من العبادات ، وأن الحاجات الروحية والنفسية في الانسان متنوعة ومتعددة ؛ ولذا فلا بد من الاهتمام بهذا التنوع في كل موسم ليتحقق هذا النوع من التكامل ، وعدم الاقتصار على لون أو نوع خاص من العبادة .

الثالثة : أن المنهاج المكثف للعبادات في المواسم أو في غيرها حتى اليومية قد يوحي بتصور خاطئ ، وهو أن الاسلام قد دعا الانسان إلى أن ينصرف عن أداء مهماته الاجتماعية العامة أو الخاصة إلى ممارسة العبادة ، من الصلاة والصيام والدعاء وغيرها من العبادات ، ويترتب على ذلك بشكل طبيعي (الرهبنة) في الحياة الانسانية .

ولذا لا بد من الالتفات إلى الأبعاد الاجتماعية التي أكدها الاسلام والتي اشرنا إليها في أبحاثنا في هذا الكتاب ، هذه الأبعاد التي فضلها وقدمها الاسلام على الوان العبادة المستحبة ، مثل ما ذكرناه في النظام الاقتصادي من أن السعي في كسب المعيشة هو من افضل العبادات ، وأن طلب العلم ساعة يفضل عبادة سبعين سنة ، وأن إصلاح ذات البين (إصلاح الخلافات الاجتماعية) افضل من عامة

الصلاة والصيام ، وهكذا في الاجتماع بالمؤمنين والوفاء بحقوقهم الاجتماعية إلى غير ذلك مما يؤكد هذا البعد .

وتصبح النظرية الاسلامية في هذا المنهاج المكثف هي فسخ المجال امام الانسان ليحوّل كل اوقاته إلى عبادة لله تعالى ، مع إعطائه منهاجاً في الاولويات دون الإخلال بالمعادلة الاجتماعية والحيوية .

المنهاج العام

عرفنا سابقاً أن نظام العبادات يتسم بالشمولية والتنوع باعتبار اهمية العبادة ودورها في حياة الانسان ، حيث إنها تمثل في مجمل ابعادها الهدف الاساسي من وجود الانسان وخلقته : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾^(١) .

(١) الذاريات : ٥٦ .

ومن هذا المنطلق جاء منهاج نظام العبادات الذي وضعه الاسلام وأوضحه وشرحه اهل البيت عليهم السلام ، جاء واسعاً وشاملاً سواء من حيث استيعابه للزمان أو من حيث تعدد انواع العبادات واصنافها .
فأما من حيث الزمان فقد جاء هذا المنهاج ضمن صنفين رئيسين :
الأول : العبادات المؤقتة بأيام معينة كالعبادات اليومية والاسبوعية .

الثاني : العبادات غير المؤقتة بزمان معين .

الصنف الأول : العبادات المؤقتة

أما الصنف الأول فيمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام :

الأول : العبادات اليومية التي يمارسها الانسان كل يوم .

الثاني : العبادات الاسبوعية التي يؤديها الانسان كل اسبوع .

الثالث : العبادات الشهرية التي يقوم بها الانسان كل شهر .

الرابع : العبادات الموسمية أو السنوية التي يؤديها الانسان في

المواسم العبادية المخصصة أو في السنة مرة واحدة .

ونلاحظ أن هذا المنهاج الذي بينه أهل البيت عليه السلام في استيعاب العبادة لكل الاوقات ، نجد له اصلاً وجذراً في العبادات في العبادات الواجبة والمستحبة التي شرعها الاسلام في اصل الشريعة وتفرعت عنها المفردات الاخرى .

فالصلاة اليومية ونوافلها وصلاة الجمعة الاسبوعية والصوم والحج السنوي ، وكذلك الصوم المستحب الشهري للايام الثلاثة تدل على هذا النوع من الاستيعاب .

وسوف نلاحظ عند استعراض انواع العبادة من خلال عناوينها الرئيسية وجود هذا التقسيم والاستيعاب للالزمة ، بحيث يصبح واضحاً أن الاسلام قد وضع منهاجاً شاملاً وواسعاً للعبادة يمكنه أن يستوعب جميع الاوقات التي يعيشها الانسان .

وهذا الاستيعاب في درجة ومستوى منه يكون الزامياً أو شبه الزامي ، وفي درجة ومستوى آخرين يكون مفتوحاً امام الانسان ليترك له الفرصة في عبادة ربه ، والتكامل من خلالها ضمن خطة حكيمة في التربية والتزكية والتطهير .

وسوف نلاحظ أيضاً عمق ودقة وتكامل هذا المنهاج من خلال رؤية أهل البيت عليه السلام ، واهتمامهم ببناء الجماعة الصالحة ضمن نظام العبادات ومن خلال هذا المنهاج .

وأما من حيث انواع العبادات فقد اشتمل هذا المنهاج ايضاً على مختلف انواع العبادات ، من الصلوات ، والصيام ، والحج بمعناه الشامل (الحج والعمرة والزيارة) والجهاد ، والدعاء ، والذكر ، وقراءة القرآن ، والانفاق ، والصلة والاحسان ، والعلم إلى غير ذلك من انواع العبادات الواجبة والمستحبة .

ونحاول في هذا العرض أن نقصر الحديث على العناوين والمفردات المهمة البارزة في هذا المنهاج ، سواء من حيث الزمان أو

أنواع العبادات ، ونترك التفصيل للمفردات الاخرى حيث يمكن مراجعتها في الكتب المختصة ؛ علماً بأن بعض مفردات العبادة في هذا المنهاج سبق الحديث عنها في الابحاث والانظمة السابقة ، مثل الزيارة أو الانفاق أو طلب العلم أو العلاقات الاجتماعية (الصلة والاحسان) أو الشعائر والأيام والأماكن المقدسة .

كما أننا سوف نتناول بعض مفردات انواع العبادات ضمن استعراض الاقسام الأربعة من الصنف الأول ، ونستعرض انواع العبادات الرئيسية في الصنف الثاني منه .

القسم الأول : العبادات اليومية

١- الصلاة اليومية ورواتبها وشؤونها .

تجب الصلاة في الشريعة الاسلامية كل يوم خمس مرات في سبع عشرة ركعة ، للصبح ركعتان ولكل من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات وللمغرب ثلاث ركعات ؛ وهذا مما اجمع عليه المسلمون من اهل القبلة . وتقتصر الصلوات الرباعية الثلاث في السفر على تفصيل وشروط يختلف فيها فقهاء المذاهب الاسلامية .

وتمثل هذه الصلاة بخصوصياتها احد الاركان المهمة في وحدة الأمة الاسلامية لاتفاقهم عليها .

كما أن هذه الصلاة هي افضل العبادات بعد معرفة الله تعالى على الاطلاق ، كما دلت على ذلك الروايات ، ولعلها لأجل ذلك لا تسقط بأي حال من الأحوال ، بل يجب الإتيان بها في الصحة والمرض والامن والخوف ، وبالقدر المستطاع من الكمال حتى لو كان ذلك بالايام والإشارة^(٢) ، ومن السنن المستحبة الإتيان بقدر من الركعات قبلها أو بعدها ، وتسمى هذه الصلوات والركعات بالرواتب أو النوافل اليومية . وقد ورد في روايات اهل البيت عليهم السلام أن هذه الرواتب هي ضعف

(٢) وقد ورد عن رسول الله ﷺ بطرق معتبرة أنه قال عند موته : «ليس مني من استخف بصلاته ولا يرد علي الحوض...»

كما ورد بطريق معتبر عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال عند موته : «لا تنال شفاعتنا من استخف بالصلاة» عن وسائل الشيعة ١٦: ٣٠٣، ح ٧ و ٣.

الصلوات اليومية من حيث عدد الركعات ، أي أربع وثلاثون ركعة ، ركعتان للفجر قبلها ، وثمان ركعات للظهر قبلها ، وثمان ركعات للعصر قبلها ، وأربع ركعات للمغرب بعدها ، وركعتان من جلوس للعشاء بعدها تعدان بركعة واحدة ، وثمان ركعات صلاة الليل تؤدي بعد منتصف الليل إلى الفجر ، وبعدها الشفع ركعتان والوتر ركعة واحدة^(٣) .

فقد روى الكليني بسند صحيح عن حنان قال : «سأل عمرو بن حريث أبا عبد الله عليه السلام وأنا جالس فقال له : جعلت فداك ، أخبرني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي ثمان ركعات الزوال وأربعاً الأولى ، وثمانياً (ثمانى) بعدها ، وأربعاً العصر ، وثلاثاً المغرب ، وأربعاً بعد المغرب ، والعشاء الآخرة أربعاً ، وثمان (ثمانى) صلاة الليل ، وثلاثاً الوتر ، وركعتي الفجر وصلاة الغداة ركعتين»^(٤) .

وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد ، وأهل الوفاء والأمانة ، وأهل الزهد والعبادة ، وأصحاب الإحدى وخمسين ركعة في اليوم واللييلة ، القائمون بالليل ، الصائمون بالنهار ، يزكّون أموالهم ، ويحبّون البيت ، ويجتنبون كل محرّم»^(٥) .

وفي كتاب المصباح للشيخ الطوسي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال : «علامات المؤمن خمس : صلاة الخمسين ، وزيارة الأربعين ، والتختم في اليمين ، وتعفير الجبين ، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»^(٦) .

امتيازات أخرى

وبهذا الصدد نلاحظ أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام امتازت في موضوع الصلاة وشؤونها على المدارس الأخرى بعدة امتيازات ، يحسن بنا الإشارة إليها :

الأول : هو الالتزام بالقراءة في الصلاة في الركعتين الأوليين بسورة الفاتحة وسورة أخرى تامة من سور القرآن^(٧) .

(٣) هذا المنهج بهذا العدد مما يمتاز به أهل البيت عليهم السلام عن بقية المذاهب الإسلامية ، وهذا ما حفظه أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وناقلة الصبح (الغداة) وناقلة الليل هما أفضل هذه النوافل ، وقد ورد في تأكيدهما وبيان فضلها وآثارهما روايات كثيرة .

(٤) وسائل الشيعة ٣: ٣٣٣ ، ج ٦ .

(٥) وسائل الشيعة ٣: ٤١٣ ، ج ٦ ، عن كتاب صفات الشيعة .

(٦) وسائل الشيعة ١٠: ٣٧٣ ، ج ١ ، والمقصود من صلاة الخمسين صلاة إحدى وخمسين ، حيث جاء التعبير بالخمسين عنها في كثير من الروايات اختصاراً .

(٧) هذا هو المشهور المعروف عند فقهاء مذهب أهل البيت ، وإن وجد من بينهم من يقول بعدم وجوب السورة التامة .

وكذلك الالتزام بقراءة البسملة في الفاتحة وفي كل سورة ؛ لأنها جزء قرآني من الفاتحة ومن كل سورة في نظرهم ، وهو ما دلت عليه كثير من النصوص والشواهد التي يأتي في مقدمتها الرسم القرآني الذي تداوله المسلمون بأمانة منذ عهد رسول الله حتى يومنا الحاضر.

وبالإضافة إلى ذلك يرون الجهر بالبسملة حتى في الصلوات الإخفائية كالظهر والعصر ، وهذا هو ما أشار إليه الحديث السابق . ويبدو أن هذا الموضوع تحول إلى قضية سياسية في عهد معاوية تميز بها المسلمون الصالحون عن جماعة الأمويين ، كما يشير إلى ذلك بعض النصوص التاريخية .

الثاني : هو الالتزام بالسجود على الأرض وما أنبتت غير المأكول منه والملبوس ، استناداً إلى ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من قول الصادق عليه السلام : « لا يجوز السجود إلا على الأرض ، أو ما أنبتته إلا ما أكل أو لبس » كما ورد عن طريقهم النهي عن السجود على القطن والكتان لقول الباقر عليه السلام : « لا يسجد على الثوب الكرسف ، ولا على الصوف ، ولا على شيء من الحيوان ولا على حطام ولا على شيء من الثمار ولا على شيء من الرياش »^(٨) .

ويؤكد ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد بن حنبل من قوله عليه السلام : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » وكذلك قوله : « الأرض لك مسجد » الذي رواه البخاري ومسلم والنسائي^(٩) . وكذلك ما ورد من طريق الجمهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا تتم صلاة أحدكم حتى يتوضأ كما أمر الله تعالى ثم يسجد مكنأً جبهته من الأرض »^(١٠) . وكذلك ما ورد عن خباب من قوله : « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حرّ الرمضاء في جباهنا وأنفنا فلم يشكنا »^(١١) .

وقد خالف في ذلك جميع فقهاء الجمهور فأجازوا السجود على كل شيء .

(٨) كتاب الخلاف ٢: ٤٣٦.

(٩) التاج الجامع للاصول ٢٣٠:١ و ٢٣٤، وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، مادة مسجد ٤٢٤:٢ و ٤٢٨.

(١٠) كتاب الخلاف ٢: ٤٣٤، عن سنن أبي داود ١: ٢٢٧، ح ٨٥٨.

(١١) الخلاف ٢: ٤٣٤، وقد ذكر في هامشه أن مسلماً أخرجه في صحيحه ١: ٤٣٣، ح ٦١٩، وسنن ابن ماجه ١: ٢٢٢، ح ٦٧٥، وسنن النسائي ١: ٢٤٧، ومسند أحمد ١٠٨:٥ - ١١٠، وسنن البيهقي ١٠٥:٢.

(١٢) من الملاحظ اهتمام أبناء الجماعة الصالحة باستصحاب قطعة من الطين مأخوذ من تراب كربلاء للسجود عليها، وقد تناول هذا الموضوع بالشرح والتفسير العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كراس أسماه «التربة الحسينية»، ويحسن بأبناء الجماعة الصالحة أن يسجدوا على الصخور التي تفرش بها المساجد خصوصاً المسجد الحرام، أو على الحصى أو غيره مما يحقق هذا الشرط دون اتخاذ قطع الحجارة، ابتعاداً عن إثارة الشبهات ومراعاة لتجنب آثار هذه الحرب الاعلامية الظالمة ضدهم. والله ولي التوفيق والسداد والنصر.

(١٣) الزيدية هم الذين يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بعد أبيه علي بن الحسين، ومن معتقداتهم انه يشترط في الإمام أن يقوم بالسيف ضد الطغاة، ولهم مدرسة فقهية متأثرة إلى حد كبير بالمدرسة العامة لفقه الجمهور، وهم ينتشرون الآن في اليمن الشمالي، وإن كان لهم تاريخ في بعض مناطق إيران.

ومن هنا نجد أتباع اهل البيت عليهم السلام يتقيدون بهذا الحكم ، ويستصحبون معهم - أحياناً - قطعة من الطين اليابس أو الحجارة النظيفة لاستخدامها في السجود عليها عندما لا يجدون أرضاً يسجدون عليها .

وقد حاول أعداؤهم التشويش عليهم وإثارة الشبهات والالتهامات ضدهم ، بادعاء أنهم يعبدون هذه الحجارة ، مع أنهم يسجدون عليها) وليس لها) نعوذ بالله ^(١٢) .

الثالث : الالتزام في كل من الأذان والإقامة بقول «حي على خير العمل» مرتين بعد «حي على الفلاح» ؛ وذلك لما ورد عن أئمة اهل البيت عليهم السلام من تأكيد أن ذلك هو جزء من الأذان والإقامة .

وتلتزم (الزيدية) ^(١٣) من المذاهب الاسلامية بذلك أيضاً ، بحيث أصبح ذلك من مميزات شيعة أهل البيت عليهم السلام على خلاف بقية المذاهب الاسلامية .

وأما الشهادة الثالثة لعلي عليه السلام بالولاية فلا شك بين فقهاء الجماعة الصالحة أنها ليست جزءاً من الأذان أو الإقامة ، ولا يصح الإتيان بها بنية الجزئية فإن ذلك يكون بدعة محرمة .

ولكن اتباع اهل البيت عليهم السلام اعتادوا على الإتيان بها ضمن الإتيان بالأذان والإقامة ، حتى أصبحت شعاراً لهم يعرفون به بين المسلمين، والسبب في ذلك يرجع إلى عاملين رئيسين :

أحدهما : هو التعبير عن ولائهم للإمام علي عليه السلام والتأكيد لذلك ، هذا الامام الذي تعرض إلى مختلف ألوان الظلم ، ومن أشد أنواعه ظلم الامويين والنواصب الذين استنوا سب الإمام علي عليه السلام على منابر المسلمين وفي خطب صلاة الجمعة ، فكان شيعة اهل البيت عليهم السلام يحاولون بذلك أن يواجهوا هذا اللون من الظلم بتأكيد هذا الولاء ، عندما تهيات لهم الفرصة المناسبة لذلك .

(١٤) التاج الجامع للاصول
١: ١٤٨.

(١٥) وسائل الشيعة ١: ١٦١،
ج ٢.

(١٦) هذا الموضوع يحتاج
إلى دراسة، فإن الرخصة
لا شك فيها، وعمل النبي
والأنمة صلوات الله
وسلامه عليهم العام هو
التفريق، فلماذا هذا الالتزام
بالجمع؟ ولا شك أن الجمع
أيسر ولا سيما إذا أخذنا
بنظر الاعتبار الظروف
الاجتماعية المعاصرة
وطبيعة الاعمال وتركيبه
المدن والمجتمعات، فهل
كان الالتزام بهذا اليسر
يعبر عن منهج اراد منه
اهل البيت أن يضعوه
لمستقبل الحياة الانسانية،
أم أن هذا الالتزام يعبر عن
ظروف اجتماعية
وسياسية عاشها اتباع اهل
البيت في التاريخ الاسلامي
جعلتهم يخفون من
أدائهم للصلاة؟

على أن هناك رواية
معتبرة السند قد يفهم منها
أن المقصود من الجمع هو
الالتيان بالصلاتين في
وقت الفضيلة لأحدهما،
ولكن بدون نافلة وتطوع
بينهما، أما إذا تطوع بينهما
فلا جمع: «الجمع بين
الصلاتين إذا لم يكن بينهما
تطوع، فإذا كان بينهما
تطوع فلا جمع». وسائل
الشيعة ١: ١٦٢، ج ٣.

ثانيهما: أن شيعة اهل البيت عليهم السلام تعرضوا في مختلف الادوار إلى
الاضطهاد والمطاردة بسبب الاتهامات الظالمة لهم، ومنها الاتهام لهم
بالغلو في عليّ وأولاده، فكان أن التزموا بهذا الشعار من أجل تأكيد
أن عقيدتهم في الامام علي عليه السلام لا تتعدى الولاء له والاعتقاد بإمامته
وولايته، وذلك التزاماً بسنة رسول الله الذي قال في علي عليه السلام يوم
الغدیر: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وإن علياً هو عبد الله وولي من اولياء الله، ولا يتعدى الامر ذلك.

الرابع: الجمع بين الصلاتين في الظهر والعصر وفي المغرب
والعشاء، من دون وجود عذر أو حاجة في هذا الجمع؛ وذلك استناداً
لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في كتب الجمهور التي يعتقدون صحتها،
عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً الظهر
والعصر والمغرب والعشاء. روى ذلك الخمسة، ولفظ مسلم: «جمع
رسول الله صلى الله عليه وآله بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من
غير خوف ولا مطر». وقد قيل لابن عباس: «ما اراد إلى ذلك؟ قال:
أراد ألا يخرج أمته» (١٤).

وقد روى الصدوق في علل الأحكام بسند معتبر عن أبي عبد الله
الصادق عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير
علة ولا سبب، فقال له عمر - وكان أجراً القوم عليه: أحدث في الصلاة
شيء؟ قال: لا، ولكن أردت أن أوسع على أمتي» (١٥).

ولكن الملاحظ أن أبناء الجماعة الصالحة يكادون يلتزمون بالجمع
بين الصلاتين، حيث أخذوا بهذه الرخصة مع أن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة اهل
البيت عليهم السلام كانوا يفرقون بين الصلوات بشكل عام، كما تشير إلى ذلك
النصوص (١٦). وإنما كان الجمع رخصة.

الخامس: الالتزام بمسح الرأس والرجلين معاً في الوضوء للصلاة،
على خلاف الالتزام الفقهي العام لجمهور المسلمين الذين يتقيدون

- وعند ذلك تكون
الممارسة العامة
للمتفقهين من أبناء
الجماعة الصالحة هي
التفريق؛ لأنهم يتطوعون
عبادة بين الصلاتين
خصوصاً في المغرب
والعشاء.
وعلى أي حال
فالمفروض أن يتوجه
أبناء الجماعة الصالحة إلى
هذه السنة النبوية
المستحبة والأدب الرسالي
المطلوب.

(١٧) المائدة: ٦.

بغسل الرجلين عادة ، إلا في حالات خاصة وهي المسح على الخفين
في بعض المذاهب الاسلامية .

ويستند اهل البيت عليه السلام وأتباعهم إلى قوله تعالى في الآية الكريمة
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ (١٧) التي تدل بظاهرها على الأمر
بمسح الرجلين عطفاً على مسح الرأس . وقد تأول جمهور الناس الآية
الكريمة فعطفوا الرجلين على الوجه واليدين في الآية على خلاف
ظاهرها ، استناداً إلى بعض الروايات .

التعقيب

ومن العبادات اليومية التعقيب بعد الصلاة ، وهو عبارة عن الذكر
والدعاء في أعقاب الصلوات . وقد ورد تأكيده في أحاديث رسول
الله صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام ، وهو سنة مؤكدة يلتزم بها جميع المسلمين .
ولكن ما يميز اهل البيت عليهم السلام والجماعة الصالحة هو سعة وشمول
التعقيب ، وكثرة ما ورد له من أذكار وادعية في روايات اهل
البيت عليهم السلام ، واختصاص كل صلاة من الصلوات اليومية الواجبة بل
المستحبة بتعقيبات خاصة بها ، بالإضافة إلى التعقيبات العامة
للصلوات جميعاً .

ومن أفضل مفردات التعقيب هو التكبير ثلاثاً ، والصلاة على النبي
 وآله ثلاثاً ، ودعاء « لا إله إلا الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ، لا إله إلا
الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون ، لا إله إلا
الله ربنا ورب آبائنا الأولين ، لا إله إلا الله وحده وحده انجز
وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، فله الملك وله
الحمد يحيي ويميت ويحيي ويميت ويحيي ، وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير » .

وقراءة التسبيح المعروف عند الجماعة الصالحة بتسبيح الزهراء عليها السلام ، وهو أربع وثلاثون تكبيرة وثلاث وثلاثون تحميدة وثلاث وثلاثون تسبيحة ^(١٨) .

وكذلك قراءة آية الكرسي والمعوذتين وقل هو الله أحد ، والإتيان بسجدة الشكر وغيرها مما يذكر في كتب الدعاء ^(١٩) .

قراءة القرآن

ومن العبادات اليومية قراءة القرآن الكريم ، فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام بسند معتبر : «القرآن عهد الله إلى خلقه ، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر إلى عهده ، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية» .

وفي رواية أخرى معتبرة عن الامام الرضا عليه السلام قال : «ينبغي للرجل إذا أصبح أن يقرأ بعد التعقيب خمسين آية» .

وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «من قرأ كل يوم مئة آية في المصحف بترتيل وخشوع وسكون ، كتب الله له من الثواب بمقدار ما يعمل جميع أهل الأرض ، ومن قرأ مئتي آية كتب الله له من الثواب ما يعمل أهل السماء وأهل الأرض» ^(٢٠) .

ويبدو من خلال الروايات الكثيرة أنه يحسن قراءة القرآن بتدبر وتأمل ، ووقوف عند ذكر الجنة والنار وموارد الاعتبار ، وأن تكون قراءته بالحنن والخشوع والتبكي ، وعدم الإسراع في قراءته المعبر عنها بالروايات بالهذر ، وألا يقرأ في اليوم أكثر من جزء ، أي ألا يختم القرآن بأقل من شهر ^(٢١) .

أوقات الفضيلة في اليوم

ويبدو من الروايات والنصوص أن أفضل أوقات العبادة في اليوم والليلة هما : وقت السحر ، وهو الثلث الأخير من الليل - الذي يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر - وكذلك وقت ما بين الطلوعين (طلوع

(١٨) ورد في روايات الجمهور ذكر هذا التسبيح ولكن بترتيب آخر ، وهو ثلاث وثلاثون لكل من التسبيح ، والتسبيح ، والتكبير ، ويبدأ بالتسبيح ويختم بالتكبير ، باستثناء رواية واحدة تذكر التكبير أربعاً وثلاثين .

(١٩) راجع مفاتيح الجنان : ١٢ - ٢٢ . فقد ذكر التعقيبات العامة وتعقيبات كل واحدة من الفرائض الخمسة .

(٢٠) جامع احاديث الشيعة ٤٨ : ١٥ ، ج ١ و ٢ و ٣ .

(٢١) جامع احاديث الشيعة ٥١ : ١٥ ، باب ١٣ من أبواب فضائل القرآن .

الفجر وطلوع الشمس)، فإن هذين الوقتين يختصان بالصلاة والدعاء والذكر والمناجاة .

وقد تم التأكيد - كما أشرنا - لقيام وقت السحر وإحيائه بالعبادة ، وكذلك جاء النهي عن نوم ما بين الطلوعين ، وإحيائه بالدعاء والذكر وقراءة القرآن والسعي في طلب الرزق .

ومن جملة هذه الأوقات التي ورد تأكيدها في القرآن الكريم وقت شروق الشمس وغروبها ، حيث يستحب ذكر الله فيها ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ ولذلك وردت أدعية وأذكار متعددة للصباح والمساء ، أشار إلى بعضها العلامة القمي في مفاتيح الجنان^(٢٢) ، ومن أهمها دعاء العشرات ودعاء الإمام زين العابدين عند الصباح والمساء .

التطوع بالصلاة^(٢٣) وصلاة ساعة الغفلة

لقد ورد في الروايات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام الحث على التطوع بالصلاة ، بالإضافة إلى النوافل والرواتب اليومية التي سبق الحديث عنها . وقد جاء تأكيد هذا التطوع في الليل خاصة .

ومن موارد هذا التطوع المفردات الآتية :

- ١ - التطوع بصلاة عشر ركعات بعد صلاة المغرب .
- ٢ - التطوع بصلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم .
- ٣ - التطوع بأربع ركعات بعد صلاة العشاء .
- ٤ - التطوع بأربع ركعات مخصوصة قبل الزوال أو عنده .
- ٥ - التطوع بركعتين بين المغرب والعشاء تسمى في بعض الروايات بصلاة الوصية ، وفي بعضها بصلاة ساعة الغفلة ، وهي صلاة الغفيلة المعروفة في أوساط أبناء الجماعة الصالحة ، ولها أداء مخصوص حيث يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة آية ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ألا إله إلا أنت سبحانك إني كنت

(٢٢) مفاتيح الجنان : ٢٢ -

٢٣، كذلك راجع جامع

أحاديث الشيعة ١٥: ٤٤٤ -

٤٥٧.

(٢٣) قد يبدو من بعض

النصوص أن بعض هذه

الصلوات يتداخل مع

الرواتب اليومية والله اعلم.

من الغالطين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴿ ٢٤ 〉 ، وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة آية ﴿ ٢٥ 〉 وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من روقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿ ٢٦ 〉 ، ثم يقنت ويدعو : « اللهم إني أسألك بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا أنت أن تصلي على محمد وآل محمد » ويذكر حاجته (حوائج الدنيا والآخرة) ثم يقول : « اللهم أنت ولي نعمتي والقادر على طلبتي تعلم حاجتي فأسألك بحق محمد وآل محمد لما قضيتها لي » ويسأل حاجته فقد ورد في الحديث أن الله يقضيها له (٢٤) .

السادس : التطوع في اليوم والليلة بصلاة ألف ركعة ، وقد كان هذا التطوع مما يعمل به أئمة أهل البيت (عليهم السلام) (٢٥) .

القسم الثاني : العبادات الأسبوعية

١ - يوم الجمعة وليلته

مضى الحديث في الأيام عن مجموعة من العبادات الأسبوعية في يوم الجمعة وليلته ، ولا نحتاج هنا أن نعيد ، ولكن يحسن بنا أن نذكر ملاحظة هي أن هذا اليوم وليلته يمثلان قمة العمل العبادي في الأسبوع ، فبالإضافة إلى الممارسة العبادية اليومية يكون يوم الجمعة زماناً لتصعيد الحالة العبادية .

وهذا من منهاج الاسلام في عملية التدرج والتصعيد في الممارسة العبادية ، حيث نلاحظ في اليوم أن عملية التصعيد والتكثيف للعمل العبادي تتم في الليل وفي فترة السحر إلى أداء صلاة الصبح عند طلوع الفجر .

وفي الأسبوع تكون عملية التصعيد والتكثيف للعبادة في ليلة الجمعة ويومها .

وفي الشهر تكون عملية التكثيف - على ما سوف نعرف - في

(٢٤) هذه الصلوات ذكرها في وسائل الشيعة في الجزء الخامس، وهي حسب التسلسل في الصفحات التالية : ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٨٦، ٢٤٧ و ٢٤٩ .
(٢٥) وسائل الشيعة ٧١:٣، باب استحباب صلاة ألف ركعة في كل يوم وليلة.

منتصف الشهر وفي ليالي التشريق عادة .

وفي السنة تكون عملية التصعيد والتكثيف - كما سوف نعرف - في شهر رمضان ، بعد أن يبدأ الاستعداد والتهيؤ منذ بداية رجب . وفي شهر رمضان تتصاعد العملية العبادية - كما سوف نعرف - في العشر الأواخر منه ، ولا سيما في ليالي القدر ، وتختتم بليلة عيد الفطر . ولا نحتاج هنا أن نعيد الحديث مرة أخرى عن ذلك .

٢ - أدعية الأيام

لقد اختص كل يوم من أيام الأسبوع بدعاء خاص ، وقد عرف مجموع ذلك بأدعية أيام الأسبوع ، وهي مروية عن الامام زين العابدين عليه السلام ، وتشتمل على مضامين عالية ، ويذكر في كل واحد منها اسم اليوم المختصة به ، وقد تضمنتها بعض نسخ الصحيفة السجادية ملحقاً لها ، كما ذكرها العلامة القمي في مفاتيح الجنان في الصفحات ٢٣ - ٢٨ .

٣ - صلوات الأيام

روى الشيخ الطوسي في (مصباح المتهدج) مراسلاً عن النبي صلى الله عليه وآله أو عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله صلوات خاصة بأيام الأسبوع ولياليه باستثناء ليلة الجمعة ويومها ، كما روى السيد ابن طاووس في كتاب (جمال الأسبوع) بإسناده عن الإمام أبي الحسن العسكري عليه السلام صلوات مخصوصة لكل يوم من أيام الأسبوع ، كما روى الكفعمي في كتابه المصباح أكثر هذه الصلوات وجملة من الصلوات السابقة (٢٦) .

وبالإضافة لذلك روى الشيخ الطوسي في مصباح المتهدج عن أئمة الهدى مراسلاً صلوات تهدي إلى النبي وبقية المعصومين عليهم السلام ؛ يختص فيها كل يوم بأحد المعصومين حسب تسلسل الأيام والمعصومين ، ويقسمون على أسبوعين (٢٧) .

القسم الثالث : العبادات الشهرية

صلاة أول الشهر

يبدو من مراجعة المنهاج العبادي الشهري أن الأعمال العبادية التي تتكرر في كل شهر هي عبادات محدودة . ولعل السبب في ذلك هو الاعتماد على المنهاج اليومي والأسبوعي من ناحية ، والمنهاج السنوي أو منهاج الأيام والليالي والمناسبات الموجودة في مختلف الشهور من ناحية أخرى ، ومع كل ذلك وردت بعض العبادات الخاصة في دورة الشهر .

منها صلاة أول الشهر التي لها أعمال مخصوصة ، وكان يلتزم بها بعض الفقهاء (٢٨) ويهتم بها خاصة ، هي - كما رواها الشيخ الطوسي في مصباح المجتهد - بسند صححه بعض العلماء كالوحيد البهبهاني رحمته الله عن الامام الجواد عليه السلام قال : «إذا دخل شهر جديد بصلي في أول يوم منه ركعتين . يقرأ في أول ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد لكل يوم إلى آخره . وفي الثانية الحمد وإنما أنزلناه في ليلة القدر مثل ذلك ، ويتصدق بما يتسهل ، يشتري به سلامة ذلك الشهر كله» (٢٩) .

(٢٨) كان المرحوم الامام الحكيم (ره) يواظب على هذه الصلاة.

(٢٩) وسائل الشيعة ٥ : ٢٨٦ .

كما روى ابن طاووس مرسلاً عن الصادق عليه السلام صلاة أخرى من ركعتين يقرأ سورة الانعام بعد الفاتحة ، ويؤديها في ليلة أول الشهر .

صيام ثلاثة أيام من الشهر

ومنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وهو من الأعمال المستحبة المؤكدة التي كان يواظب عليها النبي صلى الله عليه وآله إلى آخر حياته ، كما دلت على ذلك النصوص العديدة .

فقد روى الصدوق في من لا يحضره الفقيه بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «صام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قيل : ما يفطر ، ثم أفطر حتى قيل : ما يصوم ، ثم صام صوم داود عليه السلام يوماً ويوماً لا ، ثم قبض صلى الله عليه وآله على

(٣٠) وسائل الشيعة ٣: ٣٠٣،

ح ١.

(٣١) نفسه ٧: ٣٠٥، ح ٥.

صيام ثلاثة أيام في الشهر وقال: يعدلن صوم الدهر (الشهر)، ويذهبن بوجهر الصدر، وقال حماد: الوحر: الوسوسة، قال حماد: فقلت: وأي الأيام هي؛ قال: أول خميس في الشهر، وأول اربعاء بعد العشر منه، وآخر خميس» (٣٠).

وفي رواية أخرى معتبرة يعلق الامام الصادق عليه السلام على هذا الموضوع بقوله: «وقد كان أبي عليه السلام يقول: ما من أحد أبغض إلى الله تعالى من رجل يقال له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل كذا وكذا فيقول: لا يعذبني الله على أن اجتهد في الصلاة والصوم، كأنه يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه» (٣١).

وقد روى المفيد في (المقنعة) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «عرضت علي أعمال أمتي فوجدت في أكثرها خللاً ونقصاً، فجعلت مع كل فريضة مثليها نافلة؛ ليكون من أتى بذلك قد حصلت له الفريضة؛ لأن الله تعالى يستحي أن يعمل له العبد عملاً فلا يقبل منه الثلث. ففرض الله الصلاة في كل يوم وليلة سبع عشر ركعة، وسن رسول الله صلى الله عليه وآله أربعاً وثلاثين ركعة، وفرض الله صيام شهر رمضان في كل سنة، وسن رسول الله صلى الله عليه وآله صيام ستين يوماً في السنة، ليكمل فرض الصوم، فجعل في كل شهر ثلاثة أيام: خميساً في العشر الأول منه وهو أول خميس في العشر، وأربعاء في العشر الأوسط منه، وهو أقرب إلى النصف من الشهر، وربما كان النصف بعينه، وآخر خميس في الشهر» (٣٢).

وقد وردت نصوص أخرى تؤكد أن المهم هو صوم أيام ثلاثة من كل شهر إذا لم يتمكن من الالتزام بهذه الأيام خاصة، أو كان فيها تعب، وجاءت الرخصة بتأخيرها إلى الشتاء أو غير ذلك من التقديم والتأخير، كما جاءت النصوص بقضائها ايضاً، أو التعويض عنها بالصدقة بمد من طعام عن كل يوم، كما ورد في بعض النصوص الحث على صيام أيام البيض من الشهر، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

(٣٢) وسائل الشيعة ٧:

٣١١، ح ٢٧، كمال الستين

بإضافة استحباب صوم

شعبان كما أشير إليه في

بعض الروايات الاخرى.

القسم الرابع : العبادات السنوية

تحتل العبادات السنوية مساحة واسعة من نظام العبادات ، وذلك ضمن ثلاثة مناهج اساسية :

المنهج الأول : منهج الأيام والليالي الذي سبق الحديث عنه ، فإنه يدخل في جانب منه في العبادات السنوية ، حيث إننا وإن ذكرناه ضمن نظام الشعائر فإن محتوئ هذه الشعائر كان هو أنواع من العبادات - كما ذكرنا - جاءت في إطار هذه الشعائر لتصبح بمجموعها تعبيراً عن هذا الشعار .

المنهج الثاني : هو منهج الأشهر الثلاثة المباركة رجب وشعبان ورمضان ، حيث يتوج هذا المنهج والموسم بشهر رمضان المبارك ، وحيث تشكل عبادة الصوم القاعدة الاساسية في هذا المنهج ، فإنه يستحب فيه صوم شهر رجب ويتأكد فيه استحباب صوم شعبان بما كان يلتزم به رسول الله ﷺ من صومه بكامله ، ويجب فيه صوم شهر رمضان بالشروط التي يذكرها الفقهاء في كتبهم الفقهية وفي مقدمتها الحضور وعدم المرض أو الشيخوخة المانعة من الصوم .

المنهج الثالث : هو منهج عبادة الحج وموسم العشر الأوائل من شهر ذي الحجة .

هذه العبادة الفريدة والتميزة التي تكاد أن تجمع في محتواها وادائها مجمل العبادات الاسلامية (الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والجهاد) ، بالإضافة إلى أبعادها الروحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية العظيمة .

وسوف نحاول أن نتناول المنهجين الأخيرين بشيء من الشرح والاختصار .

منهج الأشهر الثلاثة

أ- شهر رجب

لقد وردت نصوص كثيرة عن اهل البيت تؤكد فضل شهر رجب ، فقد روي الصدوق في المجالس وثواب الأعمال بإسناده عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ أنه قال : «قال رسول الله ﷺ : لا إن رجباً شهر الله الأصم وهو شهر عظيم ، وإنما سمي الأصم لأنه لا يقاربه شيء من الشهرة حرمة وفضلاً عند الله ، وكان اهل الجاهلية يعظمونه في جاهليتهم ، فلما جاء الاسلام لم يزد إلا تعظيماً وفضلاً. لا إن رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمي . ألا فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر ...» ثم ذكر لصيام أي عدد من الأيام ثواباً وأجرأ وآثاراً وفوائد (٣٣) .

كما روى الصدوق عن الامام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم ﷺ أنه قال : «رجب نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فمن صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر» .

وروى عنه أيضاً : «رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو السيئات . ومن صام يوماً من رجب تابعت عنه النار مسيرة سنة ، ومن صام ثلاثة أيام وجبت له الجنة» (٣٤) .

وقد روي عن أبي عبد الله الصادق ﷺ بأسانيد متعددة بعضها معتبر أنه قال : «إن نوحاً ﷺ ركب السفينة أول يوم من رجب ، فأمر عليه السلام من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال : من صام ذلك اليوم تابعت عنه النار مسيرة سنة . ومن صام سبعة أيام أغلقت عنه أبواب النيران السبعة ، ومن صام ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنان الثمانية ، ومن صام خمسة عشر يوماً أعطي مسألته ، ومن زاد زاده الله عز وجل» (٣٥) .

وقد قسم العلامة القمي في مفاتيح الجنان أعمال شهر رجب إلى قسمين :

القسم الأول : الأعمال العامة التي تؤدي في جميع الشهر ولا تخص

(٣٣) وسائل الشريعة ٣٥٢:٧ .
ح ٩ . وقد ورد في عدة نصوص أخرى - كما سوف تعرف - أن شهر الله هو شهر رمضان ، وهو المعروف بين المسلمين ، ولذا فمن المحتمل أن يكون هناك اشتباه في ضبط النص في هذه الرواية فيما يتعلق بهذا الموضوع .
(٣٤) نفسه : ٣٥٠ : ح ٤ ، ٣ .

(٣٥) نفسه ٣٤٨ : ٧ ، ح ١ و ٢ .
عن من لا يحضره الفقيه والمقنع والمقنعة ومصباح المتجهد وثواب الأعمال والخصال والتهذيب وغيرها . وقد ذكر الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة والعلامة القمي في مفاتيح الجنان روايات أخرى في فضل شهر رجب وفضل الاستغفار والعبادة فيه ، فراجعها .

أياماً منه ، وهي أمور :

الأول : الدعاء ، وقد ذكر عدة مفردات ومصاديق من الأدعية المخصوصة وهي ذات مضامين عالية ، وذلك عن الامام زين العابدين عليه السلام والامام الصادق عليه السلام والامام الحجة عجل الله فرجه الشريف (٣٦) .

(٣٦) مفاتيح الجنان: ١٣٢ - ١٣٧

الثاني : الزيارة المخصوصة التي يزار بها في جميع مشاهد الأئمة عليهم السلام ، وهي المعروفة بالزيارة الرجبية (٣٧) .

(٣٧) نفسه: ١٣٦ .

الثالث : الذكر مثل الاستغفار لله تعالى بصيغ متعددة ، ومنها «استغفر الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأتوب إليه» مئة مرة والتصدق بعدها (٣٨) .

(٣٨) وسائل الشيعة: ٣٥٩:٧ ح ٣

أو التهليل ألف مرة ، أو التسبيح مئة مرة «سبحان الإله الجليل ، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له ، سبحان الأعز الأكرم ، سبحان من لبس العز وهو له أهل» وقد ورد أن هذا التسبيح يعوض عن الصيام لمن لا يقدر عليه (٣٩) .

(٣٩) نفسه: ٣٥٨:٧ ح ١

الرابع : قراءة القرآن ومنه قراءة الإخلاص عشرة آلاف مرة (٤٠) ، وكذلك يُقرأ في كل يوم من رجب وشعبان ورمضان الحمد وآية الكرسي والكافرون والمعوذتين ثلاث مرات ثم يقول : «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ، ثلاث مرات ، و «اللهم صل على محمد وآل محمد» ثلاث مرات ، و «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات» ثلاث مرات ، وأربعمئة مرة «استغفر الله وأتوب إليه» ، فقد ورد أن هذا العمل يوجب غفران الذنوب مهما كثرت .

(٤٠) نفسه: ٣٦١:٦ ح ٦

وهذا العمل يجمع بين قراءة القرآن والذكر والدعاء .

الخامس : الصلاة بصيغ متعددة ، كركعتين في ليلة من ليالي رجب يقرأ فيها بعد الفاتحة التوحيد مئة مرة ، أو عشر ركعات يقرأ

فيها بعد الفاتحة الكافرون مرة والتوحيد ثلاث مرات ، أو صلاة ستين ركعة في كل ليلة ركعتان يقرأ فيها الحمد مرة والكافرون ثلاث مرات والتوحيد مرة واحدة ، فإذا سلم رفع يديه إلى السماء وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وإليه المصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم صل على محمد النبي الأمي وآله » ويمرر يده على وجهه ؛ فقد ورد لهذه الصلوات ثواب عظيم (٤١) .

(٤١) مفاتيح الجنان: ١٢٨.

القسم الثاني: في الأعمال الخاصة بليال وأيام خاصة من رجب ، وفي هذا القسم توجد أعمال عديدة نشير إلى أهمها :

الأول: أعمال الليلة الأولى واليوم الأول من رجب ، وهي عبارة عن صومه والدعاء عند رؤية الهلال في ليلته ، وكذلك الغسل وزيارة الامام الحسين (عليه السلام) في اليوم والليلة كما سبق في الزيارات ، وصلاة عشرين ركعة بعد صلاة المغرب يقرأ فيها بالفاتحة والتوحيد ، والليلة الأولى من رجب هي إحدى الليالي الأربعة التي تحيى بالعبادة كما ذكرنا ، وهناك صلاة أخرى من ثلاثين ركعة بالفاتحة والكافرون مرة والتوحيد ثلاث مرات ، وصلاة أخرى بركعتين يقرأ فيها بالفاتحة والانسراح ثلاث مرات .

كما يوجد دعاء خاص بهذه الليلة روي عن الامام الجواد (عليه السلام) ، وأعمال أخرى (٤٢) .

(٤٢) مفاتيح الجنان: ١٤٠ -

١٤١ .

وفي اليوم الأول - بالاضافة إلى الصوم - يبدأ بصلاة سلمان الفارسي التي هي ثلاثون ركعة ، يؤتى بعشرة منها في اليوم الأول وعشرة في منتصف رجب وعشرة في آخره ، وهي صلاة جليلة بعدها ذكر ودعاء وفيها تفصيل (٤٣) .

(٤٣) نفسه: ١٤٢ .

الثاني: صلاة الرغائب ، وهي صلاة في أول ليلة جمعة من رجب بعد صيام يوم الخميس منه ، حيث يصلي بين العشاء والعتمة اثنتي

عشرة ركعة ، فإذا فرغ من صلاته صلى على النبي وآله سبعين مرة ، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : «سبح قدوس رب الملائكة والروح» ثم يرفع رأسه ويقول : «رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم» ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها ما قال في الأولى ، ثم يسأله حاجته فإنها تقضى إن شاء الله . وقد روي عن رسول الله ﷺ في هذه الصلاة أنه قال : «والذي نفسي بيده لا يصلي عبد أو أمة هذه الصلاة إلا غفر له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، ويشفع يوم القيامة في سبعئة من أهل بيته ممن استوجب النار» الحديث (٤٤) .

(٤٤) وسائل الشيعة ٥
: ٢٣٢ ، وكذلك مفاتيح
الجنان : ١٣٩ .

الثالث : صلاة الليالي البيض في رجب وشعبان ورمضان ، وهي صلاة ورد أن من جاء بها حاز فضيلة الأشهر الثلاثة وغفر الله له كل ذنب سوى الشرك بالله .

وهي ركعتان في الليلة الثالثة عشرة ، وأربعة في الرابعة عشرة ، وستة في الخامسة عشرة ، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وسورة يس والملك والتوحيد كلاً منها مرة واحدة ، ويسبح بعد كل ركعتين . وفيها عمل أم داود المعروف الذي يؤتى به في اليوم الخامس عشر بعد الصيام لقضاء الحاجات وكشف الكروب ودفع الظالمين ، ويشتمل على قراءة القرآن والدعاء بالإضافة إلى الصيام ، وقد جاء تفضيله في المفاتيح (٤٥) .

(٤٥) مفاتيح الجنان : ١٤٤ -
١٤٨ .

وكذلك صيام الأيام وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر منه .

الرابع : أعمال ليلة النصف من رجب وفيها الغسل وزيارة الامام الحسين عليه السلام ، والإحياء بالعبادة من الصلاة التي ذكرت لها مصاديق خاصة إلى الذكر ، وهناك صلاة مشتركة بينها وبين ليلة السابع والعشرين من رجب .

وكذلك أعمال يوم النصف من رجب الذي فيه الغسل والزيارة
للالمام الحسين عليه السلام وبقية صلاة سلمان الفارسي ، بالإضافة إلى
صلاة ودعاء خاصين .

الخامس : أعمال الليلة السابعة والعشرين من رجب ويومها الذي
تقدم الحديث عنه في الأيام ، وهو اليوم الذي كان فيه المبعث النبوي
الشريف .

وقد ورد في ثواب العمل في هذه الليلة عن الامام الجواد عليه السلام «وان
للعامل فيها من شيعتنا أجر عمل ستين سنة . قيل : وما العمل فيها ؟ قال : إذا
صليت العشاء ثم أخذت مضجعتك ثم استيقظت أي ساعة من ساعات الليل كانت قبل
منتصفه ، وصليت اثنتي عشرة ركعة كل ركعة بالحمد وسورة خفيفة من المفصل
(والمفصل سورة محمد عليه السلام إلى آخر القرآن) وتسلم بعد كل ركعتين ، فإذا
فرغت من الصلاة جلست بعد السلام وقرأت الحمد سبعاً والمعوذتين سبعاً وقل هو
الله أحد وقل يا أيها الكافرون سبعاً وإنا أنزلناه وآية الكرسي كل منها سبعاً ، وتقول
بعد ذلك كله : الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
من الذل وكبره تكبيرا . اللهم أسألك بمعاهد عزك على أركان عرشك ومنتهى الرحمة من
كتابك . وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم وذكرك الأعلى الأعلى الأعلى ، وبكلماتك التامات
أن تصلي على محمد وآله وأن تفعل بي ما أنت أهله ، ثم ادع بما شئت» (٤٦) .

(٤٦) مفاتيح الجنان: ١٤٨.

ويستحب في هذه الليلة الغسل وزيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام ،
والصلاة التي ورد ذكرها في ليلة النصف من رجب (٤٧) .

(٤٧) نفسه : ١٤٩.

وفي اليوم الأخير منه بقية صلاة سلمان الفارسي ، كما ورد فيه
الغسل والصوم وأنه يوجب غفران الذنوب ما تقدم منها وما تأخر (٤٨) .

(٤٨) نفسه : ١٥٤.

ب- شهر شعبان

فضيلة شهر شعبان

لقد وردت روايات متظافرة عديدة في فضل شهر شعبان والعبادة

فيه ، فهو شهر منسوب إلى رسول الله ، وكان يلتزم بصيامه - كما
اشرنا - ويحث الناس على هذه السنة فيه ، ووصل صيامه بصيام
شهر رمضان . وقد ذكر العلامة القمي خلاصته لبعض هذه الروايات
الشريفة : «وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : كان السجاد علي بن الحسين عليه السلام
إذا دخل شعبان جمع أصحابه وقال عليه السلام : يا أصحابي ، أتدرون ما هذا الشهر ؟ هذا شهر
شعبان . وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول : شعبان شهري فصوموا هذا الشهر حباً لنيكم وتقرباً
إلى ربكم . أقسم بمن نفسي بيده لقد سمعت أبي الحسين عليه السلام يقول : سمعت أمير
المؤمنين عليه السلام يقول : من صام شعبان حباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقرباً إلى الله أحبه الله
وقربه إلى كرامته يوم القيامة . وأوجب له الجنة» (٤٩) .

(٤٩) مفاتيح الجنان : ١٥٤ .

وفي رواية أخرى للشيخ الطوسي عن صفوان الجمال قال : «قال
لي الصادق عليه السلام : حث من في ناحيتك على صوم شعبان . فقلت : جعلت فداك ،
ترى فيه شيئاً ؟ فقال : نعم ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا رأى هلال شعبان أمر
منادياً ينادي في المدينة : يا أهل يثرب ، إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم : ألا إن شعبان
شهري فرحم الله من أعانني على شهري . ثم قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : ما
فانني صوم شعبان منذ سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في شعبان ، ولن يفوتني
أيام حياتي صوم شعبان إن شاء الله . ثم كان يقول عليه السلام : صوم شهرين متتابعين توبة
من الله» (٥٠) .

(٥٠) وسائل الشيعة ٧ : ٣٧٨ .

ح ٣٢ ، عن المصباح .

وروى إسماعيل بن عبد الخالق قال : «كنت عند الصادق عليه السلام فجرئ
ذكر صوم شعبان ، فقال الصادق : إن في فضل شعبان كذا وكذا ، حتى إن
الرجل ليرتكب الدم الحرام فيغفر له» (٥١) .

(٥١) نفسه ٧ : ٣٧٢ ، ح ١١ ، عن

ثواب الاعمال .

روى الكليني بسند معتبر عن الحلبي قال : «سألت أبا عبد الله عليه السلام :
هل صام أحد من آبائك شعبان قط ؟ قال : صامه خير آبائي رسول
الله صلى الله عليه وآله» .

وفي رواية أخرى للكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
«كن نساء النبي صلى الله عليه وآله إذا كان عليهن صيام آخرن ذلك إلى شعبان كراهة أن يمتنعن

رسول الله ﷺ حاجته ، فإذا كان شعبان صمن وصام معهن رسول الله . وكان رسول الله ﷺ يقول : شعبان شهري» (٥٢) .

كما روى الصدوق في الفقيه بسند معتبر عن بعض العلماء وغيره بأسانيد متعددة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : «من صام شعبان كان له ظهوراً من كل ذلة ووصمة وبادرة . قال أبو حمزة : فقلت لأبي جعفر عليه السلام : ما الوصمة ؟ قال : اليمين في المعصية والنذر في المعصية . قلت : فما البادرة ؟ قال : اليمين عند الغضب والتوبة منها الندم عليها» (٥٣) .

وقد روى الصدوق في ثواب الأعمال بسند معتبر عن إسماعيل بن زياد عن أبي عبد الله قال : «قال رسول الله ﷺ : شعبان شهري ، ورمضان شهر الله وهو ربيع الفقراء . وإنما جعل الأضحى ليشبع مساكينكم من اللحم فاطعموهم» (٥٤) .

كما ورد في صومه أنه سبب لشفاعة رسول الله ﷺ في يوم القيامة (٥٥) ، وأن إكثار الصوم فيه سبب لإصلاح المعيشة والوقاية من شر الأعداء ودخول الجنة» (٥٦) .

أعمال شهر شعبان

وقد قسم العلامة القمي - كعادته - أعمال شهر شعبان إلى قسمين : الأول : الأعمال العامة التي تؤدي في مختلف أيام الشهر ، والثاني : الأعمال الخاصة بأيام أو ليالٍ خاصة من الشهر .

أما أعمال القسم الأول فيمكن تلخيصها في أمور :

الأول : الصيام ، وهو أهمها وأكثرها ، ويكاد أن يتميز به هذا الشهر ، كما فهمناه من الروايات السابقة المتظافرة والصحيحة .

الثاني : الذكر لله تعالى ولا سيما الاستغفار ، فقد ورد في عدة روايات الحث على الاستغفار سبعين مرة في كل يوم ؛ لأن فيه ثواباً عظيماً إذ يحشر يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ ، وتجب له

(٥٢) وسائل الشريعة ٣٦٠:٧ ، ح ١٦ ، عن فروع الكافي وغيره .

(٥٣) نفسه ٣٦٢:٧ ، ح ٧ . عن الفقيه والكافي ومصباح المتجهد ومعاني الأخبار ، وثواب الأعمال والتهديب .

(٥٤) نفسه ٣٧٢:٧ ، ح ١٢ ، عن ثواب الأعمال .

(٥٥) المصدر السابق : ٣٧٣ ، ح ١٦ .

(٥٦) المصدر السابق : ٣٧٥ ، ح ٢٤ .

الكرامة من الله تعالى ، وتكتب له البراءة من النار والجواز على الصراط للجنة وحلول دار القرار ، ويغفر الله له ذنوبه ولو كانت بعدد النجوم ، وورد أن الاستغفار فيه سبعين مرة مثل الاستغفار في سائر الشهور سبعين ألف مرة ، وصيغته «استغفر الله واسأله التوبة» أو «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم واتوب إليه» (٥٧).

(٥٧) وسائل الشريعة ٧:

٣٧٨-٣٨٠، ج ١ و ٢ و ٤ و ٥

و ٦.

ومن الأذكار المروية مرسله عن النبي ﷺ - كما في الإقبال -: «لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون» يقولها ألف مرة في شعبان ، فإن فيها ثواباً جزيلاً (٥٨).

(٥٨) نفسه ح ٨.

الثالث: الصدقة على الفقراء والمحتاجين كما أشير إليه في الروايات السابقة من أن شعبان ربيع الفقراء . وقد جاء التأكيد لذلك في عدة روايات ، وأن «من تصدق بصدقة في شعبان رباها الله جل وعزله كما يربي أحدهم فصيلة ، حتى يوافي يوم القيامة وقد صارت مثل أحد» (٥٩) ، كما أن التصديق فيه ولو بشق تمره يوجب تحريم جسد الانسان على النار (٦٠).

(٥٩) نفسه ح ٣ و ٧.

(٦٠) نفسه ح ١.

الرابع: الصلاة على رسول الله وآله والإكثار منها .

وقد روى احمد بن عيسى في (نواذره) بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «قال رسول الله ﷺ : رجب شهر الاستغفار لأمتي . أكثروا فيه من الاستغفار ، فإنه غفور رحيم [إلى أن قال] وأكثروا في شعبان من الصلوات على نبيكم [ثم قال] : وإنما سمي شعبان شهر الشفاعة لأن رسولكم يشفع لكل من يصلي عليه فيه» (٦١).

(٦١) نفسه: ٣٨١، ح ١٠.

وقد ورد في بعض الروايات صيغة رائعة من الصلاة على رسول الله وأهل بيته ، مع دعاء جميل لله تعالى يتوسل فيه الانسان برسول الله في شعبان (٦٢).

(٦٢) نفسه : ٣٦٥، ١٨.

ونذكرها في مفاتيح الجنان:

١٥٦.

الخامس: الدعاء والمناجاة لله تعالى ، ولم تترك نصوص خاصة

(٦٣) مفاتيح الجنان: ١٥٦ -
١٥٩

في هذا الموضوع ، إلا أنه عرفت في هذا المجال المناجاة التي رواها ابن خالويه وذكر أنها مناجاة أمير المؤمنين والأئمة من ولده ، وهي مناجاة رائعة وذات مضامين عرفانية عالية (٦٣) .

القسم الثاني: وهو الأعمال الخاصة بالأوقات من الليالي والأيام ، فيبدو من خلال كتب الزيارة والأعمال وكذلك ما يستفاد من بعض النصوص أن هناك أوقاتاً خمسة جاء الاهتمام بها خاصة .

الأول: هو اليوم الأول من شعبان وليلته . حيث جاء تأكيد صيامه ، وذكر السيد ابن طاووس في الإقبال صلاة لليلة بل لليالي الأولى الثلاث منه .

الثاني: يوم الخميس من الشهر الذي ذكر فيه الصلاة بركعتين يقرأ فيها فاتحة الكتاب مرة والتوحيد مئة مرة ، ويعقب بعدهما بالصلاة على النبي وآله مئة مرة ليقضى له كل حاجة من أمور دينه ودنياه .

الثالث: اليوم الثالث من شعبان الذي هو يوم مولد الإمام الحسين عليه السلام ، فقد ورد فيه - كما ذكر الشيخ الطوسي في المصباح - عن الإمام العسكري عليه السلام أنه يستحب صيامه والدعاء فيه بدعاء لله تعالى خاص فيه توسل بالله بحق الحسين والأئمة منه ولده عليه السلام ، وهو دعاء يتضمن مضامين عالية ويعبر عن الولاء للحسين والأئمة من ولده عليه السلام ، والالتزام بنهجهم .

وكذلك ورد فيه عن الصادق عليه السلام الدعاء بما دعا به الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عندما رأى كثرة أعدائه (٦٤) .

الرابع: ليلة النصف من شعبان ، وقد تقدم الحديث عنها في الشعائر عندما تناولنا الأيام والليالي .

الخامس: الأيام الأخيرة من الشهر ومنها آخر ليلة فيه ، حيث ورد عن الرضا عليه السلام أنه قال : «من صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصلها بشهر

(٦٤) مفاتيح الجنان: ١٦٤ -
١٦٥

رمضان كتب الله تعالى له صيام شهرين متتابعين» .

وعن أبي الصلت الهروي قال : «دخلت على الامام الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان فقال لي : يا أبا الصلت، إن شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة فيه فتدارك فيما بقي تقصير فيما مضى منه ، وعليك بالإقبال على ما يعينك ، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتب إلى الله من ذنوبك : ليقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عز وجل ، ولا تدعن أمانة في عنقك إلا أديتها ، ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلا نزعته ، ولا ذنباً أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه ، واتق الله وتوكل عليه في سر أمرك وعلانيتك ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ، وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر : اللهم إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه ، فإن الله تبارك وتعالى يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار لحرمة هذا الشهر» (٦٥) .

(٦٥) مفاتيح الجنان: ١٧١.

كما ورد عن الصادق عليه السلام دعاء يدعى به في آخر ليلة من شعبان وأول ليلة من رمضان (٦٦) .

(٦٦) م. ن.

قال الإمام الرضا (ع) :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَلِلَّهِ الْمَعْرِفَةُ وَالتَّحْيِيَةُ .

عيون أخبار الرضا (ع) ١ : ١٢

نَظَرَةٌ فِي مَبَايِنِ

وَلَايَةِ الْفَقِيهِ

٢

من فقه مدرسته
أهل البيت عليهم السلام

الشيخ
عبد الله الهادي الآملي
ترجمة: عباس الأسدي

● الولاية والسياسة

قد يقال أحياناً إن الولاية لا تتسجم مع الحكومة والسياسة ؛
لأن الولاية بمعنى القوامة ثابتة دائماً بالنسبة إلى الشخص



لا بالنسبة إلى المجتمع ونظام ادارة البلد .

اجل ، الولاية التي تعني القيام على المحجور التي وردت في كتاب
الحجر في الفقه ، وكذلك الولاية بالنسبة لتجهيز الميت والصلاة عليه
ودفنه ، وولاية ولي الدم ، كل هذه لا تتسجم مع حكم المجتمع ولا
علاقة لها بالولاية في الآية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(١) ؛ لأن هذه الولاية تعني
الحكومة والادارة ، وإذا كانت الآية تعني ولاية الله والنبي صلى الله عليه وآله وأمير
المؤمنين عليه السلام ، فهذه الولاية تخاطب المؤمنين والعلماء وأولي الالباب ،
لا المجانين .

فإذا كانت الولاية بمعنى الاشراف سواء في النظام التكويني أو
التشريعي ، فهي أولاً وبالذات ثابتة لله تعالى : ﴿ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ ، كما

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) الرعد : ١١ .

(٣) الشورى : ٩٠ .

(٤) يوسف : ٤٠ .

جاء في سورة الرعد المباركة : ﴿ وما لهم من بونه من وال ﴾ (٢) ؛ لأنّ الولاية والاشراف التكويني أمر خاص بالله تبارك وتعالى ، فإذا هدد المجتمع خطر أو عذاب فلا يمكن لأحد أن يدفعه أو يرفعه إلا الله ؛ لأنّ الوالي التكويني حقيقة هو الله . أما الآية : ﴿ والله هو الولي ﴾ (٣) ، ففيها حصر للولاية المطلقة في الذات القدسية الالهية تكويناً وتشريعاً ؛ وإن الحكم لإلهه ﴿ (٤) ، وثانياً وبالعرض للأنبيا والاولياء والائمة ، ثم الفقهاء العدول الذين هم مظاهر لهذه الولاية .

فإذا قيل إنه لا يوجد شيء اسمه الولاية بمعنى الاشراف فهو قول باطل ، ولو قيل إن الولاية بمعنى القيام على المحجورين غير ثابتة بشأن المجتمع ، فهو قول حق ؛ لأنّ القائلين بولاية الفقيه لا يقولون أن الولاية المنصوص عليها في الدستور للفقيه بشأن الأمة الاسلامية ، هي من نوع ولاية كتاب الحجر أو الولاية على تجهيز الميت أو الولاية على القصاص والحدود والديات ؛ لأنّ هذه كلها لا علاقة لها بالاشراف على المجتمع الاسلامي ، بل المراد من : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾ الولاية على المجتمع ، وولاية الفقيه مظهر من مظاهر تلك الولاية التي تدير شؤون المجتمع الاسلامي ، وفقاً لموازين الاحكام والحكم والمصالح العقلية والنقلية .

دور الامة في انتخاب الولي الفقيه

يقال احياناً إن ولاية الفقيه هي لغز في الجمهورية الاسلامية لا حلّ له ، يلزم بوجوده عدمه ، بمعنى أنه إذا كانت ولاية الفقيه موجودة فهي غير موجودة ، وإذا كانت غير موجودة فهي موجودة ؛ لأنّ الامة في الجمهورية الاسلامية تختار القائد بنفسها ، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، فإذا كان للامة حق الانتخاب فهي غير محجورة وليست بحاجة إلى الولي ؛ وإذا كان الفقيه ولي الأمة فذلك

يسلب منها حق الانتخاب ، ومن ثم أصبح الجمع بين ولاية الفقيه والقبول برأي الناس لغزاً محيراً لم يتوصل إلى فك رموزه احد ؛ إذ معناه أن الامة طلبت برأيها أن يسلب عنها الرأي .

مصدر هذه الاشكالية هو حصر الولاية فيما جاء في كتاب الحجر ، لكن الشبهة تجد طريقها إلى الحل إذا اعتبرنا أن الولاية تعني الاشراف على العقلاء ، كما جاء في الآية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ﴾ ، والآية : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وواقعة الغدير ، فهل كانت ولاية امير المؤمنين عليه السلام في حديث الغدير ولاية قيام على المحجورين أم اشرافاً على اولي الالباب ؟ فالوالي لا يعني القيم على المحجورين وإنما يعني المسؤول عن امور العقلاء في المجتمع ، وقد يكون هذا الولي أو الحاكم معروفاً لدى الامة أو مجهولاً ، فإذا كان مجهولاً رجعت الامة إلى اهل الخبرة منهم جليلة الأمر ؛ وهذا نظير ما نقرأ من أن النبي صلى الله عليه وآله ابتدأ الناس بالسؤال في يوم الغدير قائلاً : «أليس أولى بكم من انفسكم ؟ قالوا : بلى ، قال : من كنت مولاة فعلي مولاة»^(٥) ، ووافقت الامة على ذلك ، فهل يصح أن نقول عن هذا الحدث إنه يلزم العدم من وجوده والوجود من عدمه ؟ فلو كانت الولاية محصورة في معنى القيام على المجانين ، لما أمكن الجمع بين الولاية ورأي الامة ؛ لأن الجمع بينهما يعني أن ولاية الولي ستثبت برأي المحجور الذي لا يملك مثل هذا الحق .

والنبي صلى الله عليه وآله هو الذي طرح مفهوم الجمهورية الاسلامية والرجوع إلى آراء الامة ، واعتبر اسلامية النظام قائمة على اساس الوحي ، وجماهيريته على اساس قبول الشعب ، وقال : ﴿ فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴾^(٦) فإذا كنتم تعقلون فعليكم أن تسمعوا لي بعد أن قضيت فيكم اربعين عاماً اختبرت فيها وعُرفت بالأمين . وتبين الفقرة الاولى من الآية ﴿ فقد لبثت فيكم عمراً ﴾ كون النظام الاسلامي نظاماً جمهورياً قائماً على اساس قبول الناس ، بمعنى أن الله تبارك وتعالى

(٥) بحار الأنوار ٣٧ : ١١٩ .

(٦) يونس : ١٦ .

هياً كل الامور من وحي ورسالة ونبوة وولاية ، ولم يبق إلا قبولكم بهذا الامر ، وبيان آخر إن الدين الاسلامي مهياً دون آية نقيصة من النبوة والرسالة والولاية والقيادة ، ولا حاجة إلى أن تنتخبوا القائد ، إنما عليكم أن تقبلوا بهذا كله وتعملوا به .

ومثل هذا الامر لا يحمل في طياته أية تناقضات ، بمعنى أن هذا الدين هياً العناصر المرتبطة بالقوانين وتفسيرها ، وأعد من يبين ويعلم الكتاب والحكمة ويزكي النفوس ويُجري الحدود ، وهم أهل البيت عليهم السلام ، وما على الناس إلا القبول ، وهذا القبول يتسم بطابع التولية لا التوكيل ، ولا يولد أي تناقض ، والغرض أن كل المناصب الإلهية ، في مقام الثبوت ، ثابتة للمعصومين عليهم السلام ؛ أما الاثبات العملي لها فيعتمد على رأي الأمة ، وهذا التفسير للولاية لا يتطرق إليه توهم التناقض .

تحريف المناصب وضرورة مراجعة الخبراء

بما أن المناصب الحقيقية كمال ، وجدت في قبالتها مناصب مزورة كثيرة ابتداءً بالربوبية حتى الايمان ، ومثالاً على ذلك نذكره عدة أمثلة ليتضح أن في قبال كل حق يوجد باطل مدع للحق أيضاً ، ففي مجال الربوبية سعى البعض في البدء إلى محاربة فكرتها أساساً ، في حين أن الله تعالى هو رب العالمين ولا رب سواه ، إلا إنهم عندما لاحظوا أن البشر بحاجة إلى رب ، قالوا إن الرب موجود في العالم لكنه ليس هو الله ، وادعوا هذه الربوبية لانفسهم كما قال فرعون : ﴿أنا ربكم الاعلى﴾ (٧) ، و ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ (٨) . إنه لم يتحدث بهذا الكلام أول الامر ، لكن بعد أن أعيته الحيلة في إزالة فكرة الربوبية ، ادّعاها لنفسه .

وبعد الربوبية تنتهي إلى النبوة ، وهي أيضاً لم تسلم من مقارعة

(٧) النازعات : ٢٤ .

(٨) القصص : ٢٨ .

أقطاب الظلم والكفر ، وحينما فشلوا ادعوا بأن النبوة حق ، وأن النبي يبعثه الله تعالى لهداية الناس ، لكنهم وضعوها في غير موضعها ، ولهذا نرى أن عدد المتنبيين لم يكن أقل من عدد الانبياء ، فكلمة بُعث بالحق نبي ظهر بوجهه عدد من المتنبيين . وحينما سُئل بعض زعماء الجاهلية عن السبب في رفضهم النبي ﷺ ، رغم ما أتى به من معجزات ، وإيمانهم بمسيلمة الكذاب ، قالوا لأن مسيلمة ينتمي إلى قبيلتهم .

وكذا الامر بالنسبة للخلافة والامامة ، فقد قالوا في البدء إن النبي ﷺ لم يعين بعده ولياً واماماً للامة ، لكنهم سرعان ما تداركوا هذا الامر ، بعد أن ادركوا أن النبي لا يمكن أن يكون قد بيّن كل شيء وأغفل أهم فقرة في الدين وهي القيادة ، فاختلفوا فضائل كثيرة للآخرين ووضعوا للناس أحاديث لإثبات خلافة البعض .

وبعد مسألة الخلافة والإمامة ينتهي الدور إلى العلماء ، فقد شنّ الطغاة حرباً لا هوادة فيها على المفكرين وعلماء الدين ، فلما رأوا أن المجتمع يذعن لهذه الفئة ويواليها ، وأن رجال الدين ثلة جماهيرية أصيلة ، صنعوا إزاءهم علماء البلاط لكي يصدروا الفتاوى التي تحقق للحكام رغباتهم .

وعندما نصل الى عامة الناس ، ونلاحظ مسار الايمان فيما بينهم ، نجد أن المنافقين قد بذلوا اول الامر كل ما في وسعهم لمحاربته ، وبعد أن عرفوا قيمته في المجتمع الاسلامي تظاهروا به : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ (٩).

(٩) البقرة : ١٤ .

فيما مر نلاحظ وجود تيار محرّف ومزوّر امام كل تيار أصيل من الربوبية حتى الايمان ، فكيف تميّز الامة بين الحق والباطل لدى اختلاطهما وتزوير المناصب ؟ هنا تتضح اهمية رأي الامة حيث يدفعها إلى التفكير واختيار الحق ، ويصبح من الضروري الرجوع

إلى اهل الخبرة وتشكيل مجلس خبراء ، وهذا لا يعني سلب الرأي عن الامة ، وإنما يعني ممارستها لحق التولية ، وليس هناك من تناقض بين رأي الناس وولاية الفقيه ، ليقال إن ولاية الفقيه إن وجدت فهي غير موجودة وإن كانت غير موجودة فهي موجودة ، وإذا كان الفقيه ولياً فما للامة حق رأي ، وإذا كان لها هذا الحق فهو ليس بولي . كل هذه الاشكاليات والشبهات تبرز بسبب حصر الولاية في المعنى الذي جاء في كتاب الحجر .

رد على شبهة

قد يثار هنا هذا السؤال : لم امتاز النبي ﷺ عن غيره في قضية النكاح ، اذا كان الولي لا يختلف عن المسلمين بأية خصوصية ؟ في الدين سلسلة من الاحكام الخاصة بالرسول لكونه رسولاً ، وهذه الاحكام لا تشمل الفقيه ، وإنما هي مجموعة احكام ترخيصية أو الزامية من اجل المصالح العامة والعليا ، فصلاة الليل مثلاً واجبة على النبي ﷺ مستحبة للآخرين ، ودخول من في فمه رائحة البصل أو الثوم الى المسجد أو إلى سائر المراكز الاجتماعية والدينية مكروه ، ولكن حكمه بالنسبة إلى النبي ﷺ اشد من الكراهة على حد تعبير البعض ، أي إنه حكم الزامي لا يحق له به دخول تلك الأماكن برائحة الثوم أو البصل ، والدين هو الذي يحدد هذه المباحات أو المضيقات تحقيقاً للمصالح العليا التي يشخصها .

التناقض بين ولاية الفقيه والانتخاب

يقال إن ولاية الفقيه تتناقض ولا تنسجم مع الديمقراطية والحرية والانتخابات وتشكيل مجلس الخبراء وماشابه ، ولذا فإن النظام القائم على ولاية الفقيه نظام باطل ، وحينئذ فإن أي اتفاق يعقد معه (داخلياً أو خارجياً) فهو باطل شرعاً ، ويمكن لثاني طرفي العقد أن يستوفي

حقوقه متى ما شاء .

ويستدل اصحاب هذا القول بأمرين :

الأول: أن الولاية - نظراً إلى أنها تعني القيام على المحجورين - تتناقض مع آراء الناس وانتخاب مجلس الخبراء وامثال ذلك، بمعنى أن الناس سواء انتخبوا الفقيه مباشرة ، أو انتخبوا الخبراء الذين ينتخبون ولياً للناس ، فإن هذا يعني أنهم عقلاء لهم حق الرأي ، وحينئذ فليسو بحاجة إلى الولي ، ومن جانب آخر إذا كان الفقيه ولياً على الناس فليس لهم حق الرأي ، وهذا التناقض يبين أن النظام القائم على اساس ولاية الفقيه نظام متناقض .

الثاني: أن أي شرط يباين ويخالف نص العقد في المعاملات يفسد العقد ، ولتوضيح ذلك نقول : إن مضمون العقود ومحتوى الاتفاقيات على اربعة انواع : ملكية عين ، و ملكية منفعة ، و ملكية انتفاع ، وحق استمتاع .

فالنوع الأول : مثل البيع والشراء والمصالحة التي لها حكم البيع والشراء ، ومحتوى هذا العقد أن البائع يملك الثمن والمشتري يملك الثمن ، فمحتوى عقد البيع ملكية العين .

وفي الاجارة يكون محتوى العقد هو ملكية المنفعة لا العين ، فعندما يُستأجر محلٌ للتجارة أو للسكن فهذا معناه أن يبقى اصل الملك للمؤجر ، بينما يملك المستأجر منفعة ذلك المحل .

ومن النوع الثالث أن يكون العقد المبرم عقد عارية ، فإذا اعار المعير للمستعير صحناً باللفظ أو بالفعل ، فللمستعير حق الانتفاع، ويمكن أن يستفيد منه دون أن يكون مالكاً للمنفعة كما يملكها المستأجر ، فالمستعير يملك الانتفاع لا المنفعة .

وفي النكاح يصبح الزوج بعقد النكاح مالكاً لحق التمتع والاستمتاع، وهو النوع الرابع من العقود .

وهنا نسأل : هل الشرط الحرام الذي لا يخالف لمقتضى العقد يُفسد

العقد ؟

قال البعض إن الشرط الحرام لا يفسد العقد حتى وإن كان مخالفاً لكتاب الله وفاسداً . ولكن لا يختلف اثنان في أن الشرط المخالف لنص العقد (لا لاطلاق العقد أو للوازمه) فاسد مفسد للعقد ، مثال ذلك أن يبيع أحدهم للآخر منزلاً بشرط ألا يصبح المشتري مالكاً للمنزل ، أو بشرط ألا يصبح البائع مالكاً للثمن ، فهذا الشرط المخالف لمقتضى العقد فاسد ومفسد للعقد ، أو أن يؤجر شخص لآخر منزلاً أو متجراً بشرط ألا يصبح المستأجر مالكاً للمنفعة ، أو بشرط ألا يصبح المؤجر مالكاً للاجرة ، أو أن يُعار صحن بشرط ألا يكون للمستعير حق الانتفاع ، أو يشترط في عقد النكاح ألا يحق للزوج الاستمتاع بالزوجة ؛ فهذه كلها شروط فاسدة مفسدة لمخالفتها لمقتضى العقد .

والذي يُشكل على ولاية الفقيه من هذا الباب ، إنما يريد أن يقول إن الأمة تلتزم - عندما تنتخب الفقيه مباشرة أو بصورة غير مباشرة - بتعهد متقابل مع الفقيه الجامع للشرائط ، وتصوّت على ألا يكون لها حق الرأي ، وتتعاقد معه على ألا تتدخل في العقود والاتفاقيات ؛ لأنها تنتخب الولي ، والولاية تعني امساك الولي بجميع الصلاحيات ، وأن تكون الأمة مولئ عليها ومحجورة لا يحق لها أن تبدي رأيها .

إذن مثل هذه الانتخابات فاسدة ومفسدة ، لأنها تخالف نص العقد والالتزام المتقابل ، ومن ثم تكون الانتخابات التي اقيمت حتى الآن فاسدة مفسدة ، والحكومة التي جاءت بها باطلة ، ويبطل معها أي عقد للبيع والشراء أبرمته مع جهات داخلية أو خارجية .

الرد على الشبهة

صحيح أن الشرط المخالف لمقتضى العقد فاسد ومفسد ، ولكن

ثمة ملاحظتان لابد من اخذهما بالاعتبار :

الأولى : أن الولاية التي تعني الاشراف تختلف عن الولاية في كتاب الحجر ، فمن يتحدث في قضايا الحكومة الاسلامية والسياسة الاسلامية وولاية الفقيه ، يجب أن يصرف كل نظره عن الولاية على الصبيان والاموات وماشابه ، ويفكر فقط بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ﴾ وما تحمله هذه الآية من معنى هو ثابت للأنبياء بالاصالة ، ومن ثمّ للائمة المعصومين ، ولخواص نوابهم بالعرض ، امثال مسلم بن عقيل ومالك الاشتهر ، ثم لعامتهم مثل الامام الراحل عليه السلام .

الثانية : يوافق المؤيدون والمعارضون لولاية الفقيه الجامع للشرائط على نموذجين لولايته :

الأول : حينما يوافق الناس على مرجعية احد مراجع التقليد ، فهل يختارونه وكيلاً لهم أم ولياً في الفتوى ؟

الحق أن الدين هو الذي عين الفقيه الجامع للشرائط في هذا المنصب ، سواء رجع الناس إليه أم لا ، ولكن تحقق الجانب العملي في المنصب يرتبط بقبول الناس ، فقد ترى فقيهاً جامعاً للشرائط يجوز تقليده ، بيد أنه لم يطرح نفسه لتقلّد هذا المنصب ، أو أن الناس تجهله لسبب أو آخر ، ومن ثم لا تدخل مرجعيته حيّز الفعل والعمل ، في حين ترى اقبالاً من الناس على فقيه آخر يحمل نفس المواصفات العلمية .

والسؤال هنا : هل يعتبر الفقيه الذي اختير للمرجعية من قبل الامة وكيلاً عنها ، أم الله تبارك وتعالى هو الذي وضعه في هذا المنصب ؟ غاية الامر أن الأمة رجعت إليه بعد أن وجدت فيه الكفاءة والصلاحية المطلوبة ، وهو من ثم ليس وكيلاً عن الناس ؛ لأن الوكيل لا يصبح وكيلاً مالم تمنحه الامة حقاً من خلال انشاء عقد الوكالة معه ، فثبوت الوكالة مشروط بالتوكيل من قبل الموكلين . أما ثبوت المرجعية

لشخص فليس مشروطاً برجوع الناس إليه ، وليس الأمة هي التي تمنحه هذه السمة .

الثانية : القضاء الذي يمارسه الفقيه الجامع للشرائط في عصر الغيبة ، حيث إن هناك إجماعاً على ثبوت حق القضاء له شرعاً ؛ فهل يعتبر الفقيه في هذا المنصب وكيلاً للناس ، أم الدين الاسلامي هو الذي نصبه للقضاء ؟

لا شك أنه قاضٍ وأن الناس لم يمنحوه أية سمة ، وإنما يدخل قضاؤه حيز الفعل من خلال ترافع الناس إليه والقبول بحكمه .

هذان النموذجان ليسا من نوع الوكالة ، بل يمثلان جانباً من الولاية، بمعنى أن الفقيه الجامع للشرائط الذي يمثل مرجعاً للتقليد هو ولي الفتوى ، وليس وكيلاً للناس في الافتاء ، ويجب على المجموعة التي تقلده أن تطيعه ، وهكذا الامر بالنسبة للفقيه الجامع للشرائط الذي يتولى منصب القضاء . غاية الامر أن الافتاء إخبار بالحكم ، والقضاء إنشاء للحكم .

إذن فدور الامة هو الرجوع إلى المناصب التي أعطاها الدين للفقهاء بعد تشخيصها والقبول بها ، فإذا كان الفقيه الجامع للشرائط معروفاً على المستوى العالمي ، كالشيخ الانصاري رحمته الله ، انتفت الحاجة للسؤال عن البيّنة والشاهدين العادليين ، ويستطيع المقلّد أن يرجع إليه مباشرة ، وإذا تساوت مستويات عدد من العلماء ، أو كان احدهم أعلم من غيره ولكنه غير معروف بذلك ، فعلى الناس أن تسأل اهل الخبرة عن الاعلم أو عن عدد المتساوين .

إذن حينما يرجع الانسان إلى فقيه جامع للشرائط في الفتوى أو في القضاء ، فهو في الحقيقة انما يقبل بمرجعيته وليس يمنحه المرجعية ، ويكون الفقيه وكيلاً عنه في الافتاء أو في القضاء .

إن اقبال الناس على الفقيه في ذينك المجالين ليس وكالة بل هو

قبول بالولاية ؛ فمثلاً إذا وافقت الامة على مرجعية احد الفقهاء - بشرط أن تسكت في قبال فتاواه الفقهية - فهل يُعتبر هذا الشرط مخالفاً لمقتضى هذه المعاهدة ؟ وإذا وافق الناس على قضاء فقيه جامع للشرائط ، ونصّوا على اعتمادهم لقضائه وسلطته القضائية - بشرط أن يلتزموا الصمت حيال الاحكام الصادرة عنه - فهل هذا الشرط مخالف لمقتضى مثل هذه المعاهدة ؟ وإذا انتخب الناس عدداً من الخبراء ليطلعوهم على مرجع صالح للتقليد ، يذعنون بمرجعيته ويسكتون امام فتواه ، فهل يعتبر هذا مخالفاً للمعاهدة ؟

المعارضون - إذن - يوافقون على النموذجين المذكورين لولاية الفقيه ، إلا إنهم يثيرون الشبهات حول الولاية على المجتمع وتدبير اموره ، ويقولون إن هذا النوع من انتخاب الفقيه يعني سلب الرأي عن الأمة ، وهو شرط يخالف مقتضى العقد ، فنرد ونقول : إذا اصبح الفقيه الجامع للشرائط والياً على المجتمع العاقل ، الذي يتقبل ولايته اعتماداً على الآية الكريمة : ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ ﴾ ، التي تثبت الولاية للمعصوم ، ثم لنائبه الخاص ، ثم لنائبه العام ، على أن يحكما طبقاً للكتاب والسنة ، فهل يعني هذا أن أية معاملة يعقدها الفقيه ستكون فضولية ؟ وأن جميع عقوده باطلة ؟

الحق أن الناس آمنوا بالدين ولا رأي لهم أمامه ، ولكونهم عقلاء يقولون : لا كلام لنا امام كلام الله ، ولا اجتهاد لنا مقابل النص .

فإيمان الانسان بالدين وقبوله به إنما يعنinan القبول بالحق ، وحينما يعتبر المرء الدين حقاً ، فهذا يعني أن احكامه أيضاً ستكون حقاً ، ولا يسمح هذا الانسان لأهوائه أن تقف بوجه الحق ، ولا لاجتهاده أن يقف امام النص .

وفي الغدير هل بايع المؤمنون الذين وافقوا على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، علياً عليه السلام وكيلاً أم ولياً لهم ؟ ، فقد قال تعالى : ﴿ بَلَغَ مَا

أنزل إليك من ربك ﴿١٠﴾ ، والنبي ﷺ بلغ ما عليه وقال : «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ، والامة بدورها وافقت على ذلك وبايعت قائلة : «بخ بخ لك يا امير المؤمنين» ، فهل جعلته وكيلاً لها دون أن يكون له ﷺ هذا المنصب لولا مبايعة الناس ، أم قبلته ولياً لها ؟

فإذا كان علي بن أبي طالب وكيلاً للامة ، فهذا يعني أنه لا حق له ما لم تبايعه . أما إذا كان معيناً من قبل الله تعالى فله حق الاشراف ، والامة شخّصت أن هذا الامر حق ووافقت عليه .

بناء على ذلك يكون أي عقد يبرمه الوالي الاسلامي أو من ينوب عنه ، إنما يتم على اساس موافقه الامة ورضاها ؛ لأنها اعطت رأيها للدين باعتباره دين حق ، ثم اعطت رأيها مرة أخرى ليطبق الدين من هو خبير عالم مؤمن به ، وهذا يعني أنها وافقت على المسؤولية المناطة به ، وليست هي التي وكلته على هذه المهمة ، ومثل هذا الشرط لا يتناقض ومقتضى العقد ابداً . نستنتج من ذلك :

أولاً : أن الوكالة تختلف عن الولاية .

ثانياً : أن للولاية عدة أقسام .

ثالثاً : أن الولاية المطروحة في مسألة الحكم ليست من سنخ الولاية المذكورة في كتاب الحجر ، وإنما هي من سنخ الولاية المطروحة في الآية : ﴿إنما وليكم الله﴾ .

رابعاً : أن هذه الولاية إما أن تكون بالاصالة أو بالنيابة ؛ فإذا قيل إن الفقيه الجامع للشرائط وكيل الامام صح القول ، وإذا قيل إنه وكيل ونائب معين من قبل ولي العصر صح ايضاً ، والخطأ أن يقال إنه وكيل عن الناس ، أو إنهم هم الذين وضعوه في هذا الموضع .

والفرق بين هذه الامور هو أن الامام المعصوم ﷺ ، ولا سيما ولي العصر ارواحنا فداه ، يستطيع أن يمارس مهمتين ، فهو يستطيع أن يوكل احداً نيابة عنه في أداء مهمة معينة ؛ بمعنى أنه من الممكن أن

يجعل الامام وكيلاً عنه أو نائباً ، كما أن الامام المعصوم عليه السلام يستطيع أن يجعل الولاية لشخص ما ، مثال ذلك أن يجعل عليه السلام متولياً للوقف الذي ليس له فعلاً من يتولاه ، فلو أن مرجع التقليد وكل شخصاً على مهمة ، فسوف تبطل هذه الوكالة ب وفاة ذاك المرجع ؛ لأن الوكالة تبطل بموت الموكل ، ولكن إذا عيّن المرجع شخصاً متولياً على الوقف ، فإن هذه الولاية لن تبطل ب وفاة المرجع .

والخلاصة أن جعل الوكالة هو غير جعل الولاية ، والامام المعصوم بإمكانه القيام بالاثنتين ، أي إنه يستطيع أن يوكل من يشاء كما يستطيع أن يجعل الولاية لآخرين ، أما الأمة فلا يحق لها هذان الأمران فيما يتعلق بالمسائل الدينية ، فلا يمكنها أن تجعل منصب الولاية لمرجع التقليد ، كما لا يمكنها أن تعتبر المرجع وكيلاً ؛ فهي لا تجعل للفقهاء الجامع للشرائط وكالة في القضاء ليكون وكيلاً فيه ، كما لا تجعله ولياً في القضاء لتصبح له الولاية فيه من قبلها ؛ لأن هذه المناصب قد وضعها الدين للفقهاء الجامعين للشرائط ، سواء وافقت على ذلك الأمة أم رفضت ، فهو حق ثابت للفقهاء . أما المؤمنون فيتحرون عن الذين يتصدون لهذه المناصب ثم يوافقون على الفقيه الجامع للشرائط ، أي إن الأمة تقبل بالفقيه الوالي لا توكله ، مثلما تقبل بالمرجع . وقد توافق الأمة على ولاية الولي بصفته نائباً خاصاً عن المعصوم ، نحو ولاية مسلم بن عقيل ومالك الاشتر ، أو توافق على الولي وهو يحمل صفة النيابة العامة ، وعليه فإن ولاية الفقيه ليست شرطاً فاسداً ومفسداً ، كما أن المعاهدات الداخلية والخارجية للنظام الاسلامي ليست فضولية .

والخلاصة أن الولاية في القرآن والسنة ، جاءت تارة بمعنى التصدي لامور الاموات أو من هم بمنزلة الاموات ، وتارة بمعنى التصدي لامور المجتمع الاسلامي .

ومن النصوص التي تريد المعنى الأول ، قوله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل ﴾ (١١) ، وقوله تعالى : ﴿ لنبيئته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ﴾ (١٢) ؛ فالولاية في الآيتين الكريمتين تعني التصدي لأمور الأموات ، وقوله تعالى : ﴿ فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل ﴾ (١٣) ، فالولاية في هذه الآية تعني التصدي لأمور المحجورين الذين هم بمنزلة الأموات .

(١١) الاسراء: ٣٣ .

(١٢) النمل: ٤٩ .

(١٣) البقرة: ٢٨٢ .

أما النصوص التي تريد المعنى الثاني ، أي الولاية على المجتمع الانساني ، فمنها قوله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ (١٤) ، وقوله : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ (١٥) . ولكل قسم من الولاية احكام بيّناها اجمالاً ، وولاية الفقيه هي من القسم الثاني ؛ وعليه فإنه ليس المراد كون المجتمع الاسلامي مجتمعاً محجوراً ، وليس شيء من احكام الولاية على المحجورين المطروحة في الفقه ، سواء في باب تجهيز الأموات ، أو القصاص ، أو العفو والدية والولاية على دم المقتول ، أو في باب الحجر ، جارية على الولاية على المجتمع .

(١٤) المائدة: ٥٥ .

(١٥) الاحزاب: ٦ .

* * *

قال أمير المؤمنين (ع) :

عَلَى الْأَمَامِ أَنْ يَعْلَمَ
أَهْلَ وِلَايَتِهِ
حُرُوفَ السَّلَامِ وَالْعَمَامِ
عَمْرُ الْوَقْتِ

فنون وآداب

الشريف الرضي

قصيدة:

الأماني حسرو حنائ

هو محمد بن الحسين الموسوي الحسيني العلوي الهاشمي ، ولد عام ٣٥٩ للهجرة في مدينة بغداد . تربى في كنف أبيه نقيب الأشراف ، ودرس على كبار علماء عصره أمثال الشيخ المفيد ، تولّى نقابة الأشراف على عهد أبيه ، وصار أمير الحاج ، حيث كتب قصائده الحجازيات التي تمتاز بعذوبة ورقة وجمال خاص . يمتاز شعره بالغنائية والوجدانية ، وهو ألصق بخلجات النفوس ، لحرص الشريف على اختيار اللفظ وتوليد الصور والمعاني . اختار الشريف الرضي مما تيسر لديه من خطاب الإمام علي عليه السلام ووصاياه وحكمه ما جمعه في كتاب أسماه نهج البلاغة ، كما جمع ديوان شعره . توفي عام ٤٠٦ للهجرة في بغداد ، ودفن في مقابر قريش .

«هذه القصيدة قالها في يوم عاشوراء عام ٣٨٧ هـ يرثي أبا عبد الله الحسين عليه السلام»

راحت أنت والليالي نزول

ومض بك البقاء الطويل

لا شجاع يبقى فيعتق

بيض ولا أمل ولا مأمول

غاية الناس في الزمان فناء

وكذا غاية الغصون الذبول

إنما المرء للمنية مخبوء

واللطن تستجم^(١) الخيول

(١) تستجّم: من قولهم: استجّم البئر إذا تركها تمتلئ، أي تترك الخيول لتمتلئ قوةً ونشاطاً.

من مقيـل (٢) بين الضلوع إلى طو

ل عـناء وفي التـراب مقيـل
فهو كالغيم آلفته جنوب (٣)

يوم دجن (٤) ومزقته قبول (٥)

عادة للزمان في كل يوم

يكتـئى خـل وتبكي طـلـول

فالليالي عون عليك مع البيـ

ن كما ساعد الذوابل (٦) طول

ربما وافق الفتى من زمان

فرح غيرُهُ به متبول (٧)

هي دنيا إن واصلت ذا جفـت هـ

هذا ملالاً كأنها عطبول (٨)

كلُّ باكٍ يُبكي عليه وإن طا

ل بقاء والثاكل المـثـكـول

والأمانى حسرة وعـناء

للذي ظنَّ أنها تعليل (٩)

ما يبالي الحمام أين ترقى

بعدما غالت (١٠) ابن فاطم غول (١١)

أيَّ يومٍ أدمى المدامع فيه

حادث رائع (١٢) وخطب جليل

يوم عاشوراء الذي لا أعان الـ

صحب فيه ولا أجار القليل (١٣)

يا بن بنت الرسول ضيعت العهـ

د رجال والحافظون قليل

ما أطاعوا النبي فيك وقد ما

لت بأرماحهم إليك الذحول (١٤)

(٢) المقيـل: في الأصل هو موضع القيلولة ، وأراد به هنا عندما يكون الإنسان جنباً في بطن أمه .

(٣) الجنوب: رياح تهب من جهة الجنوب .

(٤) يوم دجن: يوم غيم ومطر .

(٥) القبول: رياح الصبا، ومهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار .

(٦) الذوابل: جمع ذابل وهو الرمح الدقيق .

(٧) متبول: مُسَقَمٌ محزون .

(٨) العـطـبول: المرأة الجميلة الفتية الممتلئة .

(٩) تعليل: إلهاء .

(١٠) غال: أهلك .

(١١) غول: داهية ومصيبة .

(١٢) رائع: مفرح .

(١٣) القليل: الأتباع، يريد بهم الذين كاتبوه ولم ينصروه .

(١٤) الذحول: الثارات .

(١٥) استقال: طلب الإقالة،
أي الإعفاء.

(١٦) أجلبوا: اجتمعوا
وتألبوا.

(١٧) قنعت: ارضيت السيف
بالبatal.

(١٨) حجل: جعل لقوائمها
حجولاً من الدماء.

(١٩) النقع: الغبار المثار في
المعركة.

(٢٠) اللونى: الضعف والتعب
والفتور.

(٢١) انتضلت: رمت.

(٢٢) أي شقت جيوبها حتى
وصلت آخر الثوب.

(٢٣) مراها: استدرها
واستخرجها.

وأحالوا على المقادير في حَرْ
بِكَ لو أَنَّ عُذْرَهُمْ مَقْبُولُ
وَأَسْتَقَالُوا (١٥) مِنْ بَعْدِ مَا أَجْلَبُوا (١٦) فِي
— هَا الْآنَ أَيُّهَا الْمُسْتَقِيلُ ؟
إِنْ أَمْرًا قَنَعْتَ (١٧) مِنْ دُونِهِ السَّيْفِ
فَ لِمَنْ حَازَهُ لِمَرْعَى وَبَيْلُ
يَا حَسَامًا فَلْتُ مَضَارِبُهُ الْهَآ
مَ وَقَدْ فَلَّهَ الْحَسَامُ الصَّقِيلُ
يَا جَوَادًا أَدْمَى الْجَوَادَ مِنَ الطَّعْ
— نِ وَوَلَّى وَنَحَرُهُ مَبْلُولُ
حَجَلٍ (١٨) الْخَيْلِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعَادِي
يَوْمَ يَبْدُو طَعْنٌ وَتَخْفَى حُجُولُ
يَوْمَ طَاحَتْ أَيْدِي السَّوَابِقِ فِي النَّقْ
ح (١٩) وَفَاضَ الْوَنَى (٢٠) وَغَاضَ الصَّهِيلُ
أُتْرَانِي أَعِيرُ وَجْهِي صَوْنًا
وَعَلَى وَجْهِهِ تَجُولُ الْخِيُولُ
أُتْرَانِي أَلْذُمَّاءُ وَلَمَّا
يَرَوْ مِنْ مَهْجَةِ الْإِمَامِ الْقَلِيلُ
قَبْلَتُهُ الرَّمَاحُ وَانْتَضَلَتْ (٢١) فِي
— هِ الْمَنَايَا وَعَانَقَتْهُ النَّصُولُ
وَالسَّبَايَا عَلَى النَّجَائِبِ تَسْتَا
قُ وَقَدْ نَالَتِ الْجِيُوبَ الذِّيُولُ (٢٢)
مِنْ قُلُوبِ يَدْمَى بِهَا نَاطِرُ الْوَجْهِ
سَدٍ وَمِنْ أَدْمَعَ مَرَاهَا (٢٣) الْهَمُولُ
قَدْ سَلَبْنَ الْقِنَاعَ عَنْ كُلِّ وَجْهِ
فِيهِ لِلصَّوْنِ مِنْ قِنَاعٍ بَدِيلُ

وَتَنْقُبْنَ بِالْأَنَامِلِ وَالدَّمِ

عُ عَلَى كُلِّ ذِي نَقَابٍ دَلِيلُ
وَتَشَاكِينَ وَالشَّكَاةَ بَكَاءُ

وَتَنَادِينَ وَالنَّدَاءَ عَوِيلُ
لَا يَغِبُّ (٢٤) الْحَادِي الْعَنِيفُ وَلَا يَفُ

تُر عَنْ رَنَّةِ الْعَدِيلِ الْعَدِيلُ (٢٥)
يَا غَرِيبَ الدِّيَارِ صَبْرِي غَرِيبُ

وَقَتِيلِ الْأَعْدَاءِ نَوْمِي قَتِيلُ
بِي نَزَاعٍ (٢٦) يَطْفِي إِلَيْكَ وَشَوْقُ

وَغَرَامِ وَزَفَرَةٍ وَعَوِيلُ
لَيْتَ أَنِّي ضَجِيعُ قَبْرِكَ أَوْ أ

ن نَرَاهُ بِمَدْمَعِي مَطْلُولُ (٢٧)
لَا أَغِبُّ (٢٨) الظُّفُوفَ فِي كُلِّ يَوْمِ

مَنْ طَرِيقِ الْأَنْوَاءِ (٢٩) غَيْثُ هَطُولُ
مَطَرٌ نَاعِمٌ وَرِيحٌ شَمَالُ

وَنَسِيمُ غَضٍّ وَظِلُّ ظَلِيلُ
يَا بَنِي أَحْمَدَ إِلَى كَمْ سَنَانِي

غَائِبُ عَنْ طَعَانِهِ مَطْلُولُ (٣٠)
وَجِيَادِي مَرْبُوطَةٌ وَالْمَطَايَا

وَمَقَامِي يَرُوعُ (٣١) عَنْهُ الدَّخِيلُ
كَمْ إِلَى كَمْ تَعْلُو الطَّغَاةُ وَكَمْ يَحِ

كَمْ فِي كُلِّ فَاضِلٍ مَفْضُولُ
قَدْ أَذَاعَ الْغَلِيلُ (٣٢) قَلْبِي وَلَكِنْ

غَيْرِ بَدْعٍ إِنْ اسْتَطَبَّ الْعَلِيلُ
لَيْتَ أَنِّي أَبْقَى فَاِمْتَرَقَ (٣٣) النَّا

سَ وَفِي الْكَفِّ صَارِمٌ مَسْلُولُ

(٢٤) يَغِبُّ: يَتَأَنَّى.

(٢٥) الْعَدِيلُ: الْمَعَادِلُ فِي الْمَحَلِّ.

(٢٦) نَزَاعٌ: رَغْبَةٌ وَشَوْقٌ.

(٢٧) مَطْلُولٌ: مَبْلُولٌ.

(٢٨) أَغِبُّ: زَارَ يَوْمًا وَتَرَكَ يَوْمًا.

(٢٩) الْأَنْوَاءُ: جَمْعُ نَوَاءٍ، وَهُوَ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ، وَطَرَاقُهُ: تَتَابَعُهُ.

(٣٠) مَطْلُولٌ: مَخْدُوعٌ بِالْوَعْدِ وَالتَّسْوِيفِ.

(٣١) يَرُوعُ: يَرْتَدُّ، وَيَرْجِعُ.

(٣٢) الْغَلِيلُ فِي الْأَصْلِ: شِدَّةُ الْعَطَشِ وَحَرَارَتِهِ، وَأَرَادَ هُنَا شِدَّةَ شَوْقِهِ إِلَى النَّارِ، أَوْ غَضَبِهِ وَحَفِيزَتِهِ.

(٣٣) اِمْتَرَقَ: احْتَرَقَ.

(٣٤) الرعيل: الجماعة القليلة
من الفرسان، أو التي تتقدم
غيرها.

(٣٥) شأهم: سبقهم.

(٣٦) لحاني لامني.

(٣٧) جدي: حظي.

(٣٨) الذمر: الشجاع.

(٣٩) السؤل: ما يسأل
ويطلب.

وأجر القنا لشارت يوم الط

ف يستحل الرعيل (٣٤) الرعيل

صبغ القلب حبكم صبغة الشيد

ب وشيبي لولا الردى لا يحول

أنا مولاكم وإن كنت منكم

والذي حيدر وأمي البتول

وإذا الناس أدركوا غاية الفخ

ر شأهم (٣٥) من قال جدي الرسول

يفرح الناس بي لأنني فضل

والأنعام الذي أراه فضول

فهم بين منشد ما أقيد

س سرورا وسامع ما أقول

ليت شعري من لامي في مقال

ترتضيه خواطر وعقول

أترك الشيء عاذري فيه كل ال

ناس من أجل أن لحاني (٣٦) عذول

هو سؤلي إن اسعد الله جدي (٣٧)

ومعالي الأمور للذمر (٣٨) سول (٣٩)

قال الأمام المصطفى بن علي عليه السلام :

إِنِّي لَمْ أَضْجِعْ أَمْرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا نَفْسِيًّا وَلَا ظَالِمًا
وَأَمَّا فَرَحْتُ لِقَابِ لَدُّنَا لِمِ فِي أَمَّةٍ جَدِّي
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرِيدُ أَنْ أَمْرًا بِالْعُرْفِ
وَأَمْرًا عَنِ الْمَنَارِ وَأَسِيرَ سِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي .

دراسات

السيد
مهدى الحكيم

المدخل إلى النظام الاجتماعي الإسلامي

١

١ - المجتمع

مجموعة من الناس يقطنون في بقعة جغرافية محددة ،
وتربطهم علاقات متبادلة ، وتوحد بينهم مجموعة من
الأهداف والقيم والتقاليد والعادات والقوانين .
وهناك من قيد هذا التعريف بأن تكون البقعة الجغرافية محدّدة
سياسياً ، ومعترفاً بها دولياً^(١) .



٢ - النظام الاجتماعي

مجموعة القوانين التي تنظم العلاقات الانسانية بين أفراد المجتمع.

٣ - القرآن والمجتمع

١ - القرآن الكريم كتاب الله للبشرية جمعاء ، وقد دعا الناس جميعاً
إلى مجتمع انساني قائم على أساس عقائدي ، يتمثل في عقيدة
التوحيد الفطرية . وقد لخص الامام محمد حسين كاشف الغطاء
الاسلام في كلمتين ، في قوله الحكيم : «بُني الاسلام على كلمتين :

(١) انظر مرتضى
المطهرى المجتمع
والتاريخ : ١٥ ، ومعجم علم
الاجتماع ، ترجمة د. إحسان
محمد الحسن : ٢٢٦ .

كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة» .

٢ - تعرّض القرآن الكريم لمجموعة الظواهر الاجتماعية تحليلاً ومعالجةً .

٣ - لم تُستعمل كلمة (المجتمع) في النص القرآني ، ولكن القرآن قد استعمل ما يدل على المجتمع بالترادف ، أو بالملازمة البيئية ، ومن ذلك : القرية ، والقرن ، وصيغ الجمع والعموم ، فضلاً عن القوم ، والقبيلة ، والشعب ، والناس ، وبني آدم ، والأمة^(٢) .

٤ - القرآن والنظام الاجتماعي

استهدف القرآن الكريم المجتمع البشري كلّهُ ، وقدّم له نظاماً اجتماعياً شاملاً يحقق مجموعة الأهداف التي خُلق الانسان من أجلها .

٥ - المشكلة الاجتماعية المعاصرة

تتلخّص المشكلة الاجتماعية الكبرى في عصرنا وفي كل عصر في كلمات ثلاث :

تشخيص النظام الاجتماعي الاصلاح البشري ، والإيمان به ، وتطبيقه ، بحيث يحقق للبشرية سعادتها ، التي تتمثل في تحقيق مجموعة الأهداف السامية التي خُلقت البشرية من أجلها ، وهيئت لها أسبابها .

إن اكتشاف النظام الاجتماعي الأصلح يتوقف على معرفة ما يلي :

١ - طبيعة المجتمع البشري وخصائصه ، والأهداف التي خُلق من أجلها .

٢ - عناصر المجتمع البشري ، وأنواع العلاقة بينها .

٣ - السنن الاجتماعية التي تتحكم في المجتمع وعناصره .

٤ - الحاجات الحقيقية للمجتمع ، وكيفية تحقيقها . بحيث لا يتنافى مع السنن والأهداف .

(٢) راجع على سبيل المثال الموارد التالية:
الأنعام: ١٠٨، والحجر: ٥٤، والقصاص: ٥٨، والبقرة: ١٤١ و٢١٣، والحجرات: ١٣، والزخرف: ٣٣، والأعراف: ٣٤، وغافر: ٥، وفاطر: ٣٩.

وهناك مجموعة من البحوث المرتبطة بهذه الفصول الأساسية ، التي تمهد لاكتشاف النظام الاجتماعي الأصح ، نشير إليها تباعاً ، مثل نشأة المجتمع البشري وأصالته ، ونوع ارتباط الفرد بالمجتمع ، ومراحل تطوّر المجتمع البشري ، واتحاد المجتمعات البشرية في الماهية والخصائص الأساسية ، وخصائص العمل الاجتماعي وحدوده .

٦ - موقف القرآن الكريم من

نشأة المجتمع البشري ، وضرورته ، وخصائصه ، وأهدافه :

١ - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

(٣) النساء : ١ .

٢ - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤) .

(٤) الحجرات : ١٣ .

٣ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٥) .

(٥) الفرقان : ٥٤ .

٤ - ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (*) .

(*) الزخرف : ٣٢ .

٥ - ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُنَّ فَمَنْ تَبِعَ هَدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٦) .

(٦) البقرة : ٣٠ - ٣٩ .

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِيَعِيشَ فِي مَجْتَمَعٍ تَتَجَلَّى مِنْ خِلَالِهِ قُدْرَاتُ الْإِنْسَانِ وَاسْتِعْدَادَتِهِ ، وَتَنُمُو فِيهِ نَوَازِعُ الْخَيْرِ فِي مَجْتَمَعٍ عَامِرٍ بِالتَّقْوَى وَالصَّلَاحِ ، إِلَى حَيْثُ الْكَرَامَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْخَاصَّةُ ، الَّتِي يَكْتَسِبُهَا الْإِنْسَانُ مِنْ خِلَالِ سَعْيِهِ وَارَادَتِهِ وَكُدْحِهِ ، فِي سَبِيلِ الْإِرْتِبَاطِ

التام بالكمال الإلهي المنشود .

(٧) الانشقاق : ٦ .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقية ﴾ (٧) .

وقال أيضاً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم

(٨) آل عمران: ١٠٢ .

مسلمون ﴾ (٨) .

لم يرد الله أن يعيش كل فرد وحده ، وإنما صمَّم الإنسان تصميماً يتحقق من خلاله الارتباط الاجتماعي ، بحيث يلتقي الرجل بالمرأة فتتكوَّن الأسرة ، وهي النواة الاجتماعية الأولى ، ثم تتكوَّن العشيرة والقبيلة والشعب والأمة ، ثم تجتمع الأمم والشعوب على عقيدة واحدة ونظام واحد ، نحو هدف يتَّسم بالكمال واللامحدودية .

(٩) الأنبياء: ٩٢ .

قال تعالى : ﴿ إنَّ هذه أُمَّتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (٩) .

فالحياة الاجتماعية للإنسان ضرورة تكوينية فطرية لا مفرَّ منها ، وهي حاجة حقيقية للإنسان لا يمكنه أن يتكامل إلا من خلالها . وقد اصطفى الله الأنبياء من البشر ليحملوا مشعل الهداية الربانية للإنسان، في مجال تعريفه بالنظام الاجتماعي الأصح بمعناه الشامل طبعاً ، ويزوده بمفاتيح الإيمان به ، والعمل على أساسه .

٧ - أصالة الفرد وأصالة المجتمع

ذهب البعض إلى أصالة الفرد دون المجتمع ، معتبراً المجتمع ذا وجود اعتباري ، فالهيئة الاجتماعية للأفراد هي أمر اعتباري ذهني بحت .

وذهب آخرون إلى أن للمجتمع وجوداً حقيقياً ، بالإضافة إلى وجود الأفراد ، ولكن هذا الوجود الاجتماعي وجود مركَّب من الأفراد تركيباً صناعياً أو طبيعياً .

والتركيب الصناعي هو أن يحتفظ كل جزء بطبيعته وخصائصه وشخصيته ، ولكن تحدّد حرّية حركته مادام مرتبطاً بغيره من الأجزاء .

بينما يفقد الجزء شيئاً من خصائصه وطبائعه حينما يندمج مع غيره في مركّب طبيعي حقيقي .

والتركيب الاجتماعي الطبيعي ليس بين أجسام الأفراد ، بل بين أفكارهم وميولهم وعواطفهم ومعتقداتهم وثقافتهم ، بحيث يظهر على سلوكهم وإرادتهم وأهدافهم المتشابهة والمتحدة ؛ وبهذا تكون للمجتمع أصالته ، كما أن للفرد أصالته ، لا الفرد يفنى في الجميع ، ولا الجميع له سوائهم .

وباعتبار ما يتمتع به كل انسان من أصول فطرية ثابتة ودائمة ، تكوم ماهية المجتمعات البشرية متحدة ، بالرغم من تطوّر هذه المجتمعات وتكاملها بالتدريج .

قال تعالى : ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ (١٠) .

(١٠) الروم : ٣٠ .

ومن هنا أمكن تقديم نظام اجتماعي واحد للبشرية جمعاء على مدى العصور ، على أن تُراعى فيه كل جوانب التطور والتكامل للذين يمكن للمجتمع البشري أن يرتقي إليهما .

إذن يمكن تصور روح اجتماعية ، ووجدان اجتماعي ، وإرادة اجتماعية ، زائدة على الشعور والوجدان والإرادة الخاصة بكل فرد ، وهذه هي روح الحياة الاجتماعية التي يتكفل النظام الاجتماعي بتقنينها وتهذيبها وتربيتها ، والسير بها إلى الأهداف المرجوة لها .

ولقد تطرف من أنكر أصالة الأفراد حينما تغافل عن ركائزهم الفطرية وخصائصهم الذاتية ، معتبراً أن لا هوية للأفراد إلا الهوية الاجتماعية ، التي تتجلّى في كل فرد منهم .

وهكذا تكون النظريات في أصالة الفرد والمجتمع أو أصالتهما معاً ثلاث ، بينما تكون أنواع التركيبة الاجتماعية أربعة : اعتبارية ، وحقيقية . صناعية ، وحقيقة طبيعية ، وفوق الطبيعية (١١) .

(١١) راجع المجتمع

والتاريخ : ٢١ - ٢٤ .

٨- القرآن الكريم والكيونة الاجتماعية

نسب القرآن الكريم إلى المجتمع (الأمة) وجوداً، وأجلاً، وكتاباً، وشعوراً، وإرادةً، وعملاً، وطاعة، ومعصية، بالإضافة إلى ما نسبته إلى الأفراد.

قال تعالى:

(١٢) يونس: ٤٩.

١ - ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١٢).

٢ - ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا

(١٣) الحجر: ٤-٥.

يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (١٣).

فأجل الأمة هنا أجل جماعي، فهو تعبير عن حالة قائمة بالجماعة، لا عن حالة قائمة بهذا الفرد أو ذاك؛ لأن الناس تختلف آجالهم حينما ينظر إليهم بالمنظار الفردي، لكن حينما ينظر إليهم بالمنظار الاجتماعي، أي بوصفهم مجموعة واحدة متفاعلة في ظلمها وعدلها، وفي سرائها وضررائها، فحينئذ يكون لها أجل جماعي واحد (١٤).

(١٤) الشهيد الصدر،

المدرسة القرآنية: ٥٨

المحاضرة ٤.

٣ - ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

(١٥) الانفال: ٢٥.

العقاب﴾ (١٥).

إن العقاب الأخروي ينصب دائماً على العامل مباشرة ﴿ولا تزروا وازرةً وزر أخرى﴾ (١٦)، أما العقاب الدنيوي فيكون أوسع من ذلك، باعتباره يحصل نتيجة لكسب الأمة وسعيها (١٧).

(١٦) فاطر: ١٨.

(١٧) الشهيد الصدر،

المدرسة القرآنية: ٥٩

و٦١، المحاضرة ٤. راجع

الآيتين: ٥٨ و ٥٩ من سورة

الكهف، والآية ٤٥ من

سورة فاطر.

إن ما تكسبه الأمة عن طريق الظلم والطغيان، لا تختص نتيجته بخصوص الظالمين من أبناء المجتمع، بل تعم أبناء المجتمع على اختلاف هوياتهم، وأنحاء سلوكهم.

(١٨) الانعام: ١٠٨.

٤ - ونقرأ عن عمل الأمة قوله تعالى: ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ (١٨).

٥ - كما نقرأ عن كتاب الأمة قوله تعالى: ﴿وَنُورِي كُلَّ أُمَّةٍ جَافِيَةً كُلَّ أُمَّةٍ

تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا

(١٩) الجاثية: ٢٨ - ٢٩.

(٢٠) التغابن: ٩.

(٢١) غافر: ٥.

نستنسخ ما كنتم تعملون ﴿١٩﴾.

٦- كما نقرأ عن الإحضر الجماعي قوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ (٢٠).

٧- ونقرأ عن الإرادة الاجتماعية قوله تعالى: ﴿وهفت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ (٢١).

٨- ونجد في القرآن نسبة العمل الصادر من الفرد إلى المجتمع، كما نجد العمل الذي صدر من جيل منسوباً إلى أجيال متأخرة، كما في قوله تعالى عن الذين عقروا ناقة ثمود، بالرغم من أن الذي عقروا الناقة رجل واحد، ولكن لما عقوه بالرضا عنهم الله بالعذاب؛ لأن الذي يجمع الناس إنما هو الرضا والسخط، كما جاء عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وهكذا قتل الأنبياء الذي ارتكبه الأجيال الغابرة من بني اسرائيل، أو سائر المعاصي التي ذكرت في سورة البقرة، قد نسبت إلى الجيل المعاصر للرسول ﷺ، وما ذلك إلا لكونهم يحملون نفس تلك الروح الاجتماعية، ونفس الثقافة والفكر والإرادة (٢٢).

(٢٢) راجع المجتمع والتاريخ، الشهيد المطهري: ٢٥ - ٢٧.

٩- عمل الفرد وعمل المجتمع

يمتاز عمل الفرد بميزتين: الأولى: صدوره من فاعل مختار، والثانية: صدوره عن غاية وهدف، فهو يتقوّم بعلتين: فاعلية وغائية، بينما يمتاز عمل المجتمع بثلاث ميزات، ويتقوّم بها كذلك، فالميزة الأولى هي صدوره عن علة فاعلية، والميزة الثانية هي صدوره لعلّة غائية، والميزة الثالثة هي أن يتعدى أثره بشكل مباشر حدود الفرد، ويشمل قطاعاً من المجتمع، فيكون شعاع أثره قد تجاوز الفاعل نفسه وانعكس على غيره، وامتدّ موجه إلى ما وراء العامل، فالعمل الذي يشكل المجتمع أرضية له يدخل في كتاب الأمة الجاثية بين يدي ربّها، فالتاجر حينما يعمل عملاً تجارياً، والقائد حينما يعمل عملاً حربياً،

(٢٢) راجع المدرسة
القرآنية للشهيد الصدر:
٨٩-١٠٠، المحاضرة ٦.

والسياسي حينما يمارس عملاً سياسياً ، والمفكر حينما يتبنّى وجهة نظر في الكون والحياة ، كلّ من هذه الأعمال له موج يتعدّى شخص العامل ، ويتخذ من المجتمع أرضية له (٢٣).

١٠- أصالة الفرد أم الحتمية الاجتماعية

إن الإيمان بأصالة الفرد ، والالتزام بوجود ركائز فطرية وذاتية لكل الأفراد الذين يتكوّن منهم المجتمع البشري ، يستلزم رفض الحتمية الاجتماعية ؛ فإذا سُلِبَت من الفرد فطرته ، وما جُبِل عليه من خصائص معرفية وعقلية وخُلُقِيّة ، أمكن للمجتمع أن يقوم بدور تقديم المحتوى الداخلي (النفسي والعقلي) للفرد ، واصبحت الظروف الاجتماعية هي العامل الأساسي في صياغة عقلية الفرد وثقافته وأخلاقه .

والإيمان بأصالة الفرد والمجتمع معاً ينتهي بنا إلى رفض الحتمية الاجتماعية .

١١- موقف القرآن الكريم من الحتمية الاجتماعية

(٢٤) الرعد : ١١ .

١ - قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢٤) .

(٢٥) الروم : ٣٠ .

٢ - وقال أيضاً : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٥) .

(٢٦) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣ .

٣ - وقال أيضاً : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢٦) .

(٢٧) المائدة : ١٠٥ .

٤ - وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٢٧) .

٥ - وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فَرَعُونَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

(٢٨) التحريم : ١١ .

بيئاً في الجنة ونَجّني من فرعون وعمله ونَجّني من القوم الظالمين ﴿ (٢٨) .
إن بعثة الأنبياء وخروجهم على المألوف الباطل في مجتمعاتهم ،
أدل دليل على بطلان الحتمية الاجتماعية كقضية موجبة كلية .

١٢ - عناصر المجتمع البشري

يتكوّن كل مجتمع من ثلاثة عناصر ثابتة على الأقل :

١ - الطبيعة (الأرض) (٢٩) .

٢ - الانسان (٣٠) .

٣ - العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وبين الانسان والانسان .

وهناك عنصر متغيّر هو نوع العلاقة الذي يعيّن حقيقة العلاقة
ومستلزماتها ، ومن هنا صحّ اعتبار الانسان والطبيعة عنصريّن
ثابتين ، واعتبار العلاقة عنصراً متغيّراً ، باعتبار تغيّر نوع العلاقة
الذي يحدّد مضمونها وحقيقتها ومسارها .

وإذا كان النظام الاجتماعي يتكفّل بتنظيم العلاقات بين أفراد
المجتمع الواحد ، فمن الطبيعي أن يكون النظام الاجتماعي الأصلح
مترشّحاً عن نوع العلاقة بين عناصر المجتمع الواحد .

١٣ - أنواع العلاقة بين عناصر المجتمع

بماذا تتقوّم العلاقة بين عناصر المجتمع الثابتة ؟

للجواب عن هذا السؤال لا بد أن نلاحظ نوع العلاقة الموجودة
بينها .

يجيب القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني
جاعل في الأرض خليفة ﴾ (٣١) ، فالله هو الجاعل والمستخلف ، وهو الأصلح
في هذا الوجود ، القائم بشؤون الكون كلّ ، الفعّال لما يريد ، وهو
الركن الأول والمحور الذي بيده زمام الأمر .

والركن الثاني هو الانسان الذي استخلفه الله سبحانه في الأرض ،

(٢٩) طه : ٥٣ ، وإبراهيم : ٣٢

- ٣٤ .

(٣٠) فاطر : ٣٩ ، والبقرة : ٢٩ .

(٣١) البقرة : ٣٠ .

(٣٢) هود: ٦١.

وطلب منه عمارتها^(٣٢)، والركن الثالث هو الأرض أو الطبيعة، وهي محل خلافة الانسان وإدارته، فالأركان المقومة للعلاقة إذن تكون ثلاثة: المستخلف، والمستخلف، والمستخلف فيه، وهذه الأركان تنتج علاقة ذات أطراف ثلاثة، نسميها بالعلاقة الكاملة أو علاقة الاستخلاف، وهي العلاقة الفطرية التي تعبّر عن الوضع الطبيعي للانسان في هذا الوجود، بعد أن كان مخلوقاً لله ومربوباً له، ومسؤولاً عما مكّنه فيه وأسبغه عليه من النعم.

وإذا أنكرنا هذه العلاقة الفطرية، وتغافلنا عن خالقية الله ومالكيتها للكون والانسان، واعتبرنا الانسان أصيلاً ومستقلاً في وجوده وإدارة شؤونه، وقطعنا النظر عن الارتباط الحقيقي بينه وبين ربه، وجعلناه مستبداً بالأمر لا خليفة لربه، أصبحت هذه الأركان المقومة للعلاقة ركنين فحسب، وهما الانسان والأرض فقط، وسمينا العلاقة بينهما بعلاقة الاستبداد، وهي علاقة ناقصة وغير طبيعية؛ لأنها تبتنى على حذف الركن الأول والأساسي، الذي هو قوام هذه العلاقة وروحها، كما سوف يتضح، إذ يؤدي التغافل عن هذا الركن إلى مسخ هذه العلاقة، وانقلابها إلى نتائج خطيرة تتنافى مع رسالة الانسان الحقيقية، والهدف من إيجاده وتمكينه في الأرض، واستئمانه على خيراتها وكنوزها، فهذا التغافل يحدث تغييراً نوعياً في بنية العلاقة الاجتماعية، وفي تركيب الأطراف الأخرى.

إذن العلاقة بين عناصر المجتمع البشري على نوعين:

النوع الأول: علاقة الاستخلاف والاستئمان، وهي علاقة فطرية ذات أركان ثلاثة فهي كاملة.

النوع الثاني: علاقة الاستبداد والسيادة، وهي علاقة وضعية ادعائية ذات ركنين فهي ناقصة^(٣٣).

وإذا أردنا أن نعرف كيف يكون العنصر الإلهي مقوماً لمسار

(٣٢) سمى أستاذنا الشهيد الصدر الأولى الصيغة الرباعية، معتبراً الطبيعة والانسان مع الانسان ثلاثة أطراف، والله هو الطرف الرابع، وسمى الثانية الصيغة الثلاثية. راجع الدرس الثامن من المدرسة القرآنية.

الانسان ، ومغيراً نوعياً لطبيعة العلاقة بين العناصر الأخرى ، ينبغي أن نعرف أولاً دور الركنتين الآخرين في العلاقة الاجتماعية ، فما هو دور الانسان ؟ وما هو دور الطبيعة في تركيب العلاقة الاجتماعية ، وفي المركب الاجتماعي للانسان ؟ وهذا ما سوف نتحدث عنه في البحث الآتي إن شاء الله تعالى .

١٤ - خطأ العلاقة الاجتماعية

تتضمن العلاقة الاجتماعية خطئين متميزين مستقلين ، بالرغم من وجود شيء من التأثير المتبادل بينهما ، وهما :

١ - خط علاقة الانسان مع الطبيعة .

٢ - خط علاقة الانسان بأخيه الانسان .

وتتلخص علاقة الانسان بالطبيعة باستثمارها ، ومحاولة تطويعها لانتاج ما يُشبع الحاجات الحيوية للانسان .

إن المشكلة الأساسية في هذا الخط هي مشكلة تمرد الطبيعة ، وتمنعها عن الاستجابة للطلب الانساني ، «والحل الطبيعي لهذه المشكلة يستمد من قانون موضوعي ، يمثل سنة من سنن التاريخ ، وهو قانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة ، فإن الانسان كلما تضاعف جهله بالطبيعة ، وازدادت خبرته بلغتها وقوانينها ، ازداد سيطرة عليها ، وازداد تمكناً من تذليلها لحاجاته ، وكل خبرة تقولد من الممارسة في هذا الحقل . إذن هنا تأثير متبادل بين الخبرة والممارسة ، وكل خبرة جديدة تعطي للانسان سيطرة جديدة . وهكذا تنمو الخبرة الانسانية باستمرار ما لم تقع كارثة طبيعية أو بشرية» (٣٤) .

(٣٤) المدرسة القرآنية:

٢٠٢ المحاضرة ١٢ .

وهذا القانون بتطبيقاته التاريخية يعطي الحلول التدريجية لهذه المشكلة ، فهي مشكلة محلولة تاريخياً وموضوعياً . ولعل في الآية الكريمة : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْنُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (٣٥) ،

(٣٥) ابراهيم : ٣٤ .

إشارة إلى هذا الحل الموضوعي المستمد من قانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة ؛ لأنَّ السؤال هنا لا يراد منه الدعاء لفظاً ؛ لأنَّ الآية تتكلم عن الانسانية ككل ، من يؤمن بالله ومن لا يؤمن ، ومن يدعو الله ومن لا يدعو ، كما أن الدعاء لا يتضمن حتماً تحصيل الشيء المدعو به ، بينما الآية تتحدث عن استجابة فعلية بإعطاء ما سُئِلَ ، وعليه فالسؤال العملي والطلب التكويني هو الذي تعبر عنه الآية، فهي تعبير بليغ عن قانون التأثير المتبادل بين الخبرة والممارسة من جهة ، والسيطرة عليها ، من جهة أخرى .

إذن هذا هو خط العلاقة بين الانسان والطبيعة مشكلةً وقانوناً .
وأما خط علاقة الانسان مع أخيه الانسان في مجال توزيع الثروة ، أو سائر الحقوق الاجتماعية ، فهو يواجه مشكلة أخرى هي التناقض الاجتماعي بين الانسان القوي والانسان الضعيف ، ويتخذ صيغاً متعددة ، لكنه يظل في جوهره شيئاً ثابتاً ؛ فإن القوي قد يكون فرعوناً ، وقد يكون عصابة ، وقد يكون طبقة ، وقد يكون شعباً أو أمةً . كل هذه الأشكال تحتوي على روح الصراع والاستغلال من القوي للضعيف ، وإذا لم يحلَّ القوي تناقضه الداخلي بين حفنة التراب (المادية) ، واشواق الله سبحانه وتعالى (المعنوية) ، وما لم ينتصر أفضل النقيضين على الآخر ، فسوف يظل هذا الانسان يفرز التناقض تلو التناقض حسب الظروف والملابسات ، فليس التناقض الطبقي في المجتمع البشري إلا وجهاً من وجوه ذلك التناقض الداخلي للانسان القوي .

ومن هنا ركزت الرسالة الاسلامية ، في حلّها الموضوعي لمشكلة هذا الخط ، على مستويين من العمل : العمل الجهادي لتصفية كل التناقضات الاجتماعية على الساحة البشرية ، وقد سُمِّيَ هذا العمل بالجهاد الاصغر ؛ فإنه يتطلب قبل ذلك ومعه وبعده نوعاً آخر من

الجهاد ، الذي سُمِّي بالجهاد الأكبر ؛ لأنه جهاد من أجل تجفيف منبع التناقضات الاجتماعية في داخل النفس البشرية ، وهو روح الاستثناء التي تدفع الانسان القوي للتسلط على الانسان الضعيف في جميع الظروف والأحوال ، وبشئى الصيغ والاشكال ، وتحت شعارات العدالة والحرية والاستقلال .

فالقانون الموضوعي هنا هو ارتباط التناقض الاجتماعي بالتناقض الداخلي بشكل طردي ، فكّما سيطر الانسان على تناقضه الداخلي استطاع أن يسيطر على التناقضات الاجتماعية المختلفة ، وكّما عجز عن السيطرة على تناقضه الداخلي عجز عن السيطرة على التناقضات الاجتماعية ايضاً .

قال الله تعالى معبراً عن هذا القانون الموضوعي : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ﴾ (٣٦) ، فكل تغيير اجتماعي مرهون بالتغيير للمحتوى الداخلي للأفراد ، الذين يشكلون عناصر ذلك المجتمع .

(٣٦) الرعد : ١١ ، راجع
المحاضرة ١٢ من
المدرسة القرآنية للشهيد
الصدر .

١٥ - العلاقة بين خطي العلاقات الاجتماعية

إن خط علاقات الانسان مع الطبيعة ، مختلف مشكلة وقانوناً عن خط علاقات الانسان مع أخيه الانسان .

وكل واحد من هذين الخطين مستقل استقلالاً نسبياً عن الخط الآخر ، ولكن هذا الاستقلال النسبي لا ينفي التفاعل والتأثير المتبادل - إلى حد ما - بين هذين الخطين .

وهذا التأثير المتبادل بين الخطين يمكن إبرازه قرآنياً كما يلي :

١ - مدئ تأثير خط علاقات الانسان مع الطبيعة على خط علاقاته مع أخيه الانسان . يشير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَا فَرِحٌ﴾ (٣٧) ، إلى أن قدرة الانسان على الطبيعة كّما نمت واتسعت ، وازداد الانسان اغتناء بكنوزها ووسائل انتاجها ، تحققت بذلك إمكانية أكبر لتحقيق الاستغلال في خط علاقاته مع أخيه الانسان .

(٣٧) العلق : ٦ - ٧ .

وإذا كان إيمان الإنسان باستغناؤه عن الله تعالى عاملاً أساسياً في طغيانه ، كان العلاج الوحيد لتفادي هذا الانحراف وعلاجه هو إيمان الإنسان بحاجته وفقره إلى الله سبحانه وتعالى ، بالرغم من امتلاكه لعوامل الإنتاج ومصادر الثروة . وقد عالج الاسلام هذه المشكلة بتقديم الصورة الصحيحة لحقيقة الانسان ، وعجزه أمام ربه بالرغم من امتلاكه لجميع عوامل الغنى في الحياة الدنيا ، وحاول تثبيت هذه الصورة في وجوده من خلال التربية الفكرية والنفسية ، مستفيداً من جميع عوامل التأثير على الفكر والنفس والإرادة .

٢- وأما مدى تأثير خط علاقات الانسان مع أخيه الانسان على خط علاقاته مع الطبيعة ، فتجسده الآية المباركة : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ (٢٨) .

(٢٨) الاعراف : ٩٦ ، وراجع الجن : ١٦ ، والمائدة : ٦٦ .

فكلما ازدهرت علاقة الانسان بأخيه على أساس قيم العدل والإيمان بالله تعالى ، ازدهرت علاقاته مع الطبيعة ، وتفتحت الطبيعة عن كنوزها ، فالعدالة الاجتماعية هي الإطار الأنسب لتحقيق التنمية الانتاجية بأعلى درجاتها ، بينما لا يولد الظلم إلا ضياع ثروات المجتمع .

١٦- السنن الاجتماعية : (بحوث عامة)

أ- مبدأ العلّية والظواهر الاجتماعية:

مبدأ العلّية مبدأ عام لا يقبل التخصيص والاستثناء ، وموضوعه جميع الظواهر التي تكون حادثة أو ممكنة الوجود ، فكل حادث علة ولا بد لكل موجود ممكن الوجود من علة .

والظواهر الاجتماعية كالظواهر الطبيعية ، لا يمكن أن تستغني عن

علل مسانخة لها .

وبهذه تخضع جميع الظواهر الاجتماعية لمبدأ العلية ، ولا تشذ أية ظاهرة اجتماعية عن هذا المبدأ .

ب - مبدأ العلية والسنن الاجتماعية :

إذا آمننا بخضوع ظاهرة ما لمبدأ العلية ، كان معناه أنه كلما وجدت العلة وجد المعلول ، وكلما وجدنا المعلول علمنا بأن له علة ، وبهذا نحصل على مجموعة من السنن الموضوعية ، والقوانين المطردة بالنسبة لجميع الظواهر الطبيعية كانت أم اجتماعية .

وإذا آمننا بوجود مركب حقيقي يسمى بالمجتمع ، وهو بالرغم من تكوّنه من الأفراد يحمل خصائص تميّزه عن الأفراد ، كما أوضحنا ذلك في عمل الفرد وعمل المجتمع ، وكما لاحظنا هذا الفرق في تعريف المجتمع أيضاً ، نضطر للايمان عقلياً بوجود سنن وقوانين تخصّ المجتمع وترتبط بحركته ، وعلى أساس هذه السنن يمكن تحليل رقي الأمم وسقوطها ، كما يمكن التنبؤ بمستقبل أمة صعوداً وهبوطاً ، وموتاً وحياة .

ج - أنواع التعبير القرآني عن السنن الاجتماعية

١ - التصريح العام بوجود سنن اجتماعية (دلالة مطابقة) . قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٩) ، فقد أضيف الأجل إلى الوجود المجموعي للناس ، وهو غير أجل الأفراد الذين تختلف آجالهم حينما ننظر إليهم أفراداً ، بينما هم مجموعة واحدة متفاعلة في ظلمها وعدلها ، فيكون لها أجل جماعي واحد (٤٠) .

هكذا استشف الشهيد الصدر ، والواضح من هذه دلالة ما جاء في الآيتين ٧٧ من سورة الإسراء ، و ٣٤ من سورة الانعام .

٢ - التصريح بمصاديق السنن الاجتماعية (دلالة تضمنيّة) ، وذلك مثل :

(٣٩) الاعراف : ٣٤ ، وآل عمران : ١٣٧ ، والإسراء : ٧٧ ، وفاطر : ٤٣ ، والفتح : ٢٣ .

(٤٠) راجع المدرسة القرآنية : ٥٥ - ٦٠ ، الدرس الرابع .

أ - سنة آجال الأمم التي جاءت في الموارد التالية : يوسف : ٤٩ ،
والحجر : ٤ - ٥ ، والمؤمنون : ٤٣ ، والأعراف : ١٨٥ ، والكهف : ٥٨ ،
وفاطر : ٤٥ .

ب - سنة شمول العقاب الدنيوي لجميع أفراد المجتمع الظالم .
راجع الأنفال : ٢٥ .

ج - سنة تبعية التغيير في البناء العلوي في المجتمع للتغيير في
المحتوى الداخلي لأفراد ذلك المجتمع . راجع الرعد : ١١ ، والأنفال :
٥٣ .

د - سنة معارضة المتطرفين لحركة التغيير الاجتماعي بواسطة
الانبياء . راجع سبأ : ٣٤ - ٣٥ .

هـ - سنة انهيار المجتمع من خلال تسلط المتطرفين على مقاليد
الأمر . راجع الإسراء : ١٦ .

و - سنة تبعية وفرة الانتاج المادي لاستقامة أفراد المجتمع . راجع
الأعراف : ٩٦ ، والمائدة : ٦٦ ، والجن : ١٦ .

ز - سنة التدافع في الحياة الانسانية . راجع البقرة : ٢٥١ ، والحج : ٤٠ .

ح - سنة الاختلاف بين أبناء آدم . راجع تفسير قوله تعالى :
﴿ ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (٤١) .

(٤١) هود : ١٨ - ١٩ .

ط - سنة تراكم الخبائث وانهيار المجتمع . راجع الانفال : ٣٧ ،
وهكذا سببية الظلم لانهيار المجتمع ، راجع الحج : ٤٦ .

وهناك سنن أخرى نعرفها من خلال مراجعة الآيات ٣٤ من سورة
الانعام ، و ٧٦ من سورة الإسراء ، و ٤٣ من سورة فاطر ، و ٢٣ من
سورة الفتح ، و ٢١٤ من سورة البقرة .

٣ - الآيات التي دلت على الاعتبار بالتاريخ ، والتدبر في حوادث
التاريخ ، فإن الاعتبار لن يتحقق ما لم تكن هناك سنن يمكن اكتشافها ،
والاستفادة منها في الحياة الاجتماعية للانسان المتدبر ، والمجتمع

الذي يريد الاعتبار بسلوك المجتمعات السالفة وعواقب سلوكها .
راجع الآيات التالية : ١٠ من سورة محمد ، و ١٠٩ من سورة
يوسف ، و ٤٦ من سورة الحج ، و ٣٧ من سورة ق .
وهكذا أكد القرآن الكريم أن للساحة التاريخية والمجتمعات
البشرية سنناً وضوابط ، كما توجد ضوابط لكل الساحات الكونية
الأخرى . ويعتبر هذا المفهوم فتحاً قرآنياً فريداً فيما نعلم (٤٢) .
وقد قاوم القرآن النظرة العنصرية أو الغيبية الاستسلامية لتفسير
الحوادث ، فأصر على وجود السنن وعلى إمكان اكتشافها ، وهدى إلى
كيفية اكتشافها وكيفية توظيفها للاستفادة منها .

د - خصائص السنن الاجتماعية

وتمتاز السنن الاجتماعية بما يلي :

١ - الاطراد والموضوعية ، بمعنى أنها لا تجري على أساس
الصدفة ، بل هي قوانين عامة لا تتخلف في الحالات الطبيعية ، إلا إذا
خضعت لسنة أخرى ذات طابع موضوعي أيضاً ؛ فإذا اجتمعت
شروط الإحراق للنار كانت محرقة ، وإذا كانت النار مشتعلة
ووجدناها لا تُحرق ، علمنا أن ذلك لعلّة أيضاً ، وهي وجود حائل بين
النار وما هو قابل للاحتراق مثلاً . وهكذا يقال عن البلاء النازل على
أمة إذا توفرت أسبابه ، وإنما يرتفع هذا البلاء حينما يزول أحد
أسبابه ، أو يتوفر شرط آخر لسنة أخرى تكون اعم من هذه السنة ،
فتخضع الظاهرة الاجتماعية للسنة الأعم حينئذٍ ، فلا تشذ عن ميدان
السنن . قال تعالى : ﴿ وَلَنَجْذِئُنَّكَ اللَّهُ تَبْدِيلًا ﴾ (٤٣) ، وقال أيضاً :
﴿ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ (٤٤) .

والقرآن يؤكد على هذا الطابع الموضوعي والعلمي للسنن
الاجتماعية ، ويعلم الانسان كيفية اكتشاف السنن ، وكيفية توظيفها

(٤٢) راجع المدرسة
القرآنية: ٥٥ - ٧٣، الدرس
الرابع.

(٤٣) الاحزاب: ٦٢،
والإسراء: ٧٧.

(٤٤) الأنعام: ٣٤.

للاستفادة منها في مسيرة التكامل الانسانية ، ومسيرة التربية الواقعية .

٢ - الربانيّة ، فكل سنة هي كلمة الله ، وهي قرار رباني ، والله هو من وراء هذه السنن ، وهو الذي سنّ هذا السنن ، فالساحة الاجتماعية بالرغم من خضوعها لسنن موضوعية ، هي في قبضة الله وتحت قدرته وارادته ، من دون أن يقع الانسان في اتجاه لاهوتي يتغافل فيه عن الجانب العلمي والموضوعي للسنن ، والاتجاه اللاهوتي يقطع صلة الحادثة ببقية الحوادث ، ويجعل ارتباطها بالله بديلاً عن العلاقات التي تزخر بها الساحة الاجتماعية ، بينما القرآن الكريم لا ينتزع الحادثة من سياقها ليربطها بالسماء ، بل إنه يربط أوجه العلاقات كلها بالله ، ويعتبر كل ذلك تعبيراً عن كلمة الله وحسن تقديره وبنائه التكويني .

٣ - الانسانية ، بمعنى أن السنن الاجتماعية ميدانها المجتمع الانساني ، ولا تعمل بمعزل عن الانسان وارادته واختياره ، فمنها ما يوجّه ارادة الانسان ، ومنها ما يكون في طول اختياره ، كما سوف يتضح ذلك في انواع السنن الاجتماعية ، حيث تكون السنن المشروطة والموضوعية في طول ارادة الانسان واختياره ، فهي لا تتصادم مع ارادة الانسان ، ولا تعمل خارج حدود اختياره . قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (٤٥) .

هـ- أنواع السنن الاجتماعية

يمكن تقسيم السنن الاجتماعية التي كشف عنها القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع أو أشكال :

١ - السنن المشروطة .

٢ - السنن المطلقة .

٣ - السنن الموضوعية .

ترتبط السنن المشروطة بشروط ينبغي تحققها لتحقيق تلك النتائج، وتكوم محتومة حينئذٍ، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصَرِكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٤٦)، وما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٤٧).

(٤٦) محمد: ٧.

(٤٧) الطلاق: ٢-٣.

والسنن الشرطية ترتبط دائماً بآرادة الانسان؛ باعتبار أن اختيار الشرط بيد الانسان نفسه.

أما السنن التي لا ترتبط بشروط لتحقيقها، بل تكون على شكل قضية ناجزة، فهي سنن مطلقة، مثل سنة الرحمة الإلهية، وسنة اختيار الانسان، وسنة التكامل الاختياري للانسان، وسنة الاختيار الدائم، وسنة الاختلاف في القدرات بين أفراد المجتمع، وسنة الهداية الإلهية للمجتمعات البشرية، فهذه سنن عامة لا تشذ عنها المجتمعات البشرية. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤٨)، و﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٤٩)، و﴿خُلِقَ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٥٠)، و﴿يَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٥١)، و﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(٥٢)، و﴿هُدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٥٣)، و﴿لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٥٤).

(٤٨) الأعراف: ١٥٦.

(٤٩) النجم: ٣٩.

(٥٠) الملك: ٢.

(٥١) الأنبياء: ٣٥.

(٥٢) الليل: ١٢.

(٥٣) البلد: ١٠.

(٥٤) البقرة: ٢٥١.

والسنن المشروطة تقبل التحدي والخروج عليها، بينما السنن المطلقة لا تقبل التحدي والخروج عليها.

وأما السنن الموضوعية فهي السنن التي تقبل التحدي على المدى القصير، ولا تقبل التحدي على المدى البعيد، وهي تمثل اتجاهاً طبيعياً في مجال الانسان والمجتمع، وليست على صورة قانون صارم لا يقبل التحدي أصلاً. ويمكن الاستشهاد للسنن الموضوعية بسنة الدين في المجتمع البشري، وسنة النكاح، وسنة قيام الرجل على المرأة. قال تعالى: ﴿فَاقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٥).

(٥٥) الروم: ٣٠.

و- العلاقة بين أنواع السنن الاجتماعية

يمكن تصنيف السنن الاجتماعية من حيث العموم والخصوص ، فبعض السنن يكون شاملاً شمولاً تاماً لجميع الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، مثل سنة الرحمة الإلهية : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ (٥٦) ، وسنة الهداية الإلهية : ﴿الذي خلق فسوّى * والذي قدر فهدى﴾ (٥٧) .

(٥٦) الاعراف: ١٥٦ .

(٥٧) الأعلى: ٢-٣ .

وبعض السنن تعم الانسان فقط ، مثل سنة الاختيار ، والمسؤولية ، وأن السعي الاختياري هو طريق الكمال ، وسنة الاختلاف في الطاقات والاستعدادات ، وسنة التدافع ، وسنة الامتحان والاختبار . فالقسم الأول هو السنن الأعم والأشمل مورداً وموضوعاً ، والقسم الثاني يختص بالانسان ويعم كل أفراد .

وهناك سنن تخص بعض افراد الانسان ، مثل سنة العصمة والإعجاز للأنبياء من أفراد الانسان ، وهي سنن مطلقة أيضاً ، ويمكن تسميتها بالسنن الخاصة في قبال العامة والأعم .

وتحت ظل السنن الخاصة قد تكون هناك سنن أخص ، حينما تكون مشروطة بشروط خاصة ، فنجاح الأنبياء ونجاتهم مقرون بصبرهم وجهادهم .

ز- الإرادة الانسانية والسنن الاجتماعية

فالسنن المطلقة هي التي لا يمكن تخطئها والتخلف عنها في جميع الظروف ، فهي تفوق الارادة والاختيار ، بينما السنن المشروطة والموضوعية لا تتنافى مع الارادة والاختيار ، بل تكون مشروطة بما يختاره الانسان من حيث توفيره للشرط المأخوذ في موضوعها .

١٧- بحوث خاصة عن السنن الاجتماعية

وقد ذكرنا جملة من الأمثلة لكل نوع من السنن ، ولكن معرفة النظام الصالح تتوقف على الاحاطة بجميع السنن بجميع أنواعها ،

وعدم إغفال أي مصداق من مصاديقها ؛ ليتم توزيعها ضمن النظام الاجتماعي .

١٨- جوهر المشكلة الاجتماعية

قلنا إن المشكلة الاجتماعية هي مشكلة النظام الاجتماعي الأصلح للبشرية ، ولخصناها في معرفة النظام والإيمان به وتطبيقه .
والإنسان المعاصر هو أشد إحساساً ، وأكثر وعياً لهذه المشكلة ولأبعادها ولتعقيداتها ومضاعفاتها . والتطور التكنولوجي والعلمي ، وسيطرة الإنسان على الطبيعة بشكل مرعب ، قد زادا المشكلة تعقيداً ، وضاعفا أخطارها ؛ باعتبار أنهما قد فتحا للإنسان أبواباً جديدة للاستغلال والظلم والاستثمار .

وفشل الأنظمة الاجتماعية الوضعية هو العامل الآخر ، الذي يدعو الإنسان للتفكير الجاد للوصول إلى السبب الأعظم للمشكلة .

إن جميع الحلول التي قدّمتها البشرية حتى اليوم ، لم تركز على التشخيص الصحيح لجوهر المشكلة الاجتماعية ، إذ اكتفت بتقديم الحلول لبعض الظواهر الفوقية للمشكلة ، دون الغور إلى السبب الأعظم المؤدي إلى كل ألوان التناقض الاجتماعي .

إن حبّ الإنسان لذاته هو العامل الأساسي لكل ألوان الاستئثار ، وليست الملكية الخاصة ، أو نوع وسائل الانتاج ، أو غياب الديمقراطية هي التي تدفع الإنسان للاستغلال والاستئثار . وقد سقطت الأقنعة وفقدت الشعارات مضمونها ، وبقي جوهر المشكلة دون أن يكشف ، ودون أن تقدّم له الحلول المناسبة .

وقد قدّمت الأديان السماوية للإنسانية التصور الصحيح لجوهر المشكلة ، حينما كشفت عن أصالة حب الإنسان لذاته ، ولكل ما يرتبط به من شؤون . قال تعالى : ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾^(٥٨) ، و ﴿إن الإنسان لظلم كفار﴾^(٥٩) ، و ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ أن رآه استغنى^(٦٠) ، فغريزة

(٥٨) المعارج : ١٩ .

(٥٩) إبراهيم : ٣٤ .

(٦٠) العلق : ٦ - ٧ . راجع مقدمة فلسفتنا للشهيد الصدر .

حب الذات هي التي توجه السلوك الانساني ، وكل الغرائز الأخرى هي فروع لهذه الغريزة ، وهي التي تدفع الانسان للتملك ، أو السيطرة على الآخرين ، واستثمار طاقاتهم لصالحه ، ولا يمكن قلع هذه الغريزة ، بل لابد من توجيهها الوجهة الصحيحة ، واستغلالها بما يحقق للانسانية أهدافها من الحياة الاجتماعية ، المبتناة على العدل والتقوى وحب الخير للآخرين ؛ ومن هنا توجهت الأديان إلى بناء وتغيير المحتوى الداخلي للانسان من أجل توجيه هذه الغريزة بالذات .

قال رسول الله (ص) :

رَأْسُ الْعَقْلِ
بَدَلُ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَالْتَجِبُ إِلَى النَّاسِ

البخاري ٧٤ : ١٥٨

المرأة في الإسلام

٢

شبهت ورد

* الشيخ

محمد هادي اليوسفي


نشرت مجلة النهج التي تصدر في دمشق في عددها الحادي والاربعين من السنة الحادية عشرة ، مقالاً تحت عنوان المرأة في الجاهلية وفي الاسلام ، لكاتبه هادي العلوي، تعرض فيه إلى عدة مسائل تدور حول وضع المرأة في الجاهلية وفي الاسلام ، ومن خلال المقارنة بين الوضعين أثار الكاتب بعض الابهامات والشبهات حول نظرة الاسلام للمرأة ، وأنها لا تتمتع بحقوقها كاملة في ظل النظام الاسلامي ، مبرزاً الجانب الايجابي لوضع المرأة في الجاهلية ، وبعد أن دس الخطأ بالصواب وخلط الغث بالسمين ، جاء بأراء وأفكار لا تمت إلى الاسلام بصلة ، جاهلاً أو متجاهلاً نظرة الاسلام الشمولية والواقعية للكون والحياة ، خصوصاً نظراته الواقعية وموقفه الرائع من المرأة في كل ادوار حياتها ، وتشريعاته التي رفعت من شأنها ، وأخذت بيدها كي تحتل موقعها المناسب في المجتمع الاسلامي ، تلك التشريعات التي فاقت ورجحت على جميع الانظمة السائدة حتى يومنا هذا ، مما دفع المرأة العربية المعاصرة للقبال على الاسلام واعتناقه ؛ لما فيه من حفظ لكرامتها وحقوقها التي أهدرت في ظل الانظمة الوضعية للحضارة الغربية .

ثم عزج الكاتب على مدرسة اهل البيت عليهم السلام ، وأثار مسائل وآراء تتعلق بالمرأة نسبها إلى عقائد وفقه هذه المدرسة الاسلامية الكبرى ، مجاناً في ذلك الحق والحقيقة ، ومجانياً الواقع فيما ادعاه .

وبين يديك عزيزنا القارئ ، الجزء الثاني من الرد السريع على اهم الآراء والشبهات التي اوردها الكاتب في مقاله المشار إليه .

التحرير

ارث المرأة في التشريع الاسلامي

إن مبدأ توريث المرأة كان خطوة كبيرة للثورة الاسلامية الاولى  الأم ، في مجتمع كان يفرض الحرمان التام على النساء ، فكانت المرأة في الجاهلية محرومة منه ، إذ كان الذكر هو الوارث الوحيد ، وإذا لم

يكن بين الأولاد ذكور ذهب الميراث إلى الأعمام ، كما أخرج مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري في الصحيح عن عمر بن الخطاب قال : «والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم»^(١) ، وذلك في أيام معركة أحد ، حيث قتل الصحابي سعد بن الربيع وخلف بنتين ، فجاء عمهما واستولن على ميراثهما ولم يترك لهما شيئاً ، فجاءت أمهما إلى النبي ﷺ شاكية ، فاستمهلها إذ لم يكن مسبقاً بشيء في ذلك ، فعندئذ نزلت آية المواريث ، فدعا عمهما وقال له : «أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأعط أمهما الثمن ، وما بقي فلك» .

(١) صحيح مسلم ١٤٠: ١٤١

وكذا نرى المرأة الاوربية في العصور الوسطى حتى عصر النهضة الصناعية الكبرى محرومة من الارث عموماً ؛ ففي بريطانيا كان يذهب جميع الموروث إلى الابن الاكبر ، فلم تكن تُحرم منه البنات فقط ، بل حتى سائر البنين غير الأكبر ، وعند الساميين القدماء والسومريين أعطت شريعة اوراغو حق الارث للبنات بشرطين : أن تكون وحيدة والدها ، وعازبة بعد لم تتزوج . وفي شريعة حمورابي كذلك تحرم منه المتزوجة ، وإنما تورث العازبة ، بينما حصص الميراث في الاسلام شاملة للأولاد جميعاً بنات وبنين ، اعزاباً ومتزوجين ، إلا أن حصة البنات من الميراث نصف حصة البنين .

وأما مسألة إعادة النظر في هذه الحصص - مع تطور المجتمع الاسلامي - ليكون الجنسان متساويين في ذلك ، فإنما يتوقعه وينظره من لم ينظر في اصول الفقه في الاسلام ، فلا يعرف ماهي أدلة الأحكام في الاسلام ، ولا يعرف ما أجاب به اولياء الاسلام عن هذا التساؤل القديم .

فقد روى الصدوق في علل الشرائع بسنده عن هشام بن سالم عن الأحول قال : « قال لي ابن أبي العوجاء : ما بال المرأة الضعيفة لها سهم واحد وللرجل القوي الموسر سهمان ؟ قال الأحول : فذكرت ذلك للصادق عليه السلام فقال : على الرجال النفقة والعاقبة والجهاد ، وعد غيرهما وقال : وليس هذه عليها ، فلذلك جعل له سهمان ولها سهم » .

وروى فيه بسنده عن عبد الله بن سنان قال: «قلت للصادق عليه السلام: لأي علة صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين؟ قال: لما جعل لها من الصداق».

وروى فيه بسنده عن أخيه محمد بن سنان أنه كتب إلى الرضا عليه السلام بمسائل، فكتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: «علة إعطاء النساء نصف ما يُعطى الرجال من الميراث، لأن المرأة إذا تزوجت أخذت وأعطاه الرجل، لذلك وُقر عليه، ولأن الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت فعليه أن يعولها وعليه نفقتها، وليس على المرأة أن تعول الرجل، وإن احتاج فلا تؤخذ به بنفقتها، لذلك وُقر عليه» (٢).

وفي دية المرأة، وهي العوض المالي عن قتلها خطأ، انفرد بعض فقهاء القرن الأول والثاني، ومنهم أبو حنيفة، بالفتوى بتساويها مع الرجل، واستند الجصاص الحنفي في ذلك إلى الحديث النبوي الشريف المتفق عليه في خطبة حجة الوداع قال: «المسلمون متكافأ دماؤهم»، وزاد مساواة الأحرار وسائر العباد حتى من غير المسلمين، بتعميم المسلمين على الناس، وهو سواء عند أبي حنيفة والشافعي (٣)، في حين حكم أكثر الفقهاء بأن ديته نصف دية الرجل، والجاري على السنة العامة من الناس هو أن الدية هي ثمن الدم، وعليه فتصنيفها يعني أن دم المرأة أرخص من دم الرجل بمقدار النصف منه (٤)، ولنا أن نهمل ما يجري على السنة العوام من الناس من أن الدية هي ثمن الدم، لجريانه على السنة العامة دعوى بلا دليل، ولنا أن نسحب ما أجاب به أولياء الإسلام من ائمة أهل البيت عليه السلام عن السؤال عن مناصفة أرثها، إلى هذه المسألة عن مناصفة ديته، فالسؤال عن المناصفة وهي جارية في البابين، ولا فرق في البين.

قيد مفتعل

أما المنع من السفر وهو قيد آخر لحرية المرأة، فإن اتفق بعض فقهاء العصر العباسي على عدم جواز سفر المرأة ثلاثة أيام إلى خارج بلدها إلا مع محرماً، وارتاب آخرون ألا يكون هذا الحكم من الإسلام بل من إضافات

(٢) علل الشرائع ٢: ٢٩٤ و ٢٩٣، ط. بيروت.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١٤٣: ١.

(٤) المقال السابق في مجلة النهج السوري: ٢١.

الفقهاء في العصر العباسي ، فإن آخرين من فقهاء مذهب أهل البيت عليهم السلام لم يرتابوا في ذلك ، جازمين بأنه من إضافات الفقهاء في العصر العباسي ، وأما حكم الاسلام في مذهب أهل البيت عليهم السلام فإنما هو كراهية ذلك وليس حرمة ، ثم الكراهية إنما هو فيما لم تضطر إليه عرفاً أو شرعاً ، كالحج الواجب إلى بيت الله الحرام حجة الاسلام ، أما ذلك فحتى لو نهاها زوجها فإنه كما جاء في الحديث النبوي الشريف : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

أهلية المرأة للولاية :

روى البخاري والترمذي والنسائي عن أبي بكرة قال : « لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال : لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » ، وقال الترمذي : هذا حديث صحيح ، ورواه أحمد في مسنده : « لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » ، ورواه الحراني في تحف العقول بهذا اللفظ ، ورواه الشيخ الطوسي في كتاب الخلاف في الفقه مرسلاً : « لا يفلح قوم وليتهم امرأة »^(٥) ، وقالوا : الولاية ثلاثة : الخلافة أو الرئاسة ، وإمامة الصلاة ، والقضاء . وجوز أبو حنيفة ولايتها للقضاء فيما تصح فيه شهادتها ، وجوزها الطبري مطلقاً ، كما جوز هو وصاحبه أبو ثور امامتها للصلاة كذلك ، وجوزها الشافعي للنساء ، ويقف الوفاق الفقهي على الخلافة ، إذ يشترطون فيها الذكورة^(٦) ، وفي الاستدلال والاتفاق مجال للنظر .

الحجاب :

المعروف في عرف الأديان أن الانسان الأول هو آدم ابو البشر ومعه زوجته الأم حواء ، والمعروف في عرف مذهب أهل البيت عليهم السلام أن أولاد آدم تزوجوا فيما بينهم إخوة وأخوات ، وعليه فأولادهم محارمهم ، جدّ وجدّة وإخوة وأخوات وأعمام وعمّات وأخوال وخالات ، ولعل في هذا المقطع من التاريخ الديني ما يلتقي بالتاريخ المادي الزاعم أن الناس كانوا منكشفين

(٥) بساب كتاب النسبي إلى كسرى وقصر من كتاب المغازي من صحيح البخاري ٩٠: ٣ ب ٦٤ من ابواب الفتن من سنن الترمذي ٣٦٠: ٣ ح ٢٣٦٥ . وبسبب النهي عن استعمال النساء في الحكم من كتاب آداب القضاة من سنن النسائي ٨ : ٢٢٧ . مسند أحمد ٣٨ : ٥ تحف العقول : ٣٥ . الخلاف في الفقه ٣ : ٢١١ .

(٦) وتظهر أخيراً النقاش الفقهي حتى في هذا ، ومن تناوله بهذا النقاش الشيخ محمد مهدي شمس الدين العاملي في كتاب مستقل بعنوان أهلية المرأة لتولي السلطة في (١٦٠) صفحة ، وهو الكتاب الثاني من مسائل حجة في فقه المرأة ، يسبقه الكتاب الأول السترة والنظر في (٢٨٠) صفحة .

للطبيعة بما فيهم المرأة في المعاصر البدائية ، أما ماعدا المعاصر البدائية فالزني المشترك المعتاد لنساء الشرق القديم كان طويلاً فضفاضاً لا يتقسم على الجسد ، وإنما يظهر منهن بعض السواعد والأقدام ، عاطلة أو محلاة بالحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ والعقيق وغيرها ، على النهج السائد في نساء الشرق من الاحتشام بغطاء الشعر التقليدي ، كالرجال أيضاً ، مع اختلاف أغطية الرأس بين الشعوب نساءً ورجالاً ، ولعله بدأ الحجاب مع وجود التناكر بين الأرحام المحارم مع تكاثر البشر من أبناء آدم ﷺ ، وتشترك فيه الأديان السماوية الثلاثة .

والعرب خاصة كانوا يتعمّمون ، و «العمائم تيجان العرب» ، فعلى رؤوس رجالهم العمائم ، وعلى رؤوس نساؤهم الخمر . وجاء في التاريخ أن من السنن الحنيفية التي كانت لعبد المطلب في دار الندوة ، أن البنت إذا بلغت مبلغ النساء أتوا بها إليه فيلبسها الخمار . وقالوا : وكان وجهها مكشوفاً ، وأحياناً تُسدل خمارها على كتفها فيظهر بعض صدرها . واستمرت المرأة على هذا الزي بعد الاسلام حتى منتصف ما بعد الهجرة ، ثم فرض الحجاب بغير زيادة كثيرة على ما كان سوى ستر الصدر ، وزيادة الحشمة بعدم اظهار مفاتن الجسد .

وقد فُرض الحجاب بآيتين : الاولى : الآية التاسعة والخمسين من سورة الاحزاب الخامسة نزولاً في اواخر السنة الخامسة للهجرة ، والتسعون في النزول العام^(٧) ، ونصّها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُبْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ ، وبَنَاتِه وَأَزْوَاجِه ونساء المؤمنين بمعنى أزواجهن حرائر ، والحرائر بفضل انتسابهن إلى العوائل كنّ بطبيعة الحال اكثر خفراً وصوناً وحصانة ، أما الجوارى فلعدم انتسابهن إلى العوائل كنّ اكثر انفلتاً . وجاء في الروايات أن شباب المدينة كانوا يلاحقونهن . وتأكيذاً لهذا التفريق كانت هناك أعراف وقوانين سابقة - كالقانون الأشوري مثلاً - تلزم الحرائر عند خروجهن من بيوتهن بحجاب

(٧) التمهيد ١: ١٠٦.

لرؤسهن ، بينما تمنع الجوارى من ذلك . وإماء العرب في الجاهلية كن يكتفين بالخمارة للرأس والدراعة للصدر ، ولكنهن - كما يفهم من الآية - كن يتطوعن أحياناً للتحجب تشبهاً بالحرائر ، فعدم اختلافهن في الزي مع الحرائر عرّض الحرائر مع الجوارى لتحرش الشباب ، فاشتكت الحرائر - كما في التفاسير - إلى أهليهن ، فنزلت الآية تأمرهن بحجاب إضافي يميزهن عن إمائهن كما صرحت الآية : ﴿ ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين ﴾ ، وكانت وسيلة القرآن إلى ذلك هي ادناء الجلابيب .

ولم يتفق اللغويون - ويتبعهم المفسرون - في معنى الجلابيب ، ففسروه بالقناع والخمار والملحفة ، وكأنها الثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، أو الثوب الذي تلبسه المرأة فوق ثيابها ، أو الثوب الواسع الذي يستر جميع البدن من أعلاه إلى أسفله ، وعليه شاهد من قول المتنبي ، واختاره القرطبي في تفسيره ، وهو المعنى المعروف حتى اليوم بصيغة الجلابية ، وهي ثوب فضفاض طويل تلبسه المرأة - بل الرجل - في شتى البلدان العربية ، فمع هذا ليس الجلابب عبارة عاتمة غائمة ، بل هو شيء واضح محدّد كعلامة تميّز الحرة عن الجارية ، وهو التعليل الذي ذكرته الآية للأمر بالجلابيب ، ليس في الآية أمر بستر الوجه علامة تميّز الحرة عن الجارية ، وإن أخذ به بعض الفقهاء والمفسرين ، أو قل فقهاء المفسرين ، مع بعض المفسرين الروائيين ، إذ روي أن نساء المدينة حجبن وجوههن بعد نزول هذه الآية من سورة النساء ، وعليه اعتمد من تشدد في حجاب الوجه فيما سوى الحج في حال الاحرام . والمتفق عليه هو أن الجوارى غير مشمولات بهذا الحكم في هذه الآية بالحجاب الإضافي للحرائر بالجلابيب .

ويحتمل الاستنباط من حكم هذه الآية من سورة الاحزاب ، أن الحجاب الإضافي فرض على الحرائر للتحرز من فتنتهن للرجال ، إذ إن مصدر أديتهن تحرش الشباب بهنّ ، ولا شك في أن منشأ ذلك التحرش هو فتنة النساء لهم ، فلولا الفتنة لم يكن الاثارة والتحرش ، ولولاها لم يحصل الأذى

منهم لهن كما في الآية : ﴿أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ بتحرش الشباب بهنّ ، فمصدر الفتنة هي الحرائر في المقام الأول ؛ لأنهن في الغالب أجمل من الجواري ، وأقدر منهن على التلاعب بعقول الرجال ، وليس العكس ، فليست الفتنة في الإماء أكثر - خلافاً للمفسر الاندلسي أبي حيان في البحر المحيط - اللهم إلا لانفلاتهن لعدم انتسابهن إلى عوائل ، كما مرّ ، لأنهن أجمل للبعول وأقدر على اللعب بالعقول ، كما قال ، ولا نقول ، وهو من نوع اجتهاد العقول في موضع النص المنقول ، والذي تضمنه التعليل الصريح للحكم بحصره في تمييز الحرائر عن الجواري ، فالغرض هو درء الفتنة الأكثر بالحرائر ، ولذلك تشدد هذا التشريع في حجب الحرائر وتساهل في الجواري ، من دون أن يكون الحكم متوقفاً على وجود الجواري ، فالحكم في الآية غير موقوف بوجود الجواري لتحجّب الحرائر ، فالحكم صدر عن المشرع الاسلامي للتحرز من الإغراء غير مقيد بزمان خاص ، بل بوضع خاص هو الاشارة والإغراء للرجال بالنساء ، فالحكم في الآية لا يصطدم باعتبار ابدية الأحكام الشرعية استناداً إلى الحديث القائل : « حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة »^(٨) ، والخطاب الالهي في الآية لم ينطلق من قرار الهي بوجود الرق أبدياً ، كما اوهمه الواهم^(٩) .

والآية الثانية في الحجاب هي الآية الحادية والثلاثون من سورة النور ، الثالثة بعد المئة نزولاً ، والسابعة عشر نزولاً بالمدينة بعد الهجرة^(١٠) ، أي بعد أكثر من عشر سور بعد سورة الاحزاب ، والنازلة بعد سورة النصر النازلة في فتح مكة في الثامنة للهجرة ، أي في أواخر عهد التشريع قبل وفاة المبلغ الأول عن المشرع الاعظم ، رسول الله ﷺ بعامين تقريباً ، وهي قوله سبحانه : ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ، فهذه الآية أدت الأمر بستر الصدر بقولها : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الخمر : جمع خمار ، والجيب - قديماً - هو الزيت الذي يلى الصدر ، والمقصود اسدال الخمار الذي

(٨) اصول الكافي : ١ : ٥٨ ، ج ١٩ ، و ١٧ : ٢ ، ح ٢٠٠ ، وفسي وسائل الشيعة ١٦٩ : ٣٧ عن كنز الفوائد ١ : ١٦٤ .

(٩) المقال السابق في مجلة النهج السورية : ٣٣ - ٣٤ .

(١٠) التمهيد ١ : ١٠٧ .

يغطي الشعر على الصدر ليغطيه كذلك ، فهذه الآية هي الآية الأصلية في الحجاب ، ففيها تتعین حدوده غير المقيدة بوضع أو زمن ، فهي صدرت عن المشرع الاسلامي للتحرز من الإغراء وخوف الفتنة ، وهو الاعتبار الذي راعته الآية في نهياها عن التبرج وإبداء الزينة ، وأمرها بستر الشعر والصدر ، ولكنها بدورها أيضاً لم تضيف الكثير على الزي الجاهلي سوى ستر الصدر ، وزيادة الحشمة بعدم اظهار مفاتن الأجساد المثيرة والمغرية . ومن الآية الستين في هذه السورة ايضاً يستفاد أن هذا الحكم بهذا الحجاب خاص بالشباب من النساء حتى سن معينة هي التي يكن فيها قابلات للعلاقة الجنسية ، وهذا نص الآية : ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فإلّا جناح عليهن أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن ﴾ ، فالقواعد من النساء هن اللواتي بلغن سن اليأس وما في حكمه مما يوقف حاجة المرأة إلى الرجل ، وكذلك يجعلها من جهة اخرى غير مثيرة لشهوته إليها ، واتفق الفقهاء والمفسرون على أن الآية تنص على إعفاء هذه الفئة من النساء من القيود التي فرضت عليهن في الآية السابقة ، فلا جناح ، أي لا اثم ولا حرج ، في أن تخرج المرأة التي تعدت هذا السن وقد وضعت ثيابها الواسعة الساترة ، بشرط ألا تكون متبرجة بزينة ، فلو أسفرت عن وجهها وحسرت عن بعض شعرها فلا جناح عليها ، وكذلك لا جناح على الناظر إليها بغير ريبة شهوة وتلذذ ، وقد فرض انتفاؤه طبيعياً ايضاً .

حدود الاختلاط :

كانت خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية من وجوه مكة وتجارها وأبرز شخصيتها النسوية ، وقد عاشت مع النبي ﷺ قبل نبوته ورسالته خمسة عشر عاماً ، أي منذ كان عمره خمسة وعشرين عاماً ، ولم يكن يبدو يومئذ منه أي مظهر من مظاهر النبوة والرسالة ، مما يجعل اعتبار أن

عرضها زواجها عليه كان لرغبتها في مشاركتها في رسالته لا في تجارتها، مجرد افتراءات على الحقيقة والواقع التاريخي بل الديني والعقائدي^(١١)، وقد ظهرت بعد رسالته إلى جانبه أول مؤمنة به وبرسالته.

وانخرط في الدعوة منذ البدايات نساء غير خديجة أقل أهمية منها كنّ من الاماء والجواري المستضعفات، ولكنهنّ سجلن أمثلة صبر ومقاومة نادرة في تاريخ النساء، منهن أم عمار بن ياسر سمية، التي قُتلت وهي صابرة في التعذيب، فكانت أولى الشهيدات في الاسلام.

هذا في مكة، وبعد الطور المكي ظهرت في حياة السيرة نساء من طراز خديجة وسمية، وبالوصف المقبول للصحابة يناهز عدد الصحابيات أربعمئة من مجموع عشرة آلاف صحابي، وهو عدد مرموق في قياس الدائرة النسوية، وكان لهنّ حضور مشهود في المسجد النبوي الشريف. والقرآن الكريم لم يخصص الكلام بالرجال فقال: ﴿إني لأضيق عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾^(١٢)، بل تعطف الآيات المؤمنات على المؤمنين فيما يقتضي ذلك من المناسبات: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً﴾^(١٣). ومنهنّ من اصطحب رسول الله في حملاته الكبيرة، كأُمّ عمارة وأُمّ منيع وأُمّ عامر الاشهلية وأُمّ سليم الرُميصاء وغيرهن.

ولم تُمنع المرأة في صدر الاسلام من حضور المسجد والمساهمة في انشطته، ولم يقيّد حضورهن بوقت الصلاة، فقد كنّ يحضرن في أي وقت، ويشاركن في الكلام والمناقشات مع الرجال ومع المتصدرين في المسجد من النبي ومن وليه من الخلفاء بعده، ولكن ليس من المألوف أن تصلي المرأة والرجال يروحون ويجيئون من حولها، فوجدت أماكن مخصصة لهن إذا أردن الصلاة.

(١١) هكذا افترض القلم الصليبي في لبنان بيد أبي موسى الحريري في كتاب بعنوان قس ونبي صدر عام (١٩٨٥م)، أي بسعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، مما يمكن اعتباره من اقلام الفزو الثقافي الغربي ضد المسوعة الاسلامية، مدعياً أنه اكتشف اسرار الرسالة الاسلامية.

(١٢) آل عمران : ١٩٥.

(١٣) الأحزاب : ٣٥.

ونقل الزركلي في الأعلام أن ليلى بنت عبد الله القرشية العدوية من بني عدي قوم عمر بن الخطاب ، كانت تكتب في الجاهلية ، وأسلمت قبل الهجرة فعلمت الكتابة لحفصة بنت عمر ، وأقطعها النبي داراً بالمدينة ، فلما توفي ﷺ واستخلف عمر قَرَّبها إليه وجعلها من مستشاريه ، وكلفها الاشراف على بعض شؤون الأسواق بالمدينة^(١٤) ، ولعلها كانت من أسواق النساء أو شؤون النساء فيها ، وكذلك كانت الصحابية الاخرى سمراء بنت نهيك تتولى أمور السوق ، فكانت تتجول فيها وبيدها السوط لتأديب المخالفات . جاء ذلك فيما كتبه المؤرخ السوري عمر رضا كحالة في أعلام النساء ، الذي ضمَّته ما أمكنه استقصاؤه من الشخصيات النسوية في العصر الاسلامي وما بعده ، ويقع في عدة مجلدات تعرض صورة واضحة عن دور المرأة المسلمة في حياتها في صدر الاسلام وما بعده .

وكتاب بلاغات النساء لأحمد بن طيفور الخراساني البغدادي المتوفى في (٢٨٠ هـ) ببغداد في عصر المعتصم العباسي ، هو مصدر مهم لقدمه في نشاط النساء في صدر الاسلام ، وأورد فيه نصوص الخطب النارية التي ألقتها اشهر الخطيبات المحرّضات لمعسكر الامام امير المؤمنين ﷺ من النساء ، والامام علي ﷺ هو الذي استخدمهن لتأجيج حمية مقاتليه في صفين ، وكان فيهن من تتفوق على رجاله ﷺ في بلاغة الخطاب وشدة الإلقاء وابنته زينب بنت فاطمة عليهما السلام رسم لها أخوها الحسين ﷺ في معمة كربلاء الابهاء والشهداء المقدسة دوراً قامت به خير قيام وأفضله ، ولم يبق من ذريته ﷺ سوى ابن وحيد قد تعرّض للقتل مرتين ، مرة على يد عبيد الله بن زياد والي الكوفة ليزيد بن معاوية الخليفة الاموي في الشام ، وأخرى على يد الخليفة نفسه ، وزينب تمكّنت من انقاذه منها ، بل بتأثير من خطبها اللاذعة في الكوفة والشام اضطر الخليفة إلى حسم القضية والاسراع باعادة الأسرى إلى الحجاز . وبعد عودتها إلى المدينة تصدرت حملة التشهير به وبالأمويين ، ولم يجرؤ الأمويون على اعتقالها علناً ، لكنهم

(١٤) الاعلام للزركلي ٢: ٢٤٦.

أبعدوها ونفوها إلى الفسطاط القاهرة القديمة ، كما حكاه العبيدي الأعرجي النسابة المتوفى في (٣٣٣ هـ) في رسالته الخاصة أخبار الزينبات ، في المسميات بزینب من آل أبي طالب (عليه السلام) ، فمكثت هناك في دار العامل الوالي مريضة مدة تسعة اشهر ، وماتت فدفنت هناك سنة (٦٤ هـ) ، ثم شيد الفاطميون القاهرة ، فبنوا على قبرها مشهداً عامراً لا يزال يزار حتى اليوم ، وأقاموا إلى جانبه المسجد الكبير الذي هو الآن من معالم القاهرة ، فالضريح صحيح وليس من مخترعات الفاطميين ، كما أوهمه الواهم ^(١٥).

(١٥) المقال السابق في مجلة

النهج السورية: ٣٦.

وكان لابد للمرأة من موقع مع اتساع وازدهار الحوار الثقافي الفكري العلمي الديني والمذهبي والفقه في الاسلام ، وهنا نقف على مساهمات مهمة لسيدات جليلات في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والتاريخ ، فنقرأ عن ابن النجار المؤرخ البغدادي في القرن السابع الهجري أنه تخرج على ثلاثة آلاف شيخ أربعمئة منهم من المحدثات ، ونقرأ أن بين شيوخ ابن عساكر الدمشقي ثمانين محدثة ، وهو أحد كبار مؤرخي الاسلام ، وكتابه تاريخ دمشق من أمهات المصادر الحديثية والرجالية والتاريخية . ومن هذه الامثلة يتبين أن المرأة المسلمة قد أظهرت قدرتها على مضاهاة الرجال ، بل تقدمتهم حين فرضت عليهم التلمذة لها في مجالات جال بأفكار بعض الرجال الأغيار أنها محتكرة لهم فحسب .

الخلاصة :

أخذت المرأة في الاسلام تسترجع الكثير من حقوقها أمام الرجل الذي بدأ الاسلام يحكم طوق الانقياد عليه . ولقيام الجاهلية على الاعراف دون القانون كانت العلاقة بينها وبين الرجل عشوائية ، خاضعة لتقلبات المزاج ومقدرة كل منهما في أي ظرف ، لكن المرأة الجاهلية لم تكد تحافظ على شخصيتها الانسانية على أي حال . أما في الثورة الاسلامية الكبرى الأم التي اقامت الدولة وأنشأت المجتمع الجديد وشرعت له قوانين يسيّر

بمقتضاها فقد أخضعت المرأة لحكم رجلين اثنين فقط ، هما الأب أو الجد والزوج ، دون سائر الرجال الأرحام من أخوة وأعمام ، فلم يسمح الشرع الاسلامي بما أخضعت له في الواقع الاجتماعي من ولايات عديدة تمتد إلى أقارب الكلاله أحياناً ، ولم يأمرها الشرع بملازمة المنازل ، بل اعطاها الفقه الاسلامي حق التصرف في أموالها غير معلق على إذن الزوج في مذهب اهل البيت (عليه السلام) ، ولم يرد عنهم (عليه السلام) نص قاطع فيما هو دون منصب الرئاسة العامة ، وإن منع جمهور الفقهاء اشتغالها بالقضاء ، فقد جوزه بعضهم فيما تصح فيه شهادتها ، وجوزه الطبري مطلقاً ، وجوز بعضهم امامتها للصلاة للنساء ، ولم ترد تحريمات للوظائف الاخرى ، فللمرأة مكان معترف به في الجيش والادارة والحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية والعلمية الدينية وغيرها ، وكان بمقدورها أن تختلط بالرجال بحدود ، وتساهم في الحياة الاجتماعية .

﴿ ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴿ (١٦) ، هذا في القرآن العظيم ، وفي قول الرسول الكريم زيادة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد وهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، فهؤلاء النسوة الطاهرات لسن أسمى مقاماً من الأنبياء ، ولكنهن أعلى مقاماً من سائر الرجال ، فلم يعتبر النساء مطلقاً أنقص عقلاً من الرجال مطلقاً ، بل قال في الاستشهاد بهن : ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ ، وعلل ذلك فقال : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الاخرى ﴾ (١٧) ، فلم يجعل شهادة امرأتين شهادة رجل واحد لأنهن أنقص عقلاً من الرجال ، بل قال : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الاخرى ﴾ والضلال هنا يقابل التذكر ، فهو بمعنى يخالفه ، أي الضلال عن التذكر يعني النسيان ، كما نص عليه الطوسي في التبيان والطبرسي في مجمع البيان ،

(١٦) التحريم: ١١ و ١٢ .

(١٧) البقرة: ٢٨٢ .

(١٨) التبيان ٣٧٢:٢. التفسير الكبير ١١٤:٧. الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧:٣. تفسير المراغي ٧٤:٣. تفسير ابن كثير ٣٣٥:١.

(١٩) المقال السابق في مجلة النهج السورية: ٤٦.

والفخر الرازي والقرطبي والمراغي^(١٨)، فلم يكن في تناقض كما أوهمه الواهم^(١٩).

بل حصلت المرأة في الاسلام - بإقرار خصومه - على حقوق لم تكن لها في الجاهلية، فهناك أوشكت المرأة أن تؤول إلى سلعة يكون الرابع الوحيد فيها هو الولي من أب أو جد أو أخ أو عم أو ابن عم، بينما هنا في الاسلام أوشكت على ألا يكون على البنت ولاية لغير الأب أو الجد، وعلى الزوجة لغير الزوج، ثم بين لها حقوقاً لم يجوز للولي أن يتخطاها، وجعل مهرها ملكاً لها، ومنع من الاستيلاء عليه من قبل الولي كما كان الحال في الجاهلية، أما الحال في الأرياف والبادي فقد استمرت على العادة الجاهلية العربية، إذ كان الجاهليون إن لم يكونوا من الوائدين إذا هتأوا من ولدت له أنثى قالوا له: هنيئاً لك النافجة، أي إنك ستزوجه وتأخذ مهرها فينفج مالك أي يكثر. وحصلت الانثى على نصيب في الميراث، فحصلت أم المتوفى مع أبيه على السدس على السواء، وحصلت أم الاولاد على الثمن، وحصلت الزوجة بلا أولاد على الربع، وحصلت البنت مع الابن على نصف حصته، وورثت أباه إن لم يكن له وارث آخر، وكانت هذه خطوات متقدمة في زمانها، وبقيت متقدمة حتى القرن التاسع عشر حين بدأت الثورة البرجوازية بتعديل قوانين الميراث في أوروبا، بل حتى اليوم.

وأعاد الاسلام - بإقرار خصومه - الاعتبار للانثى بتحريمه الوأد، والحث على استقبال ولادتها بنفس استقبالهم الذكر، ودعا إلى معاملتها في المنزل معاملة الذكر، بل تقديمها في الإهداء والاتحاف بالفواكه من السوق والمرأة في الاسلام مخلوق سوي لا تتلبس به الأشباح أو الشياطين، نعم قد يرى لديها كيد لتعويض ضعفها أمام الرجال، فوصفت بذلك في القرآن.

واتفق الاسلام مع ما قبله في الزواج المرتب، أي الزوج المنفرد، لكن المرأة في الاسلام حصلت على الحق في قبول أو رفض المتقدم للزواج منها، بينما كانت في الجاهلية تقسر عليه من أي من ولاية أمرها المتعديدين،

ثم تُقهر على مهرها لهم . والحق متفق عليه شرعياً فيما يخص الثيب بمجرد ارادتها ، ومقيد فيما يخص البكر الصغيرة بإذن وليها الشرعي برعاية مصلحتها الشخصية . والاسلام جعل الزواج سنة مؤكدة ، حتى رأى الظاهرية أنه فرض ، وأن تاركه مع القدرة عليه آثم ، والسنة المؤكدة أقل من الفرض واكثر من الاختيار ، وجعل الزواج سنة مؤكدة على هذا النحو يوفّر من فرص الزواج للنساء ما لا يتوفّر في حضارة أخرى ، فهو يخفف حالات العزوبة ، ولذلك لم تكثر في العصر الاسلامي ، ومعها بالتبع قلة حالات العنوس ، وهذا من تكامل شريعة الاسلام أنها جارت الغريزة الجنسية من دون أن تولها الأولوية ، بل إنما اعتبرت الأولوية للوازع الديني والاجتماعي ، واردة الانسان المتشرّع المتدين ، خلافاً لما أوهمه الواهم (٢٠) .

(٢٠) م . ن .

وامتلك الرجل حق الطلاق في الاسلام ، وامتلك المرأة معه مهرها ، كما امتلكت حق الطلاق بخلع مهرها عليه ، ولا يجوز بغير سبب ، ولكن بأي سبب يجعل المرأة تطلب الانفصال منه ، أما طموحها إلى غيره وتغيّر قلبها عليه فليس سبباً مجوّزاً ، فهي الحالة الوحيدة التي يُرْفَض طلبها بالمخالعة ، بل تقسر فيها على البقاء مع الزوج ، وفيما عدا ذلك تقبل المخالعة . ولها كذلك اشتراط الوكالة بلا عزل ، مع حق توكيل الغير عنه لطلاقها عنه لأسباب خاصة معينة ، كما عليه الحال اليوم في دولة الاسلام .

وفي الجاهلية لا حدّ لزواج الرجال ، وحدّده الاسلام باربعة مشروطاً بالعدل وإلا فواحدة ، على أن هذا لا يقع بالاستغراق ، وإنما يتحقق نموذجياً في اوساط الاغنياء وأهل الحكم ، دون عامة الرجال الذين غالباً ما تضطرمهم قلة المال إلى الاكتفاء بواحدة أو اثنتين على الأكثر . وليس هذا من توسيعه حق الجنس للرجال دون النساء ، ولا لأنه يرى حاجة الرجل إلى الجنس اكثر من حاجة المرأة ، بل تماشياً مع حكمته من النكاح ، وهي التناسل والتكاثر لحاملي كلمة الحق . ولذلك منع الاسلام الاجهاض ، ومع ذلك فجواز منع الحمل منصوص عليه في الحديث النبوي الشريف ومذهب اهل البيت (عليه السلام) ،

ويمكننا أن نعتبر هذا أيضاً من الحقوق المهمة التي شرعها الاسلام للنساء . هذا بالقياس مع الجاهلية العربية وغيرها ، أما مع المسيحية اليوم ، بل منذ ما بعد المسيح بقليل ، هي تكوين بولسي اكثر منه يسوعياً ، فليس في الأنجيل الأربعة وأعمال الرسل حديث خاص عن المرأة يعين لها موقعها في المجتمع اليسوعي ، وإنما كان ذلك في رسائل بولس وأسفاره ، فالمسيح لم يترك لنا نصاً حول المرأة يبين موقعها وعلاقتها بالرجل ، وليس لاقوال بولس سند في الأنجيل ، إلا أنها صارت جزءاً من الايمان المسيحي . لأن بولس هو المؤسس الفعلي للمسيحية ، والمكسب الاكبر للمرأة في تعاليمه . وليس تعاليم المسيح الأصلية - هو وحدانية الزواج ومنع الضرائرية ، وهذا خاضع على الاكثر للرهبانية المبتدعة في المسيحية البولسية ، أما الميراث فهو - كسائر الاحكام التشريعية - محوّل على الشريعة السابقة في كتابها التوراة .

ولنقرأ معاً بعض النصوص البولسية في رسائله وأسفاره عن المرأة :
 في رسالته إلى اهل كورنثوس يمنع المرأة من التكلم في الكنيسة (٢١) .
 وفيها أيضاً : «الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ، الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من اجل الرجل» (٢٢) .

(٢١) ١٤ : ٣٥ ، ٣٤ .

(٢٢) ١٢ : ٦ .

وفي رسالته إلى اهل تيتوس يوصي العجائز أن ينصحن الحداث أن يكن خاضعات لرجالهن ومحبات لهن ولأولادهن صالحات ، عفيفات متعقلات ملازمان بيوتهن (٢٣) .

(٢٣) ٢ : ٤ .

وفي رسالته إلى اهل أفسس : «أيها النساء ، اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة ، وهو مخلص الجسد ، وكما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء» (٢٤) .

(٢٤) ٥ : ٢٢ - ٢٣ .

وفي رسالته إلى تيموتاوس : «النساء يزيّن ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بصفائر ، أو ذهب ، أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق

بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة ، لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع . ولكن لست أذن للمرأة أن تتسلط على الرجل ، ولا أن تعلم بل تكون في سكوت .. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء ، وآدم لم يغفُ لكن المرأة أغويت ، فحصلت في التعدي» (٢٥).

(٢٥) ٢ : ٩ .

وسبق نقل القول عن أرسطو في كتاب السياسة : «إن الطبع هو الذي عيّن المركز الخاص للعبد والمرأة» (٢٦).

(٢٦) كتاب السياسة لأرسطو

ترجمة أحمد لطفي السيد ب ١

ف هـ .

ويستمر الفكر الاوربي في هذه النظرة الذكورية إلى العصر الحديث ، رغم الانقلاب الذي حصل في المفاهيم تحت الثورة الرأسمالية ، فالاستاذ الاعظم للفلسفة الحديثة هيغل الالمانى يقول : «إن النساء يمكن أن يكنّ مثققات ، ولكنهنّ غير مؤهلات للفلسفة والعلوم العليا ، وحتى بعض أعمال الفن التي تتطلب الكلية» ، ويضيف : «إن كانت النساء في رأس الحكومة فالدولة في خطر» ، وفسره بأن النساء لا يفعلن حسب متطلبات العقل الكلي ، بل تبعاً للميول والأفكار العارضة (٢٧).

(٢٧) مختارات هيغل (فلسفة

الحق) ، ترجمة الياس مرقس .

قال أمير المؤمنين (ع) :

صِيَانَةُ الْمَرْأَةِ
أَنْعَمُ حَالِهَا
وَأَدْوَمُ جَمَاهَا
عَمْرُهَا

دراسات

نزلية النفس مَنْ مَنْظُورُ التَّهْتَلِينَ

٦

العرفان الصَّحِيحُ

* السيد كاظم الهادي

قد اتضح بكل ما سردناه أن الفقه والعرفان يشكّلان
سدي ولحمة ثوب التقوى ، ومن يفصل بينهما ويفترضهما
مدرستين منفصلة إحداهما عن الأخرى ، فلا يعرف شيئاً من الفقه ولا
العرفان .

وأؤكد أنني لا أقصد بفرض الظاهر والباطن للاسلام تصحيح
طريقة الباطنيين ، الذين يُظهرون للناس شيئاً ويُبطنون شيئاً آخر ، بل
أقصد أن للاسلام باطناً يشع من ظاهره ، وظاهراً شفافاً يُري باطنه ،
وظاهره يتلأل نوراً ، وباطنه أصفى وأنقى ، وظاهره هو الذي تكفل به
الفقه الذي يحدّد الإجزاء وسقوط القضاء والإعادة لعامة الناس ،
وباطنه أيضاً يفهم من نفس الأدلة الفقهية ، ويستفيد منه علماء وعملاً
للخلص من عباد الله ، كلّ بدرجته .

ولم يكن بالإمكان تكليف عامة الناس بتحصيل كل درجات الكمال
للنفس ، فاكتمى الاسلام بأقل الدرجات لعموم الناس ، مع فتح باب

الترقى والنمو والاقتراب الى الله سبحانه وتعالى لمن أحب ذلك بقدر ما يهتم به .

ولتوضيح اكتفاء الاسلام باقل الدرجات لعامة الناس ، مع ارشاده إلى مراتب أرقى من ذلك ، نشير إلى عدد من المسائل الفقهية :

الأولى : لا إشكال فقهياً في حرمة :

١ - لبس الخاتم من الذهب للرجال .

٢ - استعمال أواني الذهب والفضة .

بالتفصيل المذكور في علم الفقه ، ولكن الفقه لم يحرم على الانسان مطلق الاستفادة من الأموال التي تكون فوائدها وهمية ، فصحيح أن آنية الذهب والفضة لا تختلف في الفائدة عن أوان أخرى ، إلا بالاعتزاز بكونها ذهباً أو فضة ، والتباهي بها ، وليس هذا إلا فائدة وهمية . أما الفائدة الاستعمالية الحقيقية فالأواني الأخرى مشتركة فيها مع أواني الذهب والفضة ، وكذلك الخاتم من الذهب لا يختلف عند الرجال عن غير الذهب إلا بالتباهي والاعتزاز به ، وهو إنما يناسب حالة النساء ؛ لأنهن بحاجة حقيقية إلى الزينة والحلية ، وقد عبّر الله تعالى عنهن بقوله : ﴿أَوْ مِنْ يُنشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ﴾ (١) .

(١) الزخرف : ١٨ .

وقال الشاعر :

وما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا فكسر حلية السيف وصفه لك خلخالا
ولكن مع ذلك لم يحرم فقهياً على الرجال لبس خاتم مصوغ من مجوهرات قد تكون أغلى من الذهب ، ولم يحرم على الناس استعمال أوانٍ مصوغة مما هو أغلى من الذهب والفضة .

إلا إنه وردت في نصوص الشريعة ما قد يشير إلى قبح صرف المال ، في موارد المنافع الوهمية من قبل المؤمنين ، وهذا ما يستفيد منه الخُلص من عباد الله ، ولا يعتني به عامة الناس ، ومن جملة تلك

النصوص ما يلي :

١ - روي بسند تام عن موسى بن بكر عن أبي الحسن موسى ، قال : «آنية الذهب والفضة متاع الذين لا يوقنون» (٢) .

أفلا تستشفّ معي من هذا الحديث أنه بيان لحكمة تحريم آنية الذهب والفضة ، لا لنتيجة التحريم ، أي إنه ليس معنى هذا الحديث أنه بعدما حرّمت الشريعة آنية الذهب والفضة ، أصبحت تلك الأواني متاعاً للذين لا يوقنون ، بل معناه أن الذي يوقن بعالم الآخرة ماذا يفعل بالملاذّ الوهمية البحتة في هذه الدنيا ؟ وأن كونها متاعاً للذين لا يوقنون كان حكمة لتحريمها ، وهذه الحكمة موجودة في جميع الملاذّ الوهمية .

٢ - قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ (٣) .

أفلا تستظهر معي من هذه الآية أن الترف وصف يناسب الفاسقين لا المؤمنين ؟ ، ولئن كان الترف عبارة عن التمتع بأنعم الله ، فما معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ (٤) ؟ . أفلا تستظهر من ذلك ما أستظهره بفهمي القاصر - والله أعلم بمراده - من أن التمتع الحقيقي بالنعم المحلّة هو الشيء المقصود بالآية الثانية ، والتّمتع الوهمي بالمتع الوهمية ، أو بنفس النعم الحقيقية ولكن إلى حدّ التخمة ، التي تخرج التّمتع من كونه حقيقياً إلى كونه وهمياً ، هو الذي يسمّى بالتّرف ويكون داخلاً في مفاد الآية الاولى ؟ .

الثانية : لا إشكال فقهيّاً في حرمة الغناء والموسيقى ، وقد أدرج في بعض الروايات (٥) في اللغو الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرَّ بِاللَّغْوِ مَرَّو كَرَاماً ﴾ (٦) ، ولكن ألا تصدّقني في فهمي القاصر للقرآن الكريم أن اللغو في هذه الآية الكريمة ، وفي الآية الكريمة الأخرى ، وهي قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *

(٢) الوسائل ٣ : ٥٠٧ ، بحسب طبعة آل البيت ، ب ٦٥ من النجاسات ، ح ٤ .

(٣) الإسراء : ١٦ .

(٤) الاعراف : ٣٢ .

(٥) راجع الوسائل ١٧ : ٣٠٨ ، بحسب طبعة آل البيت ، ب ٨٩ مما يكتسب به ، ح ١٩ ، و ٣١٦ ، ب ١٠١ من تلك الأبواب ، ح ٢ .

(٦) الفرقان : ٧٢ .

(٧) المؤمنون: ١ - ٣.

والذين هم عن اللغو معرضون ﴿٧﴾ ، هو عبارة عن مطلق اللغو ؟ فقد جُعِلَ التحرز عن اللغو من صفات عباد الرحمن ، ومن صفات المتقين ، إلا أن الحدَّ الأوفى لهذا التحرز الذي أوجبه الفقه على عامة الناس هو الغناء .

(٨) الاعراف: ٢٠٤.

الثالثة : قد فسّر الفقهاء الآية الشريفة : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٨) ، بأن المقصود هو الاستماع والانصات لقراءة القرآن من قبل إمام الجماعة ، وقد دل على ذلك صحيح زرارة (٩) .

(٩) راجع الوسائل ٨ :

٣٥٥ ، حسب طبعة آل

البيت، ب ٣١ من صلاة

الجماعة، ح ٣.

وهذا أيضاً مما يحدس أنه من باب الاكتفاء بالأقل لعامة الناس ، وأن الاستماع والانصات لقراءة القرآن مطلوبان على كل حال ، ويلتزم به العارفون بالله ، كما ورد التزام سيد العارفين أمير المؤمنين عليه السلام بذلك ، حينما قرأ ابن الكوا وهو خلف أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الصبح : ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليجعلنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين﴾ (١٠) ، فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ، ثم عاد في قراءته ، ثم أعاد ابن الكوا الآية فأنصت علي عليه السلام أيضاً ، ثم قرأ فأعاد ابن الكوا فأنصت علي عليه السلام ثم قال : ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفئك الذين لا يوقنون﴾ (١١) ثم أتم السورة ثم ركع (١٢) .

(١٠) الزمر: ٦٥.

(١١) الروم: ٦٠.

(١٢) الوسائل ٨ : ٣٦٧ ،

بحسب طبعة آل البيت، ب

٣٤ من صلاة الجماعة، ح ٢.

ولنعد الآن إلى ما كنّا فيه من الحديث عن أن الاكتفاء بقشر ظاهري من الاسلام ، من عبادة جافة وطقوس باهتة ، غير صحيح ، فإنه - وإن كان ذاك القشر أيضاً يتلألأ نوراً - لو نفذنا إلى روح الاسلام وباطنه الوضاء ، لرأينا نوراً أوسع وأكثر تألؤاً وضياءً وإشراقاً ، وهذا الباطن رغم وضوحه وبروزه من شبكة القشر ونسيجه ، قد يخفى على أناس عميت بصائرهم لا أبصارهم ، فإنها ﴿لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (١٣) .

(١٣) الحج: ٤٦.

وهذه الروح الوضاعة لها جانبان :

أحدهما : ما أشرنا إليه حتى الآن من جانب العرفان ، أو قل : التوجه بحب الله ، والسعي إلى رضوان الله الذي هو أكبر من جنات عدن ، والاحتراق بنار الوجد والعشق لله سبحانه وتعالى .

وثانيهما : أن الاسلام دين مسير للحياة ، ونظام كامل شامل لادارتها بأحسن وجه ، كافل لسعادة البشر في الدنيا ، كما أنه كافل لسعادته في الآخرة .

فرب انسان يتعبد بظاهر العبادات الواردة في الشرع ، ولكنه يغفل عن حقيقة ادارة الاسلام للحياة ، وأن تطبيقه يجعل المسلمين سادة العالم ، ويمكّنهم من فتح كنوز الطبيعة ونعمها وخيراتها وبركاتها : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ (١٤) . وإنني آسف أن كثيراً من الذين يتعمّقون في فهم روح الاسلام ، ويصبون للوصول إليها والاتصاف بمتطلّباتها ، يلتفت إلى أحد الجانبين ويغفل عن الجانب الآخر ، فالعرفاء التفتوا إلى الجانب الأول ، وهو الجانب الروحي ، ولكن كثيراً منهم غفلوا عن الجانب الثاني ، وهو جانب ادارة الاسلام لنظام كامل شامل يسعد البشرية في حياتها الدنيا ، ولزوم العمل في هذا الحقل إلى أن يفتح الاسلام العالم أجمع ، تحت راية إمام العصر حجة الله على خلقه عبّال الله تعالى فرجه .

والمجاهدون الاسلاميون التفتوا إلى الجانب الثاني ، وهو جانب اشتغال الاسلام على نظام الحياة بالتمام والكمال ، ولكن كثيراً منهم غفلوا عن الجانب الأول ، وابتلوا بالجذب الروحي في عباداتهم وطقوسهم .

والمفروض للعرفاء والاسلاميين أن يتبعوا الائمة المعصومين (عليهم السلام) ، في الاهتمام بالاسلام بكلا جانبيه قشره وروحه .

ومن أبرز من رأيناه في زماننا هذا ، ممّن لم يغفل عن أحد الجانبيين ، وأعطى كلّ جانب حقّه ، هو الإمام الراحل آية الله العظمى السيد روح الله الخميني رضوان الله تعالى عليه ، وبهذا وذاك استطاع أن ينفذ في قلوب المؤمنين ، إلى أن وُقِّق لإقامة دولة الاسلام على بقعة من بقاء الأرض .

وما أقبح ما ينقله البعض من أن السيد الامام رضوان الله عليه أراد أن يلتقي بأحد هؤلاء المدعين للعرفان ، ولكنه لم يره أهلاً لذلك فلم يشرفه بهذا الشرف ! تعساً لذلك المسمى بالعارف ، ولمن يتبع امثاله من غير بصيرة وهدى ، ولو كانت له سعادة أن يكون تراباً لأقدام الامام الخميني ﷺ لكان ذلك شرفاً عظيماً له ، ولكن أتى له هذه السعادة وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم .

وإذا أردت مقايسة بين عرفانه المزيف وعرفان السيد الامام ﷺ الحقيقي ، فقارن بين كلام للامام ﷺ وكلام مضى سابقاً نقله عنه .

فالسيد الامام ﷺ ، الذي قام بأكبر خدمة للاسلام والمسلمين ، وهي إقامة الحكم الاسلامي في قطعة من الأرض هي أرض ايران ، ولا شك في إخلاصه الذي يندر لغير المعصوم الوصول إلى مستواه ، يقول فيما كتبه في إهداء كتابه المسمى بآداب الصلاة ، إلى زوجة ابنه السيد أحمد المسماة فاطمة ، والمطبوع في مقدمة هذا الكتاب الصادر عن مؤسسة تنظيم آثار الامام الخميني ونشرها : «أهديت إلى بنتي العزيزة فاطمة جعلها الله من المصلين كتاب آداب الصلاة ، الذي ألفته قبل أكثر من أربعين سنة ، وقبله بسنوات كتبت كتاب سر الصلاة ، وأنا لم أحصل بعد مضي أكثر من اربعين سنة شيئاً من أسرار الصلاة ، ولم أتأدّب بآدابها ، فإن تحصيل أمر ما شيء ، ومجرد نسج الحديث عنه شيء آخر ، وهذه الكتب حجة عليّ أمام الله ، وأعوذ بالله من أن أكون مشمولاً لهذه الآية الشريفة القاصمة للظهر : ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا

لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴿١٠٠﴾ . ولا ملجأ لي عدا رحمته الواسعة » .

أقول : قايـس بين هذا الكلام الذي يشبه كلمات المعصومين في مناجاتهم وتضرعاتهم واعتذارهم إلى الله سبحانه وتعالى ، والكلام الذي مضى عن ذلك المدعي للعرفان الذي اغترّ بعرفانه المزيف فقال : «إن المرحوم الأنصاري إنما كان يزور قبر الشيخ محمد البهاري من أجل أن يشتم رائحتي ، باعتباري أنني سأمرّ في المستقبل بهذا المكان» . قايـس بين هذين الكلامين كي تتذكر المثل المعروف «أين الثرى من الثريا» .

ثم إن فهم الاسلام بهذا الشكل الذي اشرنا إليه ، وطرحه بهذا الأسلوب ، والتوجه إلى مغزاه المشتغل على الجانبين اللذين اشرنا إليهما ، ومنهما روحه وواقعه النابض بالحياة ، أمور لها تأثير كبير على إبعاد الانسان عن المعصية ، الذي لا يكفي فيه مجرد التذكير بالجنة والنار .

وتوضيح المقصود أن الانسان ميّال بسبب العامل الداخلي ، وهو شهوات النفس ، والعامل الخارجي ، وهو المغريات ، الى المعاصي والمخالفات ، وللإسلام علاج عملي لذلك لسنا هنا بصدد شرحه ، وإجماله أن الاسلام جعل دين فطرة ، ونظاماً يلبي الحاجات الحقيقية للانسان ، ويؤمن - لو طبّق تطبيقاً حقيقياً في الحياة خارجاً - كل حاجات الانسان الواقعية ، ولا يحدد الانسان إلا من ناحية ميوله الشريرة غير الراجعة إلى الحاجات الحقيقية ، كالحسد وحبّ الإيذاء مثلاً ، وكذلك من ناحية السرف في تلبية الحاجات الحقيقية ، التي ترجع غالباً أو دائماً إلى ما يخرج من دائرة الحاجات الحقيقية . أما في دائرة تلك الحاجات الفطرية الطبيعية فليس للإسلام إلا تنظيم وتهذيب طريقة تليبيتها وإشباعها ، لا رفض ذلك . وما نراه خارجاً من فقر الفقر

أو عوز المعوزين لكثير مما يحتاجون إليه من وسائل الراحة والرفاه،
 إن هو - عادة - إلا بسبب عدم تطبيق البشرية لنظام الاسلام بشكله
 الكامل : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض
 ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ ^(١٥) . ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل
 وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير
 منهم سوء ما يعملون ﴾ ^(١٦) . ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء
 غدقاً ﴾ ^(١٧) ، فقتر النعمة وضيقها يعود في الحقيقة إلى ظلم الانسان ، لا
 إلى فقر أو دعه الله في الطبيعة : ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من
 السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره
 وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار *
 وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم
 كفار ﴾ ^(١٨) .

وعلاوة على ذلك زود الله تبارك وتعالى الانسان بالقوة المميّزة
 للخير والشرّ ، وهي العقل ، والعقل يقتضي بطبيعة الحال في الانسان
 أن يضحّي دائماً بمصلحته المهمة في سبيل مصلحته الأهم ،
 فالانسان المعتقد بالله وبالجزاء - بعد فرض غرض النظر عن
 الروحيات العرفانية ، والمثل العليا ، والعقل العملي ، والمصالح العامة ،
 وفرض حصر تفكيره ودوافعه في مصالحه الشخصية - يكفيه أن
 يقارن بين لذة مؤقتة ضعيفة محرمة ، ومصالحه الأخروية ، اعني
 النجاة من النار والفوز بالجنة ، فيستعد للتضحية بتلك اللذة الضعيفة
 المؤقتة في سبيل مصلحته العليا الدائمة .

ولكن الذي نراه عملاً هو أن كثيراً من الناس المعتقدين بالمبدأ
 والمعاد ، لم يفهم هذا الرادع للارتداع عن المعصية ، وكأن السبب في
 ذلك أن الدنيا نقد حاضر ، والآخرة أمر مستقبلي مؤجل ، وتوجد في
 الانسان حالة الميل إلى الحاضر في قبال الأمر المؤجل الاستقبالي .
 وهذا نقص في طبيعة غالبية البشر .

(١٥) الأعراف: ٩٦.

(١٦) المائدة: ٦٦.

(١٧) الجن: ١٦.

(١٨) إبراهيم: ٣٢ - ٣٤.

ولعله يشير إلى هذه الحالة قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ بِحُتُونِ
الْعَاجِلَةِ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (١٩) ، وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ تَحْنُوتُونَ
الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢٠) .

(١٩) الانسان : ٢٧ .

(٢٠) القيامة : ٢٠ - ٢١ .

فلا بد لهذا النقص من علاج ، وقد ينجح ولو إلى حدٍّ ما علاج ذلك
بأصل التذكير بالتزام بين المصلحتين ، ولزوم التوضيح بالمهم في
سبيل الأهم من ناحية ، وتوضيح مدى أهمية مصلحة الآخرة من
ناحية أخرى ، من قبيل بيان أن الثواب جنّة عرضها السماوات
والأرض ، والعقاب عقاب لا تقوم له السماوات والأرض .

ولكننا نرى عملاً أن هذا أيضاً غير كاف في كثير من النفوس .
وهنا مكمل آخر لو أضيف إلى ذلك لنجح كثيراً ، إلا في من غلب
عليه الشقاء أو الخبث ، وهو أن تكشف له حقيقة الاسلام بشكله
الناضج بالحياة ، وبروحه الشفافة الخلابة التي أشرنا إليها ضمن
جانبيين ، فمن عرف روح الاسلام وتذوّقه ينال من ذلك لذة لا تدانيها
لذة ، وينسى كل اللذائذ الدنيوية والشهوات النفسية المهلكة .

ويضاف أيضاً إلى جانب لذة العرفان ، التي نعني بها التلذذ
برضوان الله ، وتذوّق حب الله إلى حد الشغف والقيم وتحصيل اللقاء
المعنوي بالله تعالى ، مكمل آخر للابتعاد عن المعاصي ، وهو أن
يسعى الانسان في سبيل تفتيح منابع الخير المودعة من قبل الله في
نفسه عادة ، من قبيل حبّ الإيثار وحبّ الوفاء والصدق وما إلى ذلك ،
فإن هذه الغرائز أيضاً موجودة في الانسان العادي إلى جنب الغرائز
الشهوية الحيوانية ، ولعل هذا أحد معاني قوله تعالى : ﴿وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدِينَ﴾ (٢١) ، فكما يمكن للانسان أن ينمّي غرائزه الحيوانية ، كذلك
يمكنه أن ينمّي الغرائز الخيرة في نفسه . وبإمكانك أن تحسب هذا
الجانب أيضاً جزءاً من العرفان الاسلامي الصحيح ، فيكون تذوّق حب
الله ، والالتذاذ بالوصول إلى الله وبتحصيل رضا الله ، جزءاً من كل ،
وهو تفتيح منابع الخير المعنوية الكامنة في النفس البشرية وتنميتها ،

(٢١) البلد : ١٠ .

كما أن كلاً من هذين الأمرين يساعد الإنسان على الأمر الآخر ،
فالإيثار مثلاً ، وكذلك باقي صفات الخير ، يقرب الإنسان إلى الله ، كما
أن الاقتراب إلى الله يحبب إلى الإنسان جميع الخيرات .

وقد يكون الدافع للإنسان السالك في المراحل الأولى إلى الخير ، أو
إلى تحصيل رضوان الله ، التنازه بذلك ، وكلما مشى في الطريق أكثر
ازداد التنازه الذي يكون دافعاً له نحو الوصول إلى القمة ، ولكن
المفروض للإنسان السالك أن يصل إلى مستوى يكون دافعه عنده
إلى الخير ، وإلى رضوان الله هو نفس الخير والرضوان ، لا الالتذاذ
بهما ، وإن كان الالتذاذ يشتد عندئذ بذلك .

وعلى أية حال فقد اتضح بكل ما سردناه أن العرفان الذي تفترض
نتيجته الفناء والذوبان بالمعنى الحقيقي للكلمة في الله ، هو عرفان
كاذب ، بل ينتهي إلى الكفر والالحاد ، والمعصومون عليهم السلام منه براء ،
والعرفان الذي ينتهي إلى الفناء والذوبان في الله ، كفناء العاشق في
المعشوق وذوبانه فيه المألوف في العشق المجازي بين الناس
أنفسهم ، بفرق أن قياس هذا العشق والفناء إلى ذاك العشق والذوبان ،
قياس قطرة إلى البحر اللامتناهي ، إن هو العرفان الصحيح الموروث
عن المعصومين عليهم السلام : «واجعل لساني بذكرك لهجاً وقلبي بحبك متيماً» (٢٢) ،
ويصل العارف إلى مستوى لا تبقى له عنده إرادة في قبال إرادة الله
تعالى : «رضا الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا أجور
الصابرين» (٢٣) .

ختامه مسك

والآن حان لنا أن نختم هذا المدخل المختصر إلى حديثنا عن
تزكية النفس ، بذكر رواية مروية عن الشبلي عن سيّدنا ومولانا زين
العابدين عليه السلام ، وليس هذا هو الشبلي المعروف المسمّى بجعفر بن

(٢٢) دعاء كميل .

(٢٣) من خطبة
للحسين عليه السلام لدى مزمه
على الخروج إلى العراق .
راجع البحار ٤٤ : ٣٦٧ .

يونس ، فإنه كان متأخراً عن زمان إمامنا زين العابدين عليه السلام بكثير ، وكان قد مات في سنة ثلاثمئة وأربع وثلاثين أو خمس وثلاثين ، على ما ورد في روضات الجنات ^(٢٤) .

(٢٤) ٢: ٢٣٥ ، بحسب طبعة
مكتبة اسماعيليان في قم .

والرواية ما يلي . قال المحدث النوري عليه السلام في مستدرک الوسائل ^(٢٥) ما نصه : «العالم الجليل الأواه السيد عبد الله سبط المحدث الجزائري في شرح النخبة قال : وجدت في عدة مواضع أوثقها بخط بعض المشايخ الذين عاصرناهم مراسلاً ، أنه لما رجع مولانا زين العابدين عليه السلام من الحج استقبله الشبلي ، فقال عليه السلام له : حججت يا شبلي ؟ قال : نعم يا بن رسول الله ، فقال عليه السلام : أنزلت الميقات ، وتجرّدت عن مخيط الثياب ، واغتسلت ؟ قال : نعم . قال : فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ، ولبست ثوب الطاعة ؟ قال : لا . قال : فحين تجرّدت عن مخيط ثيابك ، نويت أنك تجرّدت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات ؟ قال : لا . قال : فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب ؟ قال : لا . قال : فما نزلت الميقات ، ولا تجرّدت عن مخيط الثياب ، ولا اغتسلت ، ثم قال : تنظّفت وأحرمت وعقدت بالحج ؟ قال : نعم . قال : فحين تنظّفت وأحرمت وعقدت الحج ، نويت أنك تنظّفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى ؟ قال : لا . قال : فحين أحرمت نويت أنك حرّمت على نفسك كل محرّم حرّمه الله عزوجل ؟ قال : لا . قال : فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله ؟ قال : لا . قال له عليه السلام : ما تنظّفت ، ولا أحرمت ، ولا عقدت الحج . قال له : أدخلت الميقات ، وصليت ركعتي الإحرام ولبيت ؟ قال : نعم . قال : فحين دخلت الميقات نويت أنك بنية الزيارة ؟ قال : لا . قال : فحين صليت الركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال ، من الصلاة وأكبر حسنات العباد ؟ قال : لا . قال : فحين لبيت نويت أنك نطق لله سبحانه بكل طاعة ، وصمت عن كل معصية ؟ قال : لا . قال له عليه السلام : ما دخلت الميقات ، ولا صليت ، ولا لبيت ، ثم قال له : أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت ؟ قال : نعم . قال : فحين دخلت الحرم نويت أنك حرّمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الاسلام ؟ قال : لا . قال : فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنك قصدت الله ؟ قال : لا . قال عليه السلام : فما

(٢٥) ١٠ : ١٦٦ - ١٧٢ ،
بحسب المجلدات الحديثة .

دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت، ثم قال : طفت بالبيت ومسست الأركان وسعيت ؟ قال : نعم : قال ﷺ : فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله، وعرف منك ذلك علام الغيوب ؟ قال : لا . قال : فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان، ولا سعيت، ثم قال له : صافحت الحجر ووقفت بمقام إبراهيم ﷺ وصليت به ركعتين ؟ قال : نعم، فصاح ﷺ صيحة كاد يفارق الدنيا ثم قال : آه آه !، ثم قال ﷺ : من صافح الحجر الأسود فقد صافح الله تعالى، فانظر يا مسكين لا تضيع أجر ما عظم حرمة، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام بنظير أهل الآثام، ثم قال ﷺ : نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم ﷺ أنك وقفت على كل طاعة، وتخلت عن كل معصية ؟ قال : لا . قال : فحين صليت فيه ركعتين نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم ﷺ، وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان ؟ قال : لا . قال له : فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صليت فيه ركعتين، ثم قال ﷺ له : أشرفت على بئر زمزم وشربت من مائها ؟ قال : نعم . قال : نويت أنك أشرفت على الطاعة وغضضت طرفك عن المعصية ؟ قال : لا . قال ﷺ : فما أشرفت عليها ولا شربت من مائها، ثم قال له ﷺ : أسعيت بين الصفا والمروة ومشيت وترددت بينهما ؟ قال : نعم . قال له : نويت أنك بين الرجاء والخوف ؟ قال : لا . قال : فما سعيت ولا مشيت ولا ترددت بين الصفا والمروة، ثم قال : أخرجت من منى ؟ قال : نعم . قال : نويت أنك أمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك ؟ قال : لا . قال : فما خرجت من منى، ثم قال له : أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت وادي نمرة ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات ؟ قال : نعم . قال : هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه أمر المعارف والعلوم، وعرفت قبض الله على صحتك وإطلاعه على سريرتك وقلبك ؟ قال : لا . قال : نويت بطلوعك جبل الرحمة أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة، ويتولى كل مسلم ومسلمة ؟ قال : لا . قال : فنويت عند نمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجر ؟ قال : لا . قال : فعندما وقفت عند العلم والنمرات نويت أنها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك مع الحفظة بأمر رب السماوات ؟ قال : لا . قال : فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات، ثم قال : مررت بين

العلمين ، وصليت قبل مرورك ركعتين ، ومشيت بمزدلفة ، ولقطت فيها الحصى ، ومررت بالمشعر الحرام ؟ قال : نعم . قال : فحين صليت ركعتين نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر تنفي كل عسر وتيسر كل يسر ؟ قال : لا . قال : فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنهما يميناً وشمالاً ، نويت ألا تعدل عن دين الحق يميناً وشمالاً ، لا بقلبك ولا بلسانك ولا بجوارحك ؟ قال : لا . قال : فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى ، نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل ، وثبت كل علم وعمل ؟ قال : لا . قال : فعندما مررت بالمشعر الحرام نويت أنك اشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل ؟ قال : لا . قال : فما مررت بالعلمين ، ولا صليت ركعتين ، ولا مشيت بالمزدلفة ، ولا رفعت منها الحصى ، ولا مررت بالمشعر الحرام ، ثم قال له : وصلت منى ، ورميت الجمرة ، وحلقت رأسك ، ونبحت هديك ، وصليت في مسجد الخيف ، ورجعت إلى مكة ، وطفت طواف الإفاضة ؟ قال : نعم . قال : فنويت عندما وصلت منى ورميت الجمار أنك بلغت إلى مطلبك ، وقد قضى ربك لك كل حاجتك ؟ قال : لا . قال : فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك إبليس ، وغضبتهم بتمام حجك النفيس ؟ قال : لا . قال : فعندما حلقت رأسك نويت أنك تطهرت من الأذناس ومن تبعه بني آدم ، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك ؟ قال : لا . قال : فعندما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنوبك ، ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى ؟ قال : لا . قال : فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع ، وأنتك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمره فؤاده وريحان قلبه ، وحاجه (٢٦) سنته لمن بعده وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه ؟ قال : لا . قال : فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة ، نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ، ورجعت إلى طاعته ، وتمسكت بوجهه ، وأتيت فرائضه ، وتقربت إلى الله تعالى ؟ قال : لا . قال له زين العابدين عليه السلام : فما وصلت منى ، ولا رميت الجمار ، ولا حلقت رأسك ، ولا أدبت نسكك ، ولا صليت في مسجد الخيف ، ولا طفت طواف الإفاضة ، ولا تقربت ، ارجع فإني لم تحج ، فطلق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه ، وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين .

(٢٦) لعل الصحيح: وحاجة سنته لمن بعده، أي إن سنته كانت بحاجة إلى خلف له كاسماعيل، ولكنه مع ذلك قربه قريباً لا امتثال أمر الله. ويحتمل أن يكون الصحيح: وأحيان سنته.

ضلعون وأداب



خِطَابُهُ مِثْلُكَ

* مصطفى حسن
(المبايع)

المدى يختنق بحرارة الشمس الالهية . تغلي حصابؤه
فتحترق بها الأقدام المتهادية في ذلك الهجير ، وتمتد
عباءات المصحرين من أعلى الرؤوس إلى أسفل الأقدام ، تقيها شدة
الظي المتقد .

الركب المهيب عائداً من آخر حجة للبشير النذير إلى بيت الله
العتيق - يصل مشارف الجحفة . موضع هناك تصبّ فيه عين ماء كان
فيه نزول امين الوحي محملاً بخاتمة البلاغ الالهي المقدس : «يا ايها
الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين» .

أمر خطير لاشك أنه سيثقل كاهل داعي الهدى ، الذي قطع كل
أشواط رسالته بقلب يسع الكون حزماً وجرأة وصلابة .

لقد أنت ساعة المواجهة المشوبة بالحدذر والتوجّس . لم يكن

هيناً ذلك الأمر الصارم الذي توقف على إنفاذه تمام تلك الرسالة الراشدة . لم تزل المسيرة إذن ناقصة الفصول . كل تلك الأعوام بما حملت من مشاق التغيير الصعب - لم تبلغ بصاحبها المثقل بهموم النجاح شاطئ الأمل الكبير . إنها النقطة الملتهبة في مجرى تلك الأحداث الساخنة .

تتمهل الخطى الوانية . مئة ألف أو يزيدون تمتلئ أسماعهم بصوت داعي النبي ، يستوقفهم لتلقي رسالة السماء الأخيرة . سكن حفيف الأقدام ، وانضم آخر الركب إلى طليعته .
تحت شجرة من السمر ألقيت على أغصانها ملاءة ، قام نبي الله مصلياً بتلك الجماء الغفير الظهر ، ليستقل بعدها أعواد منبر أعد له من أحداج الإبل وأقتابها صادعاً بقوله الحق :
- إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟

ما كانت الوجوه الواجمة لتخفي شهادتها ، وقد شهدت كل تفاصيل تلك المسيرة المباركة :

- نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت ، فجزاك الله خيراً .
- أستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ؟

لا بد أن يؤكد ﷺ على أولئك المشرتبة قلوبهم إلى الغاية قواعد هذا الدين . لقد وعوها موقنين بصدقها ، فنشأ عليها صغيرهم ، وهرم كبيرهم ، ولكنه أراد أن يطمئن إلى ثبات رسالته في نفوسهم ، ويعدّها لاحتضان ركن آخر في هيكل عقيدتهم لا محيص أن يكون في الأساس .

- بلى نشهد بذلك .

إنها حقيقة الدين التي من أجلها بعث جميع سفراء الله في أرضه ،
وفي سبيل ترسيخها في ضمائر هؤلاء القوم بذل هذا المبعوث بالنور
كل وسع وجهه .

- اللهم اشهد .

الآن تملأ السكينة قلب صاحب الدعوة ، ويداعب روحه الأمل
أن تقوى تلك البصائر على حمل كلمة الفصل في هذا الحوار . لقد
آمنت به رسولاً ، فلا بد أن تيقن بصدق كل ما جاء به من عند ربه :
«وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى» .

راحوا يستشرفون قلوباً وأسماعاً وأبصاراً ، مترقبين ما تريد أن
تنفج عنه شفتاه الطاهرتان من بيان لا محالة أنه خط فاصل في
حركة هذا الدين ، وإطلالة واعية على عمق في روحه ، فلم يكن
ليستوقفهم على تلك الرضاء الصالية ليقول لهم ما ليس حرياً بتلك
الوقفه المصيرية . لم يشكوا في ذلك وقد علموا منه غاية الرحمة بهم .
- إنني تارك فيكم الثقليين ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً .

ليس غريباً في ثقافتهم الدينية ذلك المصطلح الكبير . لقد سمعوه
مراراً ، وأدركوا حقيقته في مواطن كثيرة ، ولكن سائلاً حريصاً ربما
أراد أن يرسخ جذوره أكثر في اعماقهم :

- بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وما الثقلان ؟

- كتاب الله سبب ، طرف بيد الله وطرف بأيديكم ، فتمسكوا به ،
والآخر عترتي . وإن اللطيف الخبير تنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا
عليّ الحوض ، فلا تقدّموهما فتهلكوا ، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا .
« كتاب الله » ذلك القرآن الذي أنزله إليهم هدىً ونوراً « لا ياتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه» ، و «عترتي» هي دلالة كبيرة طالما صرخ بها في محافلهم كلما سنحت لذلك سانحة ، ولم يكن عهدهم بعيداً بأي هي قول فصل في تقريرها ، فالتطهير والمباهلة والقربى وغيرها كثير كلها ناطقة ببيان تلك الحقيقة .

تمتد يد النور إلى يد رجل هو بينهم غير مجهول ، فلقد واكب الرحلة الشاقة مذ كان صبيّاً في العاشرة من عمره ، وشهدوا له مواقف كانت نقاط الحروف الكاشفة في سبيل ذات الشوكة . ذاكرة بدر وأحد وحنين ، وكل فصول المواجهة الكبرى ، مازالت مفعمة بهدير ذلك السيف ، وهو يجتث أصول الشرك ، ويحصد تلك الجماجم المتقيحة بعفن الضلال .

تقتحمه أبصارهم . يتأملون فيه حادثة سنه ، وفيهم ممن حنّتهم تجارب الحياة كثير ، ولكنهم لا يملكون إلا الرضا والقبول . إيمانهم برسالة هذا الأمين فيهم يفرض انصياعهم لكل صغيرة وكبيرة من أمر شريعته التي جاء بها «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» .

تتعانق اليدان لتعلوا تلك الهامات التي صهرتها الشمس :

- أيّها الناس ، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟

- الله ورسوله أعلم .

لاشك أنهم علموا ذلك وأيقنوه ، ولكن للموقف مفاجأته في دواخلهم .

- إن الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم .

نعم ، ذلك حق تلوّه في آي كتابهم : «النبي أولى بالمؤمنين من

أنفسهم» ، فماذا بعد ؟

- فمن كنت مولاة فعلي مولاة .

القلوب طافية بين شديّ الرفض والقبول . يلتهب ذلك السكون
بزفير الأنفاس التي أرهقها زحام الرؤوس ، فراحت تتعثر متهدّجة
بين تراقي الصدور ، لتنبعث منهوكة بوطة القرار الحاسم .

- اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل
من خذله ، وأحبّ من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وأدر الحق معه
حيث دار .

لم يكن رسول الله ليدع في تلك القلوب خيوط وهم يمكن أن
تنسج منها ضللاً عن واضح الطريق ، وصريح الحق .

كانت السماء ترقب تفاصيل ذلك الحدث ، لتقول كلمتها الأخيرة
في خضمّ مفاجآته ، بعد إتمام البلاغ الربّاني لأولئك المؤمنين . لم
يلبث وحيها أن جاء بشيراً : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ .

يملاً السرور جوانح النبيّ الصادق بما أنعم الله عليه من إكمال
الدين ، الذي جهد في أدائه إلى أهل هذه البسيطة ، فيرفع صوته
مكبراً حامداً ، فحافظ شريعته بعده خليق بحمل رايتها ، وإعلاء
كلمتها . إنه عليّ فتى الإسلام الأول ، وسليل طهره وهده .

لم تنته بعد سلسلة الأحداث في هذا المشهد المفعم بالحرارة .
خيمة بيعة تنصب لعلي ليدخل عليه أولئك المؤمنون مسلمين عليه
بإمرته عليهم . ما كانت نفس رجل النبوة (المنذر) لتطيب ، إلا أن
ترى ذلك الجمع الحاشد وهو يضع يد البيعة في يد رجل الامامة
(الهادي) ؛ ﴿فلنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً
حكيماً﴾ .

دراسات

حسنة الأئمة

بين أبحاث العقيدة ودراسات السيرة

٢

عبد الدين سليم
(المطابق)

٤ - أسماء الأئمة من خلال النصوص الشريفة

ولم يكتف رسول الله ﷺ بذكر أوصيائه أئمة الهدى بعده بصيغة إجمالية ، وإنما أتم الحجة على الأمة بذكر أسمائهم صراحة في مناسبة وأخرى ، وفي الأحاديث القدسية وأحاديث النبي ﷺ نصوص صريحة كثيرة ، تصرّح بأسماء الأوصياء بعد النبي ﷺ أجمعين نورد منها ما يلي :

١ - أخبرني أبو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني بأسناده إلى مجاهد إلى ابن عباس (والحديث طويل نأخذ منه موضع الحاجة) . قال يهودي في حوار له مع رسول الله ﷺ : « فأخبرني عن وصيك من هو ؟ فما من نبي إلا وله وصي ، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون .

فقال ﷺ : إن وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي :

الحسن والحسين ، تظلهم تسعة من صلب الحسين ، أئمة أبرار .

قال : يا محمد فسمهم لي .

قال ﷺ : إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي ، فإذا مضى فابنه محمد ، فإذا مضى فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن فبعده ابنه الحجة بن الحسن بن علي ، فهذه اثنا عشر إماماً عدد نقباء بني إسرائيل» (١) .

(١) كفاية الأثر في النص
على الأئمة الاثني عشر
للشيخ أبي القاسم علي بن
محمد الخزاز القمي الرازي
من علماء القرن الرابع ص
١٣ - ١٤ ط قم ، كما رواه
الحافظ سليمان القندوزي
الحنفي في ينابيع المودة
عن مجاهد عن ابن عباس
ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

٢ - حدث الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز الرازي بأسناده إلى النبي ﷺ عن عبد الله بن العباس قال : «دخلت على النبي ﷺ والحسن علي عاتقه والحسين علي فخذه يلثمهما ويقبلهما ويقول : اللهم وال من والهما وعاد من عادهما ، ثم قال : يا ابن عباس ، كاني به وقد خضبت شيبته من دمه يدعو فلا يجاب ويستنصر فلا يُنصر .

قلت : فمن يفعل يا رسول الله ؟

قال : شرار أمتي ، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي ، ثم قال : يا ابن عباس ، من زاره عار فأبحقه كتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة ، ألا ومن زاره فكأنما زارني ، ومن زارني فكأنما زار الله ، وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار ، ألا وإن الإجابة تحت قبته ، والشفاء في تربته والأئمة من ولده .

قلت : يا رسول الله ، فكم الأئمة بعدك ؟

قال : بعدد حواربي عيسى ، وأسباط موسى ، ونقباء بني إسرائيل .

قلت : يا رسول الله ، فكم كانوا ؟

قال : كانوا اثني عشر ، أولهم علي بن أبي طالب ، وبعده سبطاي الحسن والحسين ، فإذا انقضى الحسين فابنه علي ، فإذا انقضى علي فابنه محمد ، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر ، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى ، فإذا انقضى موسى فابنه علي ، فإذا انقضى علي فابنه محمد ، فإذا انقضى محمد فابنه علي ، فإذا انقضى علي فابنه الحسن ، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة .

قال ابن عباس : فقلت : يا رسول الله ، أسامي لم أسمع بهن قط ،

قال لي : يا ابن عباس ، هم الأئمة بعدي ، وإن قهروا ، أمناء معصومون ، نجباء ، أخيار ، يا ابن عباس ، من أتى يوم القيامة عارفاً بحقهم أخذت بيده ، فأدخلته الجنة ، يا ابن عباس ، من أنكرهم أو ردّ واحداً منهم ، فكانما قد أنكرني ، وردني ، ومن أنكرني ، وردني ، فكانما أنكر الله ، وردّه .

يا ابن عباس ، سوف يأخذ الناس يميناً وشمالاً ، فإذا كان كذلك فاتبع علياً وحزبه ، فإنه مع الحق والحق معه ، ولا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض ، يا ابن عباس ، ولايتهم ولايتي ، وولايتي ولاية الله ، وحريهم حربي وحربي حرب الله ، وسلمهم سلمتي وسلمي سلم الله .

ثم قال ﷺ : ﴿ يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٢) .

٣ - عن وائلة بن الأصقع بن قرحاب عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : « دخل جندل بن جنادة بن جبيرة اليهودي على رسول الله ﷺ (الحديث طويل نأخذ منه موضع الحاجة) ثم قال : أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم ، قال : أوصيائي الاثنا عشر ؟ »

قال جندل : هكذا وجدناهم في التوراة ، وقال : يا رسول الله ، سمّهم لي فقال : أولهم سيد الأوصياء أبو الأئمة علي ، ثم ابنه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين ، فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه ، فقال جندل : وجدنا في التوراة وفي كتب الأنبياء ﷺ إيليا وشبيراً وشبيراً فهذه اسم علي والحسن والحسين ، فمن بعد الحسين وما أساميهم ؟ قال : « إذا انقضت مدة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقب بزين العابدين ، فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر ، فبعده ابنه جعفر يدعى الصادق ، فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم ، فبعده ابنه علي يدعى بالرضا ، فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والزكي ، فبعده ابنه علي يدعى بالنقي والهادي ، فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري ، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة ، فيغيب ، ثم يخرج ، فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً ، وعدلاً كما

(٢) كفاية الأثر للشيخ أبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي من علماء القرن الرابع ص ١٦-١٩. سورة التوبة: ٣٢.

ملئت جوراً وظلماً ، طوبى للصابرين في غيبته ، طوبى للمقيمين على محبتهم ، أولئك الذين وصفهم الله في كتابه ، وقال : ﴿ هدى للمتقين ﴾ الذين يؤمنون بالغيب ﴿ ثم قال تعالى : ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون ﴾ فقال جندل : الحمد لله الذي وفقني لمعرفةهم ﴾ (٣) .

(٣) يتابع المودة للحافظ

سليمان بن إبراهيم

القندوزي الحنفي (١٢٢٠ -

١٢٩٤ هـ) ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

٤ - أخرج الموفق بن أحمد المكي الحنفي أخطب خوارزم بأسناده ، قال رسول الله ﷺ : « أنا وارثكم على الحوض ، وأنت يا علي الساقى ، والحسن الذائد والحسين الأمر ، وعلي بن الحسين الفارط ، ومحمد بن علي الناصر ، وجعفر بن محمد السائق ، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين ، وعلي بن موسى مزين المؤمنين ، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة درجاتهم ، وعلي بن محمد خليب شيعته ومزوجهم الحور العين ، والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به ، والمهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى » (٤) .

(٤) مقتل الحسين

للخوارزمي أبو المؤيد

الموفق بن أحمد المكي

أخطب خوارزم ت ٥٦٨ ج

١ و ج ٢ ص ٩٤ ط قم ،

وأورده السيد بن طاووس

الحلي في طرائفه ص ١٧٤ .

٥ - روى الحر العاملي بأسناده ، والكليني في الكافي والشيخ الصدوق في عيون الأخبار والشيخ الطوسي في مجالسه ، وغيرهم ما يلي ، واللفظ للكليني الرازي محمد بن يعقوب الله بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري : إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك أسألك عنها ؟ قال له جابر : أي الأوقات أحببت ، فخلا به في بعض الأيام ، فقال له : يا جابر ، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب ، فقال جابر : أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فهنيتها بولادة الحسين عليه السلام ، ورأيت في يدها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرد ، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس ، فقلت : بأبي وأمي يا بنت رسول الله ما هذا اللوح ؟ فقالت : هذا اللوح أهداه الله إلى رسول الله ﷺ ، وفيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي ، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك . قال جابر : فأعطتني أمك فاطمة ، فقرأته واستنسخته ، فقال له أبي : فهل لك يا جابر أن تعرضه علي ؟ فمشى معه أبي إلى منزل جابر ، فأخرج

صحيفة من رق ، فقال : يا جابر ، انظر في كتابك ، لأقرأ عليك ، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي ، فما خالف حرف حرفاً ، فقال جابر : أشهد أني هكذا رأيته في اللوح مكتوب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ، ونوره ، وسفيره ، وحجابه ، ودليله ، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين : عظم يا محمد أسمائي ، واشكر نعمائي ، ولا تجحد آلائي ، إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ، ومديل المظلومين ، وديان الدين ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، فمن رجا غير فضلي ، أو خاف غير عدلي عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، فإياي فأعبد ، وعلي فتوكل ، إني لم أبعث نبياً ، فأكملت أيامه ، وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً ، فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء وأكرمك بشبليك وسبيلك حسن وحسين ، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمه بالشهادة وختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد ، وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي الثامة معه ، وحجتي البالغة عنده ، بعترته أثيب وأعاقب ، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين ، وابنه شبه جده المحمود ، محمد الباقر علمي والمعدن لحكمتي ، سيهلك المرتابون في جعفر ، الراد عليه كالراد علي ، حق القول مني لأكرم من مثوى جعفر ، ولأسرته في أشياعه وأنصاره وأوليائه ، انتجبت بعده موسى ، وأتحت بعده فتنة عمياء حندس ، لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى ، وإن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى ، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ، ومن غير آية من كتابي فقد افتري علي ، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى ، عبيد وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري ، ومن أضاع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها ، يقتله عفريت مستكبر ، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح^(٥) إلى جنب شر خلقي ، حق القول مني لأسرته بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه ، فهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي ، لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه ، وشفعته في سبعين من أهل بيته ، كلهم قد استوجبوا النار ، وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري ، والشاهد على خلقي وإميني على وحيي ، أخرج منه الداعي إلى سبيلي ، والخازن لعلمي الحسن ، وأكمل ذلك بابنه « ح م د » رحمة

(٥) هو ذو القرنين لأن طوس من بنائه كما صرح به في رواية النعماني لهذا الخبر.

للعالمين ، عليه كمال موسى ، وبهاء عيسى وصبر أيوب ، فيذل أوليائي في زمانه ،
وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم ، فيقتلون ، ويحرقون ، ويكونون
خائفين مرعوبين وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم ، ويفشو الويل والرتة في نسايتهم ،
أولئك أوليائي حقاً ، بهم أذفع كل فتنة عمياء حنوس ، وبهم أكشف الزلازل وأدفع الأصار
والأغلال ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

قال عبد الرحمن بن سالم : قال أبو بصير : لو لم تسمع في دهرك ،
إلا هذا الحديث لكفاك ، فصنه إلا عن أهله» (١) .

هذا ، ومن الجدير ذكره أنه رغم ادعاء البعض أن بعضاً من هذه
الأحاديث ضعيف سنداً ، فإن صحة البعض الآخر وسلامته متناً
وسنداً ، وكثرة هذه الأحاديث وروايتها بأسانيد شتى ، يقوي بعضها
بعضاً ولا يחדش في متانة حجتها على العباد أبداً ، وهذا منطق علماء
الرواية .

ومن المناسب هنا أن نذكر أسماء أوصياء النبي الخاتم ﷺ واحداً
بعد الآخر :

١ - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي
القرشي .

٢ - سبط النبي الحسن بن علي بن أبي طالب .

٣ - سبط النبي الحسين بن علي بن أبي طالب .

٤ - علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين .

٥ - محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالباقر .

٦ - جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

الملقب بالصادق .

٧ - موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب الملقب بالكاظم .

٨ - علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن

(١) الأصول من الكافي
لثقة الإسلام أبي جعفر
محمد بن يعقوب الكليني
الرازي ٥٢٧:١ - ٥٢٨ ،
ورواه الحر العاملي في
الجواهر السنية : ٢٠١ -
٢٠٤ ، ورواه الشيخ
الصدوق بأسناده في
عيون أخبار الرضا بطرق
عديدة : ٤٠ - ٦٩ ، وغيرهم .

علي بن أبي طالب الملقب بالرضا .

٩ - محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالجواد .

١٠ - علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالهادي .

١١ - الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالعسكري .

١٢ - محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالمهدي وهو إمام وقتنا هذا .

٥ - أدلة تنزيلية صريحة بولاية العترة الطاهرة بعد النبي ﷺ ولأهمية الدور الذي ينهض به أئمة الحق بعد النبي ﷺ ، فقد أخذ رب العالمين جلّ وعلا على نفسه أن يبلغ المسلمين بأسمائهم وفق خطة تعليمية عالية ، ترتفع إلى مستوى إدراكها القلوب الذكية . وقد اهتم القرآن الكريم بأسلوبه المميز بتكريس هذه الحقيقة في عدد من آياته المباركة ، كما اهتم الحديث القدسي وحديث رسول الله ﷺ - مبلغ عن الله عز وجل - بذلك . ولناخذ واحدة من الآيات الكريمة التي تعمق خط الإمامة بعد النبي الخاتم ﷺ :

قال الله تعالى شأنه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ * ومن يتوَلَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿٧﴾ .

فقد نزلت هذه الآية الكريمة المؤكدة أن الذين يلون أمر الناس ، ويتصرفون بشؤونهم دون سواهم هم : الله جل جلاله الذي بيده

الخلق والأمر ، ثم رسول الله ﷺ ، ثم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وحزب الله من البشر هم الواقفون تحت رايته دون سواهم ، وهم الذين يقولون الله ورسوله وعلي بن أبي طالب .

بقي أن تتوضح مسألتان اثنتان هما :

أ - ما الدليل على أن المراد بالذين آمنوا هو علي عليه السلام ، مع أن اللفظة تفيد الجمع ظاهراً ؟

ب - وما الدليل على أن المراد بالولي هنا هو الذي يلي أمر الناس ، ويتصرف في شؤونهم دون غيره ، مع أن لفظ الولي لفظ مشترك يحتمل عدة معان ؟

وحول المسألة الأولى : نقول : إن نزول الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام أمر مفروغ منه ، فقد أجمع المفسرون على أن سائلاً دخل مسجد النبي ﷺ ، يسأل المسلمين سداً فاقته ، فأشار علي عليه السلام إلى إصبعه وهو في حالة ركوع ، فانتزع السائل خاتم علي عليه السلام من إصبعه ، وهكذا تصدق الإمام عليه السلام وهو راکع ، فنزلت آية الولاية (٨) .

على أن الحادثة المذكورة تحمل معها تفصيلات تباين المفسرون والمؤرخون في نقلها نذكر منها ما يلي :

أخرج الإمام أبو اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي ، المتوفى عام ٣٣٧ هـ في تفسيره الكبير ، عند تفسير هذه الآية بأسناده ، إلى أبي ذر الغفاري عليه السلام ما يلي :

قال : «سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صُمتا ، ورأيت بهاتين وإلا عميتا ، يقول : علي قائد البرة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، أما إني صليت مع رسول الله ﷺ ذات يوم ، فسأل سائلاً في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، وكان علي راکعاً فأومأ بخنصره إليه ، وكان يتختم بها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، فقتضع النبي ﷺ إلى الله عز وجل يدعوه فقال : اللهم إن أخي

(٨) تراجع المصادر التالية: صحيح النسائي، أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، والبيضاوي في تفسيره، والطبرسي في تفسيره، وأبو البركات النسفي في تفسيره، والطبري في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، والنيسابوري في تفسيره، والشبلنجي في نور الأبصار، وابن حجر في صواعقه المحرقة، وأخطب خوارزم الموفق ابن أحمد الحنفي في المناقب، وأعيان الشيعة للسيد الأمين ج ٢ ق ١ ص ١٣٠، والجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة، والإمام القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد، وغيرهم.

موسى سالك ﴿ قال رب اشرح لي صدري ﴾ ويسر لي أمري ﴾ واحلل عقدة من لساني ﴾
يفقهوا قولي ﴾ واجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ هارون أخي ﴾ اشد به أوزري ﴾ وأشرکه في
أمري ﴾ كي نسبك كثيراً ﴾ ونذكرك كثيراً ﴾ إنك كنت بنا بصيراً ﴾ فأوحيت إليه ﴿ قد
أوتيت سؤلك يا موسى ﴿ اللهم واني عبدك ونبيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري ،
واجعل لي وزيراً من أهلي ، علياً اشد به ظهري . قال أبو ذر : فو الله ما استتم
رسول الله ﷺ الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية ﴿ إنما
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾
ومن يقول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿ (٩) .

أما ما أشكل حول لفظ (الذين آمنوا) بأنها تطلق على الجمع ، فإن
اللغة العربية قد ألفت هذا اللون من الإطلاق ، فكثيراً ما يطلق لفظ
الجمع ويراد به المفرد ، تعظيماً لشأن المفرد المذكور ، أو تهويلاً
لفعله ، وفي الكتاب العزيز مصاديق كثيرة لهذه الحالة نذكر منها :
قال تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (١٠) .

فبإجماع المفسرين أن القاتل هو نعيم بن مسعود الأشجعي دون
غيره ، فأطلق الله عز وجل عليه لفظ الناس مع أنه رجل واحد (١١) .
وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا
إليك أيديهم فكف أيديهم عنكم ... ﴾ (١٢) .

وكان الذي بسط يده ليقتك بالنبي ﷺ رجلاً واحداً (١٣) .
وفي آية المباهلة ما يفيد هذا المعنى : ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ (١٤) .
فقد عبر القرآن بلفظ الجمع عن النساء ، مع أن الحاضر من النساء
في مباهلة النبي ﷺ للنصارى ، كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ دون
سواها (١٥) .

ب - أما كون لفظ الولي مشتركاً فهو صحيح من حيث المبدأ ، حيث

(٩) المصدر المذكور نقلاً
عن المراجعات للسيد
شرف الدين بأسناده: ١٦٦.

(١٠) آل عمران: ١٧٣.

(١١) تفسير سيد شبر:
١٠٤، وبقيّة التفاسير.

(١٢) المائدة: ١١.

(١٣) تفسير مجمع البيان
١٦٩:٦.

(١٤) آل عمران: ٦١.

(١٥) يراجع تفسير
الزمخشري الكاشف ١:
٣٦٨، كما يراجع الفخر
الرازي، وصحيح مسلم ،
ومسند أحمد، وغيرهم.

ترد كلمة الولي بمعنى: المحب، والصديق، والنصير، والحليف، والأولى بالتصرف، كالحاكم الشرعي، وولي القاصر، وولي المرأة، وغير ذلك، إلا أن القرائن تفيد أن لفظ الولي في آية الولاية ليس المحب ولا النصير ولا الصديق، ولا أمثال ذلك، وإنما قصدت الآية من الولاية التي حصرتها لله تعالى، ولرسوله ﷺ، ولعليه السلام دون سواهم هي ولاية شؤون المسلمين والتصرف بأموالهم وليس سوى ذلك (١٦).

(١٦) بحث شيخ الطائفة
المرحوم أبو جعفر محمد
بن الحسن الطوسي (رض)
هذا الموضوع من الناحية
اللغوية، في ضوء آراء
فقهائ اللغة، فليراجع
تلخيص الشافعي ١٨٢:٢ -
٢٠٥.

(١٧) التوبة: ٧١.

فإن النصرة والمحبة والصدقة غير مقصورة على أحد من المؤمنين والمسلمين دون أحد، يقول تعالى متحدثاً عن ولاية المؤمنين بعضهم لبعض، وهي ولاية المحبة والنصرة: ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (١٧).

ولذا فإنه بعد تقرير الله تعالى لحالة المودة والنصرة، بين عموم المؤمنين في آياته وتعليماته، فليس من المعقول أن يفسر آية الولاية بهذا المعنى، لاسيما وإن مطلع الآية قد ارتبط بأداة الحصر (إنما)، مما يجعل من غير المناسب في منهج القرآن الكريم - وهو معجزة بيانية - أن يستعمل أداة الحصر ثم يقصد شيئاً بعد إيرادها قد شاء لعموم المسلمين.

إن مجرد الاحتمال من هذا القليل يسيء لبلاغة القرآن الكريم ومقاصده الرسالية معاً.

هذا ومن الجدير ذكره أن بعض الأحاديث الشريفة التي حملت لفظ (الولي) تؤكد ما ذهبنا إليه:

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن سعيد بن جبيرة عن بريدة قال: «غزوت مع علي اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله يتغير، فقال: يا بريدة، أليست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله،

(١٨) أخرجه الحاكم في المستدرک ١١٠:٣، والذهبي في تلخيصه لصحيح مسلم، وصحاحه على شرط مسلم، وأخرجه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بعدة طرق معتبرة: ١٦-٣٦.

(١٩) أخرجه الحاكم في مستدرکه، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ٣٦٤:١، وأخرجه ابن المغازلي الشافعي في عدة طرق في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ٨٠-٨٥.

(٢٠) أخرجه الترمذي في صحيحه، وأحمد بن حنبل في مسنده، والحاكم في المستدرک.

قال: من كنت مولاة فعلي مولاة» (١٨).

وهناك كثير من الأحاديث الشريفة تبأشر هذه العملية المباركة.

٦- كيف يتلقى الأئمة العلم الإلهي؟

الأئمة من آل محمد ﷺ، ورثة النبي ﷺ في علومه ومعارفه، وحمله سره وأهدافه، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة، من خلال جملة من أحاديثه الشريفة:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابها» (١٩).

«قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي» (٢٠).

وهذه المعرفة الربانية المميّزة، التي حملها الأئمة من أهل البيت ﷺ يفرضها حجم المسؤولية التاريخية، التي ينهض الأئمة ﷺ بعد النبي ﷺ بها في الأمة والرسالة، وقد أشرنا إلى أبعاد هذه المهام الرسالية في بداية الحديث عن مهمة الإمام ﷺ.

فإذا قدر أنهم لم يحملوا ما حمّله النبي ﷺ من معارف ربانية شاملة، لا يتسنى لهم أن ينهضوا بأعباء الخلافة له ﷺ في أبعادها الحقيقية.

ومن أجل هذا وذلك، فإن الأئمة ﷺ كشفوا عن مصادر المعرفة التي أتيحت لهم بإذن الله تعالى ومشيتته، فأوضحوا أن لعلومهم مصدرين اثنين:

أ- الوراثة المباشرة عن النبي ﷺ، حيث ورثوا علماً مكتوباً بإملاء رسول الله ﷺ، وخط علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد تحدث الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، وهو سادس أئمة أهل البيت ﷺ، حول هذا الموضوع، فقد أخرج الكليني عليه السلام بأسناده عن أبي بصير عليه السلام قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، إني أسألك عن مسألة. ها هنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرقع أبو عبد الله عليه السلام سترأ

بينه وبين بيت آخر ، فأطلع فيه ثم قال : يا أبا محمد ، سل عقابك . قال : قلت : جعلت فداك ، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ ، علم علياً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب ، قال : فقال : يا أبا محمد ، علم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام ألف باب ، يفتح من كل باب ألف باب . قلت : هذا والله العلم ، قال : فنكت ساعة في الأرض ثم قال : إنه لعلم وما هو بذاك . قال : ثم قال : يا أبا محمد ، وإن عندنا الجامعة ، وما يدرهم ما الجامعة ؟ قال : قلت : جعلت فداك ، وما الجامعة ؟ قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ ، وإملائته من فلق فيه وخط علي بيمينه ، فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش ، وضرب بيده إليّ فقال : نأذن لي يا أبا محمد ؟ قال : قلت : جعلت فداك ، إنما أنا لك فاصنع ما شئت ، قال : فغمزني بيده وقال : حتى أُرش هذا - كأنه مغضب - قال : قلت هذا والله العلم» (٢١) .

ب - الإلهام الإلهي : أما العلوم المستجدة ، فإن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يلهمونها إلهاماً ، ولا نبي بعد محمد ﷺ ، وقد تحدثوا عن هذه الظاهرة مراراً ، فقال الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماضٍ وغابر وحادث ، فأما الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ، ونقر في الاسماع ، وهو أفضل علمنا ، ولا نبي بعد نبينا» (٢٢) .

وسئل أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «أخبرني عن علم عالمكم ؟ قال : قلت : إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم ، وينكت في آذانكم ، قال : أو ذاك» (٢٣) .

وروى الكليني عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : «سألته عن علم العالم ، فقال لي : يا جابر ، إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح الحياة ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى ، ثم قال : يا جابر ، إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدّاثان ، إلا روح القدس ، فإنها لا تلهو ولا تلعب» (٢٤) .

(٢١) الأصول من الكافي
لثقة الاسلام أبي جعفر
محمد بن يعقوب بن
إسحاق الكليني
الرازي (رض) ج ١ الطبعة
الثالثة ص ٢٣٩. الارش:
الغرامة.

(٢٢) نفس المصدر السابق
ص ٢٦٤ (الغابر: الآتي
والمزبور: المكتوب، القذف
والنقر يعني الإلهام
وحديث الملك).

(٢٣) نفس المصدر
١: ٢٦٤. (أو ذاك: يكون ذا
ويكون ذاك).

(٢٤) اصول الكافي: ١: ٢٧٧.

٧- المسؤولية تجاه الأئمة عليهم السلام

لم تكتفِ التعاليم الإلهية بإيضاح موقع الأئمة من آل البيت عليهم السلام ، في إطار هذا الدين الإلهي الخاتم ، وإنما حددت مكانتهم ، ومسؤولية الأمة عبر التاريخ تجاههم في آن واحد . وقد جاء تحديد المسؤولية الرسالية تجاه الأئمة عليهم السلام ، من خلال توجيهات وأوامر إلهية أو رسولية ، وردت في مناسبات مختلفة وفي صور وأطر متعددة ، نذكر منها ما يلي أمثلة لا للحصر :

١ - آية الولاية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٢٥) .

(٢٥) آل عمران : ٦١ .

فقد ذكرنا في الصفحات السابقة ، أن هذه الآية المباركة إنما حصرت ولاية أمر الناس بالله ورسوله وعلي بن أبي طالب دون سواهم ، وقد ألقينا الضوء على عوامل استخدام القرآن الكريم للفظـة «الذين آمنوا» وما يشابهها من ألفاظ ، على أن بعضاً من العلماء من ذوي البصائر ، قد رجّح أيضاً أن يكون استعمال لفظ «الذين آمنوا» ، قد أراد الله عزوجل من خلاله أن يوحى إلى القلوب الحية ، أن هناك عدداً من الأولياء سيفرض الله تعالى طاعتهم بعد علي عليه السلام ، وأنهم من صلبه المبارك صلوات الله عليه ، وهكذا فإن آية الولاية بقدر ما ترسي قواعد ولاية علي وأولاده عليهم السلام ، بعد النبي صلى الله عليه وآله ، فإنها ترسي قواعد وجوب التمسك بهم ، والخضوع لطاعتهم والانقياد لهم .

٢ - حديث الغدير : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من كنت مولاه فعلي مولاه» (٢٦) ، فهذا الحديث الصحيح الذي رواه جمهور المحدثين والرواة ، من مختلف طبقات الأمة على اختلاف مشاربهم ، يكشف بوضوح أن من كان مولاه رسول الله صلى الله عليه وآله ، في التشريع والتنفيذ والهدى والسلوك ، فمولاه علي بن أبي طالب عليه السلام في كل ذلك ، ومن كان مقتداه الرسول صلى الله عليه وآله ، فإن علي بن أبي طالب عليه السلام مقتداه بعده في

(٢٦) مسند أحمد بن حنبل ١١٩:١ ، ومجمع الزوائد للهيتمي ١١:٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٩:٣ ، وغيرها .

الفكر والعمل .

٣ - حديث السفينة : قال رسول الله ﷺ : «مثل أهل بيتي فيكم كمثال سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» (٢٧) .

٤ - قال رسول الله ﷺ : «علي مني وأنا منه ، ولا يؤدي عني إلا علي» (٢٨) .
هذا ومن الجدير ذكره أن القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف ، تنطوي على مئات النصوص الكريمة التي تحدد المسؤولية الشرعية ، تجاه الأئمة من آل النبي ﷺ ، كحديث الأمان ، وحديث المؤاخاة ، وحديث مدينة العلم ، وحديث حب علي عليه السلام ، وآية أولي الأمر ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ، وآية ﴿إنما أنت منذر لكل قوم هاد﴾ وغيرها .

تقويم لمنهج دراسات حياة الأئمة عليهم السلام

إن هذه المحاور المركزية للمنهج الذي يدرس الأئمة ، من خلال البناء التحتي لمواقعهم في دنيا الرسالة والأمة ، هو الذي يعكس واقع الإمامة ، وحقيقة الأئمة عليهم السلام ، ومهامهم ، وأهدافهم ، ويحدد مسؤولية الأمة تجاههم عبر التاريخ .

على أن الملاحظ أن هذا المنهج لم يكن شاملاً في استيعابه للمطلوب ، إذ لم يتناول إلا النادر من الفضائل الظاهرية للأئمة عليهم السلام ، كما فعل الشيخ الكليني رحمه الله الذي أشار إشارات عابرة إلى مصاديق من البعد المعرفي عند الأئمة عليهم السلام ، في أبواب متعددة من الكافي (٢٩) ، وكما فعل في إشارات إلى مجلس الإمام عليه السلام ومطعمه إذا ولي الأمر (٣٠) ، فضلاً عن اهتماماته في مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم (٣١) .

وقد اهتم الحر العاملي رحمه الله في «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» مثلاً بإبراز عدد هائل من كرامات الأئمة عليهم السلام ومعجزهم (٣٢) ، وقد فعل المحدثون من العلماء الآخرين ما يشبه ذلك ،

(٢٧) الحاكم النيسابوري في المستدرک علی الصحیحین ٢: ٣٤٣ ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم، والهيثم في مجمع الزوائد ٩: ١٧١ ، والسيوطي في إحياء الميت: ٤٨ حديث ٢٧ ، وابن حجر في الصواعق .

(٢٨) سنن ابن ماجه ج ١ حديث ١١٩ (المقدمة) ، ومسنند أحمد ج ٤: ١٦٥ ، مثله ، وابن حجر في الصواعق ص ٨٨ باب ٩ فصل ٢ حديث ٦ .

(٢٩) المجلد الأول منه .

(٣٠) ن . م : ٤١٠ .

(٣١) انظر أبواب التاريخ منه : ٤٣٩ وما بعدها .

(٣٢) أبواب المعاجز من الكتاب المذكور .

كما فعل أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ،
والشيخ الصدوق في «كمال الدين وتمام النعمة» ، والفيض الكاشاني
في «علم اليقين» ، وغيرهم .

صحيح أن «الفضائل الباطنية» - في مصطلح علماء الأخلاق - هي
التي تميز مكانة الإمام عليه السلام على غيره ، إلا أن استعراض الفضائل
الظاهرية للأئمة عليهم السلام إلى جانب الأولى ، حاجة ضرورية لدارسي
السيرة وللباحثين عن القدوة ، إضافة إلى أن السيرة العملية
للأئمة عليهم السلام تشكل ثقافة شعبية يتأمل بها الناس ، ويلتمسون حقائق
التطبيق لمفاهيم الدين من خلالها ، سواء أكانت في مجال التطبيق في
حقل النشاط الفردي ، أو في مجالات العلاقات الاجتماعية وسواها .

وهكذا فإن المنهج الأفضل لدراسة حياة الأئمة عليهم السلام ، أن تجري
عملية تليفقية بين المنهجين ، ولقد حاول المرحوم السيد هاشم
البحراني (توفي عام ١١٠٩ هـ) أن يتبنى منهجاً وسطاً بين المنهجين ،
غير أنه لم يكن موفقاً في مهمته بشكل تام ، وذلك في كتابه «حلية
الأبرار» ولعل السيد ابن طاووس الحلي رحمته الله (توفي عام ٦٦٤ هـ) قد كان
على هذا الطريق في كتابه «الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» ،
والأخيران تناولا موقع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دون
سواه من الأئمة عليهم السلام .

على أن أفضل تلك المؤلفات كان كتاب السيد هاشم البحراني رحمته الله ،
لأن منحاه كان أقرب للجمع بين المنهجين ، لولا إيجازه الشديد
لمواضيع الفضائل الباطنية للأئمة عليهم السلام ، غير أن المرحوم الفقيه
والمؤرخ السيد محسن الأمين العاملي رحمته الله ، وهو من المعاصرين ، قد
وفق توفيقاً منقطع النظير في مشروع كتابته عن سيرة الإمام
علي عليه السلام (٣٢) ، فقط قطع العالم المذكور شوطاً بعيداً في الجمع بين
المنهجين اللذين تحدثنا عنهما ، وخرج بمنهجية مناسبة لمقام أئمة

(٣٢) انظر كتابه القيم (في
رحاب أئمة أهل البيت
عليهم السلام ج ١ و ج ٢).

أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم في دنيا الإسلام والمسلمين ، إلا أن طريقته لم تكن شاملة هي الأخرى ، وإن كان أفضل من كتب في هذا الباب من ناحية التوفيق بين المنهجين .

هذا ويمكن أن يعلل ظهور المنهجين المذكورين ، إلى أن أصحاب الاتجاه الأول قد اهتموا بالسيرة العملية للأئمة عليهم السلام بالدرجة الأولى ، فكانت مؤلفاتهم أقرب إلى المناهج التاريخية ، أو الدراسات الرجالية العادية .

وكان اتجاه أصحاب المنهج الآخر قد انصب على إبراز القضية العقائدية - أي قضية الإمامة - دون غيرها ، أي إبراز موقع الإمام عليه السلام في الرسالة والمسؤولية تجاهه عليه السلام من قبل الأمة .

على أن المنهج الأفضل لدراسة الأئمة عليهم السلام - كما ألمحنا - ومعرفة موقعهم من قبل الأمة ، والمسؤولية تجاههم هو الذي يحدد مكانة كل إمام عليه السلام في الرسالة ، وموقعه من خلال النصوص الصريحة ، إضافة إلى سيرته العملية ، لأن الدراسة السليمة للأئمة إذا لم تلاحظ هذا المنهج المتصور ستواجه مشكلتين :

المشكلة الأولى : أن بعض حقائق سيرة البعض من الأئمة عليهم السلام لا يمكن أن ندرك إلا بفهم الوضع التحتي لها ، كسيرة الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ، الذي آتاه الله الحكم صبياً - كما نعلم - لأننا لا نستطيع أن ندرك أن نشاطاته العلمية العظيمة ، مثلاً ، كانت ممكنة لصبي في سنه (ثمانى سنوات) إذا لم نفهم حقيقة الإمام ، وواقع الإمامة التي آتاه الله تعالى إياها بعد وفاة أبيه علي بن موسى الرضا عليه السلام .

والمشكلة الثانية : أن الاكتفاء بالسيرة العملية لبعض الأئمة عليهم السلام - خصوصاً من واجهوا ظروفاً تاريخية قاسية - لا تكشف موقعاً مميزاً للإمام عليه السلام بين الخلق ، ولذا نلاحظ أن الإمام علي بن

الحسين السجاد عليه السلام نبه إلى جزء هام من هذه الحقيقة ، في الحديث الذي أورده الشيخ الصدوق عليه السلام مسنداً عن مولانا الكاظم عليه السلام عن أبيه عن جده عن السجاد عليه السلام قال :

«الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلق فيعرف بها ، ولذلك لا يكون إلا منصوباً ، فقليل له : يابن رسول الله ، فما معنى المعصوم ؟ فقال : هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن ، لا يفترقان إلى يوم القيامة ، والإمام يهدي إلى القرآن ، والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قول الله عز وجل ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٣٤) .

وحيث إن المرحلة التي تعيشها الأمة اليوم وغداً تتطلب أن تعرف منابع الخير فيها ، وأن تدرك المنهل الذي ترده ، لتكون مسيرة الصحوة الاسلامية التي تهز العالم اليوم صحيحة البناء ، سليمة الخط ، لذا فإن مما ينبغي أن يفعله المخلصون للحق أن يرشدوا الأمة إلى مصادر الخير والنور فيها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهم علي وأولاده الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وهذا لا يتم إلا بتبيان مواقع الأئمة التي أهلهم الله تعالى لها ، إضافة لسيرتهم العملية المطهرة ، وبالله التوفيق .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(٣٤) معاني الأخبار للشيخ الصدوق، باب معنى عصمة الإمام: ١٣٢، كما أورده الفيض الكاشاني في (علم اليقين في اصول الدين) ١: ٣٧٧. الاسراء: ٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«أَنْزَلُوا آلَ مُحَمَّدٍ مِّنْهُ الرُّسُلَ مِنَ الْجَسَدِ ، وَمِنْزِلُهُ الْعَيْنَيْنِ مِثْرَ الرُّسُلِ . فَإِنَّ الْجَسَدَ لَا يَهْدِي إِلَّا بِالرُّسُلِ ، وَإِنَّ الرُّسُلَ لَا يَهْدِي إِلَّا بِالْعَيْنَيْنِ»

أورده الشيخ الصدوق في مسنده

فنون وآداب

قصيدة :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَاتَهُ

✻ الفرزدق

(*) هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام). ولد عام ٢٨ هـ. أشهر ألقابه زين العابدين، والسجاد. حضر كربلاء مع أبيه الحسين ولم يقاتل لمرضه. ترك اثراً أدبياً عظيماً هو الصحيفة السجادية، وهي مجموعة أدعية رائعة سميت زبور آل محمد ﷺ. قُتِلَ مسموماً عام ٩٥ هـ.

(١) البطحاء: في الأصل هي المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار، ومنه بطحاء مكة التي أرادها الشاعر هنا.

هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، ولد عام ٢٥ هجرية في البصرة، ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه. أوصى الإمام علي بن أبيه أن يعلمه القرآن. بعد أن عرف أنه شاعر. عُرف بالهجاء وبخاصة نقائضه مع الشاعر جرير، شعره نموذج كامل للغة عصره، حتى قيل عنه: «لولا الفرزدق لذهب ثلث اللغة»، وقال عنه أبو عمر بن العلاء: «لم أرَ بدوياً أقام في الحضر إلا فسد لسانه، غير رؤبة والفرزدق»، وقال عنه مالك بن الأخطل: «الفرزدق ينحت من صخر». توفي عام ١١٤ هـ بعد تطواف في العراق والشام والجزيرة. «قالها أثناء خلافة هشام بن عبد الملك الأموي، مادحاً الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ» (*) عندما استلم الحجر في الكعبة.

يا سائلي أين حلّ الجود والكرم

عندي بيان إذا طلابه قدموا

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته

والبيت يعرفه والحلّ والحرم^(١)

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم

هذا الذي أحمد المختار والده

صَلَّى عليه إلهي ما جرى القلمُ

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه

لخرَّ يلثم منه ما وطى القدمُ^(٢)

هذا عليّ رسول الله والده

أُمست بنور هداه تهتدي الأممُ

هذا الذي عمّه الطيّار جعفر والـ

مقتول حمزة ليث حبه قسمُ^(٣)

هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة

وابن الوصي الذي في سيفه نغمُ

إذا رأته قريش قال قائلها

إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته

ركن الحطيم^(٤) إذا ما جاء يستلمُ

وليس قنوك من هذا بضائره^(٥)

العرب تعرف من أنكرت والعجمُ

ينمى^(٦) إلى ذروة العزّ التي قصرت

عن نيلها عرب الاسلام والعجمُ

يفضي^(٧) حياءً ويُغضى من مهابته

فما يُكلّم إلا حين يبتسمُ

ينجاب نور الدجى عن نور غرّته^(٨)

كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلمُ

خـيـزان ريسـحه عبق

من كفّ أروع في عرينه شممُ^(٩)

(٢) ماوطي القدم: أي

ماوطئت، يريد تراب قدميه.

(٣) قسم: أي لا بدّ من

الوفاء به.

(٤) أي لمعرفة كف الإمام.

ركن الحطيم: الركن الذي

فيه الحجر سمّي بذلك

لتحاطم الحاج عليه

(٥) ضائره: ضارّه.

(٦) ينمى: يُرْفَع ويُتَسَبَّ.

(٧) يفضي: يخفض نظره

إلى الأرض.

(٨) ينجاب: ينكشف.

غرته: وجهه.

(٩) الأروع: الرجل الكريم

ذو الجسم والبهاء والفضل

والسودد والذكاء. العرينين:

ما صلب من عظم الأنف،

حيث يكون الشمم، وهو

ارتفاع قصبه الأنف في

استواء.

ما قال لا قطّ إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاءه نعم

مشتقة من رسول الله نبته

طابت عناصره^(١٠) والخيم والشيم

حمل أقال أقوام إذا فُدحوا

حلو الشمائل تحلو عنده نعم

إن قال قال بما يهوى جميعهم

وإن تكلم يوماً زانه الكلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

بجده أنبياء الله قد ختموا

الله فضله قدماً وشرّفه

جرى بذاك له في لوحه القلم

من جده دان فضل الأنبياء له

وفضل أمته دانت لها الأمم

عم البرية بالإحسان وانقشعت

عنها العماية والإملاق والظلم

كلتا يديه غياث عم نفعهما

يستوكفان^(١١) ولا يعرفهما عدم

سهل الخليفة لا تخشى بوادره^(١٢)

يزينه خصلتان الحلم والكرم

لا يخلف الوعد ميموناً نقيبته^(١٣)

رحب الفناء أريب حين يعترم

من معشر حبهم دين وبغضهم

كفر وقربهم منجى ومعتصم

يستدفع السوء والبلوى بحبهم

ويستزاد به الإحسان والنعم

(١٠) النبعة: هنا هي الأصل،
ومنه يقال: هو من نبعة
كريمة، أي ماجد الأصل.
العناصر: جمع العنصر،
وهو الأصل والحسب.

(١١) يُستوكفان: أي يطلب
جودهما ويرتجى نائلهما.
العدم: الفقر.

(١٢) الخليفة: السجدة
والطبع: البوادر: جمع
البادرة، وهي الكلمة
القبيلة، والغضبة
والسريرة.

(١٣) النقيبة: المشورة،
ويؤمن الفعل، وفلان ميمون
النقيبة: أي مبارك النفس،
ميمون الأمر، ينجح فيما
يحاول ويظفر.

مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم
 في كلّ فرض ومختوم به الكلم
 إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم
 أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
 لا يستطيع جواد بُعد غايتهم
 ولا يدانهم قوم وإن كرموا
 هم النيوث إذا ما أزمة أزمت
 والأسد أسد الشرى^(١٤) والبأس محتدم
 يابى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم
 خيم كريم وأيدٍ بالندى هُضم^(١٥)
 لا يقبض العسر بسطاً من أكفهم
 سيّان ذلك إن أثروا وإن عديموا
 أي القبائل ليست في رقابهم
 لأوليّة هذا أو له نعم
 من يعرف الله يعرف أوليّة ذا
 فالدين من بيت هذا ناله الأمم
 بيوتهم في قريش يستضاء بها
 في الثائبات وعند الحكم إن حكموا
 فجده من قريش في أرومتها^(١٦)
 محمد وعليّ بعده علم
 بدر له شاهد والشعب من أحد
 والخندقان ويوم الفتح قد علموا
 وخيبر وحنين يشهدان له
 وفي قريظة يوم صيلم قتم^(١٧)
 مواطن قد علت في كلّ نائبة
 على الصحابة لم أكتم كما كتّموا

(١٤) الشرى : مكان كثير
 الأسود

(١٥) هُضم: جمع قُصوم،
 أي التي تجود بما لديها ولا
 تبقى.

(١٦) الأرومة: الأصل.

(١٧) الصيلم: الشديد، وهو
 في الأصل الداهية
 تستأصل ما تصيب قتم:
 أغبر ضارب إلى سواد أو
 حمرة.


دراسات

أزمة الحضارة

وقراءة في حلول الأطروحة الحسينية

الازمة السياسية نموذجاً

● السيد
محمد علي الطوفاني

لا أريد أن أقحم الموضوع في اطار فرضيات تنظيرية ،  وليست هي بالتجربة الكتابية التي يُظهر الكاتب فيها فنّه الأدبي ، أو مهارته الانشائية ، بل هي ضرورة طرح شارك فيها كثير من العوامل ، أهمها محاولة قراءة الثورة بأسلوبها الحسيني ، والتجنب عن القراءة التقليدية المتعارفة ، وهي محاولة أولية تتوخى دعوة جميع الاقلام لقراءة التراث الاسلامي ، وفهم الفكر المعصومي للاستفادة منه في حل الازمات المعاصرة ، والقادمة من خلف حدود الوطن الاسلامي .

لقد قدمت لنا الحضارة الصناعية أطروحات جديدة لعالم أفضل ، لكنها كانت تحمل - وبالإلصاق - في ثناياها أزمات ومشاكل وُلدت في لحظة ولادة هذه الحضارة ، مع الغرض عن الحلول والبدائل الممكنة ، حتى تفاقمت إلى الحد الذي لم يعد العالم يملك القوة لكبح جماح هذه الازمات ، أو على الأقل للحد منها وترويضها ، حتى صارت تمتد

لتلتف على الدول المنجبة لها ، وتزيد من تضيق الخناق على كثير من مبادئها الاخلاقية ، لتنعكس على تعاملاتها الدولية الاخرى ، فخلّف ذلك صنفين من الدول ، هي الدول المنتجة ، والدول المستهلكة التي يمكن اطلاق اسم المُستعمرة عليها ، وهو المصطلح الأمين لنقل الحالة الحقيقية التي عليها هذه الدول في فترة ما بعد الاستقلال - لأغلبها إن لم نقل لجميعها - ، فعندما أدخلت الولايات المتحدة الاميركية مثلاً في أدبياتها المطالبة بحقوق الدول المستهلكة ، ورفعت شعار الدفاع عن حقوق الانسان ، تبنت موقفاً انعطافياً حاداً يتبنّى المنهجية التوسعية العدوانية ، وإقحام القرار الاميركي في قرارات الدول المستهلكة هذه . لقد حاولت الدول الكبرى ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية ، تحسين صورتها البشعة أمام الشعوب المستهلكة ، وذلك من خلال اعلان نبذ الاستعمار بجميع انواعه ، والمطالبة بتحرير جميع الدول المستعمرة ، وهي دعوة إلى لعبة ديمقراطية جديدة ، نُفّذت من خلالها أبشع صور التعامل مع هذه الشعوب المستضعفة ، بلياقة أدبية جديدة تنشد الحرية لكل الشعوب ، وتعلن وقوفها ضد التعسفيات الاستعمارية القديمة المتمثلة بالتدخل العسكري ، ثم الدعوة إلى السلام في ربوع العالم جميعاً .

لقد ثبتت الولايات المتحدة الأميركية مثلاً مبدأ صناعة الديمقراطية الحديثة ، حيث ادخلت في روع هذه الدول المستهلكة خطر الاخطبوط السوفيياتي(*) ، والتزم الاتحاد السوفيياتي السياسة ذاتها ، حيث أدخل في روع أصدقائه خطر المارد الاميركي القادم ، واتفق كل منهما مع حلفائه على صفقات الاسلحة الحديثة ، وتعاملاً مع هذه الدول مصدراً استهلاكياً ممتازاً ، وسوقاً للاعتدة الحربية كما أنها سوق للسلع الاستهلاكية الاخرى ، مما دفع الدول غير القادرة على تسديد نفقات هذه الذخائر العسكرية ، إلى التوسل بالدول الكبرى من

(*) قبل انهيار الاتحاد السوفيياتي السابق.

أجل جدولة ديونها ؛ لتحصل هذه الدول على مزايا سياسية بحجة التعاون الاقتصادي والتبادلات التقنية ، وبالفعل اتخذ هذا التعاون منهجاً سياسياً عدوانياً ضد سيادة هذه البلدان واستقلالياتها، مما ترك آثاره السلبية على الشخصية السياسية لهذه الدول ، وكبّلها بقيود قرارات استعمارية مجحفة نالت كثيراً من سيادتها الوطنية ، وأضحت بها أسيرة لتبعية اقتصادية وسياسية .

إن العالم اليوم تَوّاق للبحث عن البدائل المتكفلة بحل أزماته المتفاقمة ، والمطرّدة مع التقدم الصناعي المجنون الذي يشهده العالم، وهو ينذهل كلما قرأ منحنيات الأزمة المتصاعدة سريعاً مع أي تقدم صناعي ، وفي الوقت نفسه يحاول جاداً إيقاف هذه المنحنيات الخطيرة ، وتوجيهها بما يلائم التقدم الصناعي ، وتوظيفه على أساس المعطيات الانسانية . وسنجد في بحثنا هذا أن في الاطروحة الحسينية بدائل ممتازة تتكفل بالتصدي لترويض هذه الازمات الحضارية - خصوصاً السياسية منها - ، وتوجيهها بما يكفل الوصول إلى حياة كريمة وتحقيق الطموح إلى عالم افضل .

الازمة السياسية

بعد الدوي الهائل الذي أحدثه انفجار الثورة الصناعية ، تخلف في الحال كثير من المشاكل والازمات السياسية ، وهي الاجابة السريعة لهذا التقدم الصناعي الهائل ؛ ذلك لأن الدول الصناعية الكبرى انتهجت سياسة استعمارية جديدة ، وهي منهجية رسم سياسات الدول المستهلكة بحجة التعاون التقني أو الاقتصادي أو الثقافي المشترك ، ومن خلالها استطاعت اختراق سيادة هذه الدول متجنباً التدخلات العسكرية ؛ خوفاً من التفريط ولو بفردٍ من أفرادها ، وهجراً لسياسة عدم المبالاة بما يصيب الشعوب المستهلكة بأكملها من سحق

وتدمير ، وارقة للدماء في ربوعها الآمنة من أجل تنفيذ رغبة جزئية من رغباتها التوسعية ، «فوسائل العون والمساعدة التي قدمتها للدول الجديدة قبل أن تصل إلى الاستقلال ، تثبت إلى حد بعيد كيف حاول النظام الاستعماري أن يواصل عمله متسترّاً بأشكال أسلم ؛ فالروح الاستعمارية لم تعد تجهر على الظهور بوجهها السافر ، فهي تواصل البقاء والاستمرار تحت ستارٍ شفاف من التعاون والتحرر التدريجي»^(١).

إن المشكلة التي تعانيها الدول الصناعية الكبرى ، هي رؤيتها القائمة في العلاقات المتبادلة بينها وبين الدول المستهلكة ، فهي لا تزال تتعامل مع هذه الدول على أساس الوصاية الاقتصادية ، إذا صح التعبير ، ومنها تنجم الرؤية الاستعمارية الهادفة إلى الأخذ بخيوط الدمية السياسية لهذه الدول ، وتوجيهها حيث تشاء ، تنفيذاً لأية لعبة سياسية مختارة .

إن شهادة المفكر الفرنسي ريمون آرون على سلوكية الاخلاقية الصناعية الغربية ، هو دليل ناصع على معاناة الشعوب المستهلكة القابعة تحت السيطرة الانتاجية الغربية ، التي على أساسها تتحدد معالم الازمة السياسية ، حيث قال : «إنني لا أريد أن أُلقي في الأذهان بأن الدور الذي تلعبه الذهنية الجشعة في المجتمع الصناعي ، هو أمر مستحسن كل الاستحسان . من الجائز أن نأسف لكون هذه المدنية يرافقها أو يلزمها التكاليف على كسب المال ، وأن نرى فيها تقهقراً . بالنسبة إلى المجتمعات التقليدية كانت تحدد المستوى الحياتي بصورة نهائية . إن المجتمعات الحديثة هي في بعض النواحي عارية عن الاخلاق ؛ لأن اساتذة الاخلاق يقولون لنا بأن التجرد عن المصلحة الشخصية هي الميزة الاساسية للاخلاق ، ولكن باعث الربح هو أساسي في عمل أي نظام من الانظمة الصناعية الحديثة»^(٢).

(١) موريس كروزيه،
تاريخ الحضارات العام،
العهد المعاصر ٧: ٧٦٤.
منشورات عويدات، بيروت
-لبنان.

(٢) ريمون آرون،
المجتمع الصناعي: ٩٥،
منشورات عويدات، بيروت
-باريس ١٩٨٣.

إذن فالعلاقات الدولية بين الدول المنتجة والمستهلكة يحكمها قانون الربح والخسارة ، وعلى ضوء ذلك تتحدد جميع الأنشطة السياسية لهذه الدول، ومن هناك تنشأ مناطق التوتر في العالم ، وتسود الجميع علاقات ذات وتائر متشنجة مرتبكة .

معالم الازمة

١- إن منحى الازمة السياسية يتخذ اتجاهاً تصاعدياً مع التطور التقني والنمو الصناعي الذي يشهده العالم ، والذي يتسارع لإحداث مآزات انسانية عنيفة جداً ، يذهب ضحية لها كثير من المبادئ والقيم الانسانية والاخلاقية .

٢- إن الاخلاقية الغربية تُقدّم أطروحاتها على أساس معطيات التقدم الصناعي والتقني ، وتلتزم الاخلاقية الصناعية المبنية على أساس الربح والخسارة ، مما انعكس سلبياً على تعاملاتها مع دول العالم الثالث ، لذا كانت العلاقات الدولية مجموعة وتائر متشنجة ، تتذبذب بين الحين والآخر على أساس المعطيات المادية ، والمصالح الاستعمارية بأسلوبها الجديد .

٣- سلكت الدول الصناعية خطوات شديدة الاثر في علاقاتها مع الدول المستهلكة ، فسحقت كثيراً من قيمها ومبادئها ، مما أتاح لهذا التعامل فرض الهيمنة الاستعمارية عليها ، بسحجة التحالفات الاقتصادية أو الثقافية أو العسكرية ، فعمدت إلى استخدام ممارسات السطو الفكري والاخلاقي بل السياسي لكثير من هذه الدول ، مما جعلها مناطق توتر غير مستقرة في العالم كله .

هذه أهم ملامح الازمة السياسية ، وللقارئ النبيه أن يستنتج معالم أخرى لهذه الأزمة من خلال استقرائه للأحداث المتسارعة في العالم .

حلول الأطروحة الحسينية

وضعت الأطروحة الحسينية حلولها للدول المستضعفة التي تعاني من حيف الدول الكبرى ، وأسست برنامجاً محكماً يأخذ بيد هذه الدول وشعوبها إلى الاستقلالية السياسية ، بما يضمن لها الشخصية الحافظة لقيمها ، والرافضة لتصرفات دول الازمات الصناعية .

إن أهم ما يميز الأطروحة الحسينية هو الحث على بناء الشخصية الفردية التكاملية ، وإرجاع الذات الاسلامية أو الانسانية المفقودة بسبب الهزات السياسية المفتعلة من قبل الدول الاخرى ، فإن تكامل الافراد يتيح بناء المجتمع الرشيد ، الذي بإمكانه أن يرفض كل انواع السيطرة المادية أو السطو الفكري الغربي ، لذا فإن الامام الشهيد عليه السلام حرص في أكثر خطبه ، على الحث على البحث عن سبل بناء الفرد التكاملي لايجاد مجتمعات فاضلة ، تتصدى لكل محاولات الذل والاستسلام ، وهذا ما نجده في خطب الامام عليه السلام أثناء عاشوراء ، حيث الحث على تحرير الامة ورفض جميع أساليب الهيمنة الظالمة .

إننا سنورد نقفاً من أقوال الامام عليه السلام ، ونستخلص منها أكثر الحلول ، وإن لم يكن في بعضها تصريحاً واضحاً ، بل يمكن أن تكون اشارات خفية لمجموعة من حلول الازمات المعاصرة .

البند الأول : الدفاع عن حقوق الانسان

١ - ففي كلامه عليه السلام يحث الأمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويوبخ المداھنين لانظمة الحكم الظالمة ويشدد النكير عليهم ، خصوصاً العلماء الذين يصانعون الظلمة ، ولا يعلنون عن استيائهم مما يجري من هتك الأمة وتنكيلها ، فقال عليه السلام : «فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه : لعلمه بأنها إذا أدبت وأقيمت ، استقامت الفرائض كلها ، هينها وصعبها ؛ وذلك أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام ، مع رد

المظالم ، ومخالفة الظالم ، وقسمة الفيء والغنائم ، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها ... لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نعماته ؛ لأنكم بلغت من كرامة الله منزلة فضلت بها ومن يعرف بالله لا تكرمون ، وأنتم في عباده تكرمون ، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون ، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون ، وذمة رسول الله محقورة ، والعمي والبكم والزمنى (*) في المدائن مهمة لا ترحمون ، ولا في منزلتكم تعملون ، ولا من عمل فيها تعينون ... ولو صبرتم على الانزى وتحملتكم المؤنة في ذات الله ، كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصير ، واليكم ترجع ، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم . أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ، ويسيرونها في الشهوات ، سلطهم على ذلك فراركم من الموت ، وأعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم ، فاسلمتم الضعفاء في أيديهم ، فمن بين مستعبد مقهور ، وبين مستضعف على معيشة مغلوب ، يتقلبون في الملك بأرائهم ، ويستشعرون الخزي بأهوائهم ، اقتداءً بالأشرار ، وجرأة على الجبار ، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع (**) ، فالأرض لهم شاغرة ، وأيديهم فيها مبسوطة ، والناس لهم خول (***) ، لا يدفعون يد لأمس ، فمن بين جبار عنيد ، وذئ سوطه على الضعيف شديد ، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد ، فيا عجباً ! ومالي لا أعجب ، والأرض من غاش غشوم ، ومتصدق ظلوم ، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم ؟ (٣) .

٢ - قال ﷺ : «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله عز وجل» (٤) .

٣ - وقال أيضاً : «أيها الناس : إن رسول الله ﷺ قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً عهده ، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» (٥) .

استنتاج الحلول

أعلنت الاطروحة الحسينية ابتداءً عن رفضها للظلم بجميع انواعه ، ونبت جميع ممارسات الاعتداء على الحقوق العامة للأمة ، وأكدت أن جميع الناس متساوون في الحقوق والحريات ، وأن لكل منهم

(*) الزمنى : جمع زمن وزمين ، وهو المريض مرضاً يديم .

(**) يصقع : يرفع صوته .

(***) خول : عبيد .

(٣) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول : ٢٣٧ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم .

(٤) مصطفى آل اعتماد ، بلاغة الحسين : ٢٦٢ .

(٥) تاريخ الامم والملوك للطبري ٥ : ٤٠٣ ، دار سويدان ، بيروت .

ممارسة حقوقه مع الاحتفاظ بحقوق الآخرين ، وأكدت كذلك أن يكون الرفض والاستنكار للممارسات الظالمة ، نابعين من المسؤولية الجماعية لكل تجمع داخل الأمة ، تحت أي عنوان ، ونابعين أيضاً من المسؤولية الفردية لكل فرد ، وهو جزء في هذا المجتمع .

كما نادت الأطروحة الحسينية بضمان الحقوق المادية لكل المواطنين ، وتقسيم موارد الدولة الاقتصادية التي عبرت عنه بقسمة الفياء والغنائم ، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها ، ثم شجبت أساليب القهر والاستعباد من قبل الانظمة الحاكمة ، التي تعاني منها أغلب طبقات الأمة ، واستنكرت كثيراً الاساليب الاعلامية للظالمين ، ومحاولة تبرير اعمالهم الارهابية ، واضفاء الشرعية على تصرفاتهم بقوله ﷺ : « في كل بلد منهم خطيب يصقع » ، ثم أنكرت بعض صور الظلم والعدوان على الشعوب من قبل حكامها ، التي عبرت عنه بالقول : « والناس لهم خول ، لا يدفعون يد لاس ، فمن بين جبار عنيد ، وذئ سوطه على الضعيف شديد » ، مطالبة الأمة باتخاذ ما يلزم لردع هذه الانتهاكات الانسانية ، حادثة على ضمان الحقوق للطبقات المقهورة المستضعفة .

ثم عمدت الأطروحة إلى مخاطبة الضمير العالمي ، المتمثل في الفرد ، أو التابع عن فلسفات أي تجمع أو أطروحة معينة ، مناشدة اياه الابتعاد عن أساليب القهر والاستعباد ، والتذكر أن فوق قدرته هذه قدرة أقوى وأبطش ، تأخذ من الظالم كل الحقوق المهضومة ، وتعوض المظلوم بما يضمن له كرامته وانسانيته ، حيث ذكرت في نص تحذيرها المشدد « إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله عزوجل » .

وهكذا وُقِّعت الأطروحة الحسينية في تبني حقوق الانسان ، والتزام الجانب الانساني في طرح المشاكل التي تواجهها الأمة ، وتوفير الغطاء الانساني لجميع التعاملات بين النظام وبين الأمة ، أو بين الانظمة الكبرى والانظمة المرتبطة معها بروابط مختلفة ، واحترام

استقلالية الجميع .

إن الأخذ بجميع ما ورد في هذا البند سيضمن الشخصية السياسية لكل دولة ، وسيوفر الأمن والسلام في ربوعها ، وذلك بعد ضمان حرية الفرد واستقلاليته ، لينشأ مجتمع متكامل يشعر بذاته والحاجة الملحة لاستقلاله من كل هيمنة ، وسيفرض على كل دولة يتعامل معها احترام قيمه ومبادئه ، وأن تبنت علاقتهم مع الدول الأخرى على أساس من التعاون الانساني المشترك ، والاستفادة من الخبرات المتبادلة ، مع الاحتفاظ بشخصية أي دولة ضماناً لاستقلالها وحريتها .

البند الثاني : مهمة الدولة

قال الامام عليه السلام في بعض كلامه : « اللهم إنيك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ، ولا التماساً من فضول الحطام ، ولكن لنرى المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك ، ويأمن المظلومون من عبادك ، ويعمل بفرائضك وسنتك واحكامك » (١) .

(١) تحف العقول لابن
شعبة الحراني: ٢٣٩،
مؤسسة النشر الاسلامي،
قم.

استنتاج الحلول

بينت الاطروحة الحسينية مهمة الدولة ، وفصلت المفهوم العام لمهام الحكومة ومسؤولياتها ، وتركت تفاصيل ذلك وجزئياته لاجتهاد الحاكم ، بما يتناسب والظرف الآتي لكل دولة .

إن أهم ما يقع على النظام من مسؤولية ، هو محاولة توثيق الارتباط بين الأمة وبين عقائدها الدينية ، وبيان ما يقع على الأمة من مسؤولياتها العقائدية ، وإيجاد شعب منضبط في علاقته مع الله تعالى ، والتكفل بتربيته بما يضمن حفظه من الانفلات الفكري ، وتحصينه من الهجمات الثقافية المضادة ؛ فإن بيان معالم الدين هو تحديد المسؤولية العبادية ، والوصول إلى الكمال الاجتماعي الذي من

خلاله تتحدد معالم ذات الأمة ، واستقلاليتها الشخصية الرافضة للخنوع إلى أي قوة أخرى سوى الله تعالى ، وستتحرر بعبوديتها للواحد الأحد من أساليب الهيمنة المفروضة عليها من قبل الدول الكبرى .

أما مهام الدولة الأخرى فهي أن تتكفل بحياة كريمة حرة لكل مواطنيها ، وذلك من خلال الإصلاح الاخلاقي والفكري ، بالإضافة إلى الإصلاح المعيشي الذي يضم كافة الأطروحات الإصلاحية الاقتصادية منها والعمرانية والثقافية .

إن التعبير عن الصلاح في البلاد ، هو اطروحة تضم بين دفتيها جميع السبل الكفيلة بتقدم الأمة وصلاتها ، فالصلاح يشمل القطاع الثقافي الذي من خلاله تتعهد الدولة بفتح المعاهد العلمية وكافة قطاعات التعليم ، وتأمين كل ما يحتاجه هذا القطاع من الوسائل الحديثة ، والمناهج التدريسية التي تضمن حياة تعليمية أفضل ، وعلى الدولة أيضاً الاحتفاظ بثقافة الأمة ، بما يضمن التصدي للثقافات المغيرة لتراثها وأدبياتها ، وذلك من خلال تحسين الاجهزة الاعلامية ووسائل النشر المختلفة ، وایجاد أطروحات اعلامية ثقافية جديدة ، تحتفظ بتراث الأمة وتواكب التطورات المستجدة العالمية .

أما الصلاح الاقتصادي ، فهو تكفل الانظمة بالمواظبة على التوازنات المالية ، والمحافظة على الميزان الاقتصادي العام ، وتشجيع صادرات الدولة ، والمحافظة على موازنة الواردات خوفاً من اختراق السلع والبضائع إلى البلاد ، بما يسبب الاربك في الميزان التجاري للسوق المستهلكة ، والمصارعة إلى تطوير القطاعات الانتاجية العامة ، وتوفير السبل لتحسين الزراعة واستخراج المعادن المتوافرة في بواطن البلاد .

كما أن من مهام الإصلاح السياسي ، ضمان حياة سياسية تعتمد

شورى الأمة في طول مبدأ الامامة والولاية الشرعية ، يساهم فيها ممثلو الأمة في اتخاذ القرارات اللازمة بشأن نظام الحكم واجراءاته .
إن استتباب الأمن للمواطنين ، وأخذ حقوق المستضعفين ، هما أهم ما أكدته الأطروحة ، وذلك بتعبيرها «ويأمن المظلومون من عبادك» ، وهي المهمة التي من أجلها نادت الأطروحة بقيام حكومة ونظام يأخذان على عاتقهما توفير الأمن والأمان .

إن العمل بفرائض الله تعالى وسننه وأحكامه ، هو العملية التثقيفية التي تتبناها الدولة ، وتربي الأمة عليها ، فمن خلال تطبيق الاحكام سيشعر المواطن بالالتزام الذاتي الذي يفرض عليه انخراطه ضمن نظام خاص ملتزم ، ويبعد عن ذهنيته أي انفلات أو اختراق قانوني .
هذه أهم مهام الدولة التي يمكن استخلاصها من أقوال الامام الشهيد (عليه السلام) ، وهي عملية استقلال ذاتي يبعد الأمة عن الوقوع في احضان الدول المتكبرة ، ويمنحها القدرة على معرفة ذاتها وشخصيتها ، ويدفعها للبحث الجاد عن سبل الحرية والاستقلال .

البند الثالث : مهام الإصلاح العام

قال الامام (عليه السلام) : « ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يُتَنَاهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً ؛ فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً » (٧) .

(٧) بلاغة الحسين
مصطفى آل اعتماد : ١٥٧ .

استنتاج الحلول

دعت الأطروحة الحسينية إلى تجنيد كل الطاقات للعمل على الإصلاح العام ، والنهوض بواقع سياسي يرفض كل الممارسات الاستكبارية ، ويتيح للأمة متابعة أي خلل ناجم عن الانتهاكات الفردية أو الجماعية ، المرتكبة بحق رعايا الانظمة الجائرة .

لقد دعا الامام (عليه السلام) إلى متابعة كل ما يرتكب من عدوانية سلطوية

من قبل أي نظام ، والانتباه إلى هذه الانحرافات والترصد لها بقوله : «ألتزمون إلى الحق لا يعمل به» ، فإن الحث على ملاحقة الازمات الاستكبارية هو مهمة تقع على كل الأمة ، وإن برنامج الإصلاح والتغيير هو الرسالة الكريمة التي تلتزمها الأمم الحية التي تطمح إلى حياة أفضل ، كما أنها دعت إلى أن تكون هذه البرامج غير مقتصرة على الأطروحات التنظيرية ، دون ما يرافقها من حركات جهادية إذا اقتضت الضرورة ذلك ، والنزول إلى ميدان العمل الجهادي المسلح لردع النظام ، واجباره على الاستجابة لكل مطالب الأمة ، أو اقصائه من موقعه واستلام السلطة من قبل قيادات رشيدة هي أحق بالامر منه ، لذا نوه الامام عليه السلام إلى أن مهمة الإصلاح في أكثر الاحيان يرافقها العمل الجهادي ، وتنشيط الحركات المسلحة ، ودفعها إلى ميدان المواجهة والتصادم مع النظام مهما كلفت التضحيات ، ثم حرصت الاطروحة الحسينية على تأديب أتباعها على اعتماد منهجية هي جديرة بالاهتمام ، وتستحق الوقوف عندها والتأمل في معطياتها ، وهي خلق روحية التضحية والايثار ، ومحاولة الاستهانة بكل غال ونفيس من أجل الهدف الاسمي للتغيير والإصلاح ، والاستصغار للموت ، فإنه من أعز الاوسمة التي تشير إلى وصول المرء إلى السعادة الابدية الدائمة ، فإن الموت هو السعادة الخالدة ، لأنه آخر أدوات الإصلاح المقتضية لازالة كل آثار الظلم والعدوان ، وإن العيش مع الظالمين وما يجري على الأمة من انتهاكات وهدر لكل القيم ، هو البلاء الذي لا يطيقه الامام عليه السلام ، فتفضيل الموت هو الاشارة إلى التضحية والفداء لتحقيق الحرية والسلام ، وليس المقصود منه هو اختيار الموت هكذا فقط ، دون الخوض في غمرات الجهاد ، فإن الامام حث على ميقة الشهداء وحياة السعداء ، فكان شعاره عليه السلام : «فاني لا أرى الموت إلا سعادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً» .

إن انتهاج أي شعب مستضعف لهذه السلوكية الجهادية ، والأخذ بمقولة الامام هذه ، سوف يحلّان له الكثير من الازمات المفتعلة من قبل الدول الاستعمارية ، فالوجود الاستعماري لن يجد له مكاناً في مجتمع يعتمد هذه الفلسفة الجهادية ، واحتقار الموت في سبيل التحرر والاستقلال سيسجّل الحالات الانهزامية لأي تدخل تفرضه الدول الكبرى على ارادة شعوب العالم الثالث المستضعفة ، وستجد هذه الشعوب حقاً أن الحياة مع الظالمين وتصرف المستكبرين في طاقاتها وموارد خيراتها هو الموت المهيّن ، الذي تأباه الفطرة الانسانية أينما وجدت ، فإن حركات التحرر العالمية قديمها وحديثها تضع في أوليات ايديولوجياتها ، وتعتمد في تنظيراتها السياسية ، وفي جميع أدبياتها مقولة الامام هذه وكل ما ورد في مبتنياتنا .

إن الثورة الاسلامية الايرانية مثلاً هي شاهد حي قريب ، يحكي تجربة شعب مستضعف ، عانى من ممارسات طاغوتية طويلة الامد ، حتى إذا ما وجد ضرورة التغيير والحاجة الملحة لحركة اصلاحية اسلامية ، قدّم شعار الامام المصلح الشهيد عليه السلام ، وهو قوله : «فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً» .

إن الموت هو الثمن البسيط الذي تقدمه الأمة في سبيل التحرر من التسلطية والدكتاتورية ، وإن استقراء سريعاً لجميع الثورات في العالم سيكشف أن شعار أبي الاحرار في واجهة لافتاتها السياسية .

البند الرابع : مواصفات الحاكم

قال الامام عليه السلام : « فلعمرى ما الامام إلا الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق ، والحابس نفسه على ذات الله » (٨) .

(٨) تاريخ الامم والملوك للطبري ٥ : ٣٥٣ ، بيروت .

استنتاج الحول

تنبّهت الأطروحة إلى ضرورة تخفيف الأمة بمعرفة مواصفات الحاكم ، وكيفية اختيار النخبة القيادية الصالحة ، والتي تحوز ثقة الأمة بها في إدارة أمور الدولة .

إن رسم ملامح شخصية الحاكم سيتيح للأمة معرفة الواقع الايديولوجي للقيادة ، الذي من خلاله تستطيع التحرك بكل الاتجاهات الحيوية لأجل تحقيق اهدافها المنشودة .

إن الاخفاق الذي أصاب الأمم ، بغض النظر عن فلسفاتها ، اسلامية كانت أم غيرها ، هو سوء الفهم الموروث في معرفة مواصفات الحاكم، حيث لم يتكفل أكثرها في تثقيفياته بعرض ولو مجمل لمعرفة الصفات العامة للحاكم ومنهجية سلوكه .

لقد أتاحت الأطروحة الحسينية لأتباعها الوقوف على الشخصية العامة للحاكم ، وايضاح جملة ما يمكن معرفته في هذا المجال .

إن الطابع الدستوري الذي يميز تحركات الحاكم ، والمعبر عنه بالحاكم بالكتاب ، هو المواجهة الحقيقية لأي سلطوية دكتاتورية يمكن تسربها إلى ذروة النظام وقيادته ، فقد أعلن الامام عليه السلام أن على الأمة أن تلزم بالحدّ الشديد ، وعدم غفلتها عن وصول قيادات منحرفة عن الحق ، جائرة في استخدام السلطة ، فإن التزام الحاكم بكتاب الله تعالى ، وتبنيه لمبادئ الحق ، وتوظيفه كل طاقاته في سبيل الله تعالى ، هي النموذجية القيادية التي تنشدها أطروحة الامام الشهيد عليه السلام .

فالأمة التي تنجح في انتخاب قيادتها الدستورية ، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي ، ستُعزز ثقلها السياسي ، وامكانياتها التعبوية ، لمواجهة أي تحديات داخلية أو خارجية مفتعلة ، من أجل الهيمنة الاستعمارية على تراثها الفكري أو طاقاتها الاقتصادية ،

وسيكون بإمكانها التصدي لمحاولات الاتجار السياسي ، واحباط المساومات السياسية على حساب كرامتها وشخصيتها السياسية ، كما هو دأب الدول الكبرى في علاقاتها مع الدول النامية ، بل جميع شعوب العالم الثالث ، على مدى تاريخ التحالفات السياسية ، أو التحالفات العسكرية ، أو التعاون الاقتصادي المشترك المزعوم ، التي تكون حصيلتها مؤامرات الاستعمار الجديد بكل أنواعه المرفوضة .

التوصيات الختامية

في ختام تجوالنا السريع لقراءة الاطروحة الحسينية ، واستنتاج الحلول المناسبة للأزمة السياسية ، نستنتج أن الاطروحة الحسينية توصي جميع شعوب الأرض بالعمل الدؤوب الجاد ، للوصول إلى مستوى الكمال الفردي أو الجماعي ، وخلق مجتمع يملك كل القدرات الخلاقة في سبيل النضال من أجل التحرر لنيل استقلاله وكرامته ، وذلك من خلال العمل بالتوصيات التالية :

١ - التربية اليمانية ، وخلق روح العبودية لله تعالى ، والاخلاص في وحدانيته ، والاعتماد على قوته وعظمته ، فليس مع الله تعالى قوة أعظم ، ولا في ملكوته ارادة أشد وأنفذ ، فإليه يرجع الامر كله ، فهو القاهر والقادر ، والأول والآخر ، ولما كان الامر كذلك ، فإن نظرة الاعجاب لهيبة القوى الكبرى ، ورهبة امكانياتها المادية المتطورة ، هو الموروث التقليدي الذي قدمته تقنيات هذه الدول ، فلا وجه للإبقاء على هذه التقليدية ، بل يلزم استبدالها بنظرة واقعية جديدة ، وهي افتقار هذه القوى إلى روح ايمانية تنقذها من شرور الازمات الاخلاقية المتفاقمة ، وأنها بحاجة إلى اصلاح اجتماعي اقتصادي جذري بدلاً من معاناتها الناشئة من كبريائها وغرورها ، وهي النظرة السائدة

لهذه القوى ، والتي تُعَجِّل في تحطيم ارادتها وإيقاف طموحاتها عند حدود التوسع والهيمنة بالقهر والغلبة على الشعوب المستضعفة ، وهي أعتى عملية تؤدي إلى قلع كياناتها ، وإحاقها بالامبراطوريات التوسعية السالفة ، التي كانت رهينة للممارسات التوسعية ، مما أدى إلى تأكلها السريع ، وانهارها المحتوم .

٢ - توصي الاطروحة الحسينية بضمان حقوق الانسان ، والمحافظة على الغطاء الانساني لأي ممارسات سلطوية ، تتيح لبني البشر العيش بسلام في ظل قانون دولي يحكم العلاقات الدولية ، ويؤسس برامج التعاون الانساني المشترك ، ويؤكد أواصر العلاقات الدولية على اساس المصالح المشروعة المشتركة ، والاحترام المتبادل بين شعوب الأرض ، وإيجاد الأمن والسلام في ربوع العالم .

٣ - العمل على تنشيط برامج الاصلاح العام ، وذلك بالتصدي لأي انحراف قيادي ، ومطالبته بتنفيذ جميع المقررات الاصلاحية المنشودة ، وتطبيق كل الشعارات المرفوعة ، أو النزول إلى ميادين المعترك السياسي وتغيير القيادات المنحرفة بقيادات صالحة رشيدة ، وممارسة العمل العسكري المسلح ، والتغيير القسري ، وبذل النفوس في سبيل العيش بسعادة وكرامة ، وإلا كان الموت سعادة ، والحياة مع الظالمين برماً .

٤ - تربية الأمة على ممارسة حق انتخاب الحاكم ذي المواصفات المقررة في بنود الاطروحة ، وهو الحاكم بالكتاب ، الدائن بدين الحق ، والحابس نفسه على ذات الله ، وإيجاد تشكيلة مؤمنة بالقسط والعدل ، وكفوءة في تطبيقها ، الذي يضمن للأمة قيادتها لمواجهة الاستكبار الدولي ، المختبئ في مطاوي التحالفات الاقتصادية والسياسية ، والثقافية المزعومة .

وفي الختام نود أن ننوه إلى أن هذه التجربة الاستقرائية في ملامح
الاطروحة الحسينية ، هي محاولة أولية لاستلال البرامج الاصلاحية
المنتخبة ، بعد أن عجزت كل الاطروحات في تقديم الحلول الناجعة
والسريعة ، فإن تفاقم الازمات الحضارية المتلاحقة ، يطالبنا ببذل
الوسع لإيجاد تجربة اصلاحية منتخبة ، من كلام المصلحين
الرساليين ، الذين ما فتئت دماؤهم تنافع كل تسلط وعدوان على
حساب الأمم المستضعفة ، المبتلاة بالمطامع التوسعية الهزيلة للغرب
الصناعي ، وتكريس كل الطاقات المثقفة لقراءة الفكر المعصومي
التمثل بكلمات اهل البيت (عليه السلام) ، واعادة الجهد الثقافي وتوظيفه من
أجل بناء صرح ثقافي معصومي ، يستجيب لنداءات المستضعفين في
عالم مقهور .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ
مَاتَ شَهِيدًا .

عبدالله بن عباس : ص ٦٨ : ص ١٣٧

فقهية:



فنون وأداب

السيد

محمد جمال الهاشمي

هو آية الله السيد محمد ابن آية الله العظمى السيد جمال الدين الهاشمي ، ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٢ م .
نشأ في بيت علم وتقوى ، حيث كان والده من مراجع الدين في عصره . ومن المعروفين بالزهد والتقوى .
ابتدأ نظم الشعر منذ صغره فكان شاعراً موهوباً مرهف الحس والذوق ، سريع البديهة . انتسب إلى بعض الجمعيات والمؤسسات الدينية والأدبية ، أمثال جمعية الرابطة الأدبية ، وجمعية (منتدى النشر) ، وكان من أوائل الذين شاركوا في (جماعة العلماء) واستخدم شعره وأدبه في مواجهة التيارات المتحرفة التي غزت العالم الاسلامي آنذاك ، وفي بث الوعي الاسلامي بين أبناء الأمة .
توفي في ربيع الأول عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ودفن في وادي السلام في النجف الاشرف .

يعيدك للتاريخ بالدمع والدم

متى لاح مكسوفاً هلال محرم

فديتك ما أشجاك في الحب نعمة

يرف لها قلبي، ويشدو بها فمي

عرفتك من قبل الحياة وبعدها

ستبقى صدى حزني، ورنة مأتمني

عشتُ الأسى شوقاً إليك، لأنني

أراك بعين التاكل المتألم

يقول لعيني القلب، والفم صامتٌ
 ذهولاً، خذي وحي الشجون وترجمي
 هواي مع الأحزان يحدو ركابه
 ففوري مع الركب المجدّ وأتهمي
 وما ألفت دنيا الهوى قبل صبوتي
 عواطف صبّ بالدموع متيم
 وكم قائلٍ لي، وهو منّي هازلُ
 أتبكي لهذا العالم المتبسمِ
 عذولي عذراً ان في القلب قرحةٌ
 لذكر الذي أهواه والدمع بلسمي

* * *

ولو كان حزني في فؤادك لأغتندي
 نعيمك أقسى صحبةً من جهنمِ
 ومستهزئٍ بالحزن عانت بفكره
 أضاليل آراء إلى الجهل تنتمي
 يجادلني في مآثم السبط قائلاً
 من الظلم أن يحيى الحسين بمآثمِ
 ولو قبل الجمهور قولِي، جعلتُ من
 محرّم للأفراح ابهج موسمِ
 فيومٌ به الاسلام شدّ كيانه
 جديرٌ بأن يهنئ به كلُّ مسلمِ
 فقلتُ له: قد فاتك القصدُ فاتتد
 لتهدئ إلى مغنى وتحضئ بمغنى
 فما جزعي من نهضةٍ يهتف الإبا
 لها، ويراهها المجد أرفع ميسمِ

وليس لأن الدين ألقى بظلمها

جماه، وفي أمثالها الدين يحتمي

ولكن لآلام على السبط قد جرت

متى أتذكر شجوها أتألم

بنفسي وحيداً في الجهاد مكافحاً

عدوّاً يلاقيه بجيش عرمرم

وأصحابه صرعى على الأرض حوله

ونسوته مذعورة في المخيم

وفي حضنه الطفل الرضيع مرفراً

يعالج سهماً في ورديه مرتمي

وقد شعب السهم المثلث قلبه

وزاد على آلامه أنه ظمي

ويسقط في الميدان وهو بحالة

يضيق بها وضعاً فم المتكلم

ويذبحه - شمر - ويرفع رأسه

- سنان - ويهدى من دعى لمجرم

وتُسبى حريم الله وهي ثواكل

تحنُّ إلى خدر وتبكي على حمي

خطوب إذا استقرى المؤرخ سفرها

لما سار إلا من عظيم لأعظم

* * *

فعداراً أبا السجاد طفحة شاعر

يحاول أن يرقى إليك بسلم

وأنت الذي قد حاول الفكر سبره

فغاص ببحر من معانيك مفعم

لذاك إتخذتُ الدمع للشعر مجهرًا
 يرى فيه أسرار الوجود المطلسم
 فما كنتُ ألا عالمًا مترامياً
 يشعُّ باقمار ويزهو بأنجم
 وحاولت أن ازداد معرفةً به
 فكلُّ خيالي دونه وتوهمي
 فيا شعر أن رمت الخلود ومجده
 فصلٌ على يوم الحسين وسلّم

* * *

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَا حُسَيْنَ
 عَبْرَةَ
 كُلِّ مُؤْمِنٍ

بَحَارُ الدُّنْيَا ٤٤ : ٢٨٠

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ

عَنْ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْعَبَّادِ

تَهْنِئَات

عبد المحسن العباد
(المبار)

نشرت مجلة الهادي عام ١٣٩١ هـ. ق في عديها الأول والثاني من سنتها الأولى نقلاً عن مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في عديها الثالث من سنتها الأولى، ملخصاً لمحاضرة بعنوان «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» للشيخ عبد المحسن العباد، المدرس في الجامعة المذكورة. ولأهميتها في إثبات العقيدة بالمهدي المنتظر (عج) عند أهل السنة، بما يقارب - بحدود المطروح - ما عند مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، رأت هيئة التحرير إعادة نشرها بتلخيص أكثر، تعميماً للفائدة العلمية. ومن الله التوفيق للصواب والسداد.

«التحرير»

أخبر الرسول ﷺ أمته عن الأمم الماضية بأخبار لا بد من التصديق بها، وأنها وقعت وفق خبره ﷺ، كما أخبر عن أمور مستقبلية لا بد من التصديق بها، والاعتقاد أنها ستقع على وفق ما جاء عنه ﷺ وما من شيء يقرب إلى الله إلا وقد دل الأمة عليه. ورغبها فيه، وما من شر إلا حذرهما منه.

إن من بين الأمور المستقبلية التي تجري في آخر الزمان، عند نزول عيسى بن مريم (عليه السلام) من السماء، هو خروج رجل من أهل بيت النبوة من ولد علي بن أبي طالب، يوافق اسمه اسم الرسول ﷺ ويقال له المهدي، يتولى إمرة المسلمين، ويصلي عيسى بن مريم (عليه السلام) خلفه،

وذلك لدلالة الأحاديث المستفيضة عن رسول الله ﷺ ، التي تلقتها الأمة بالقبول ، واعتقدت موجبها إلا من شذ .

وسيكون الكلام حول هذا الموضوع لأمرين :

الأول : أن الأحاديث الواردة في المهدي لم ترد في الصحيحين على وجه التفصيل ، بل جاءت مجملة ، وقد وردت في غيرهما مفسرة لما فيهما ، فقد يظن ظان أن ذلك يقتل من شأنهما ، وذلك خطأ واضح ، فالصحيح بل الحسن في غير الصحيحين مقبول معتمد عند أهل الحديث .

الثاني : أن بعض الكتاب في هذا العصر أقدم على الطعن في الأحاديث الواردة في المهدي بغير علم ، بل جهلاً أو تقليداً لأحد لم يكن من أهل العناية بالحديث . وقد اطلعت على تعليق لعبد الرحمن محمد عثمان على كتاب تحفة الأحوزي ، الذي طبع أخيراً في مصر . قال في الجزء السادس في باب ما جاء في الخلفاء في تعليقه : «يرى الكثيرون من العلماء أن كل ما ورد من أحاديث عن المهدي ، إنما هو موضع شك ، وأنها لا تصح عن رسول الله ﷺ ، بل إنها من وضع الشيعة» .

وقال معلقاً بشأن المهدي في باب ما جاء في تقارب الزمن وقصر الأمل في الجزء المذكور : «ويرى الكثيرون من العلماء الثقة الأثبات أن ما ورد في أحاديث خاصة بالمهدي ليست إلا من وضع الباطنية والشيعة واضرابهم ، وأنها لا تصح نسبتها إلى الرسول ﷺ» .

بل لقد تجرأ بعضهم إلى ما هو أكثر من ذلك ، فنجد محيي الدين عبد الحميد في تعليقه على الحاوي للفتاوي للسيوطي ، يقول في آخر جزء في العرف الوردية في أخبار المهدي (ص ١٦٦) من الجزء الثاني : «يرى بعض الباحثين أن كل ما ورد عن المهدي وعن الدجال من الإسرائيليات» .

لهذين الأمرين ، ولكون الواجب على كل مسلم ناصح لنفسه ألا يتردد في تصديق الرسول ﷺ فيما يخبر به ، رأيت أن يكون الكلام حول هذا الأمر كما قلت ، تحت عنوان عقيدة اهل السنة والأثر في المهدي المنتظر .

ولكي نكون على علم مقدماً بعناصر الموضوع ، أسوقها لكم فيما يلي :

الأول : ذكر أسماء الصحابة الذين روى أحاديث المهدي عن رسول الله ﷺ .

الثاني : ذكر أسماء الأئمة الذين أخرجوا الأحاديث والآثار الواردة في المهدي في كتبهم .

الثالث : ذكر الذين أفردوا مسألة المهدي بالتأليف من العلماء .
الرابع : ذكر الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي ، وحكاية كلامهم في ذلك .

الخامس : ذكر بعض ما ورد في الصحيحين من الأحاديث التي لها تعلق بشأن المهدي .

السادس : ذكر بعض الأحاديث في شأن المهدي الواردة في غير الصحيحين ، مع الكلام عن أسانيد بعضها .

السابع : ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي ، واعتقدوا موجبها ، وحكاية كلامهم في ذلك .

الثامن : ذكر من وقفت عليه ممن حكي عنه إنكار أحاديث المهدي ، أو التردد فيها ، مع مناقشة كلامه باختصار .

التاسع : ذكر بعض ما يظن تعارضه مع الأحاديث الواردة في المهدي ، والجواب عن ذلك .

العاشر : كلمة ختامية .

الأول : أسماء الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ أحاديث المهدي :
جملة ما وقفت عليه من أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث
المهدي عن رسول الله ﷺ ستة وعشرون ، وهم :

- ١ - عثمان بن عفان .
- ٢ - علي بن أبي طالب .
- ٣ - طلحة بن عبيد الله .
- ٤ - عبد الرحمان بن عوف .
- ٥ - الحسين بن علي .
- ٦ - أم سلمة .
- ٧ - أم حبيبة .
- ٨ - عبد الله بن عباس .
- ٩ - عبد الله بن مسعود .
- ١٠ - عبد الله بن عمر .
- ١١ - عبد الله بن عمرو .
- ١٢ - أبو سعيد الخدري .
- ١٣ - جابر بن عبد الله .
- ١٤ - أبو هريرة .
- ١٥ - أنس بن مالك .
- ١٦ - عمار بن ياسر .
- ١٧ - عوف بن مالك .
- ١٨ - ثوبان مولى رسول الله ﷺ .
- ١٩ - قرة بن إياس .
- ٢٠ - علي الهلالي .
- ٢١ - حذيفة بن اليمان .
- ٢٢ - عبد الله بن الحارث بن جزء .

٢٣ - عوف بن مالك .

٢٤ - عمران بن حصين .

٢٥ - أبو الطفيل .

٢٦ - جابر الصدفي .

الثاني : أسماء الأئمة الذين خرّجوا الأحاديث والآثار الواردة في
المهدي في كتبهم :

وأحاديث المهدي خرّجها جماعة كثيرون من الأئمة في الصحاح
والسنن والمعاجم والمسانيد وغيرها ، وقد بلغ عدد الذين وقفت على
كتبهم ، واطلعت على ذكر تخريجهم لها ، ثمانية وثلاثين ، وهم :

١ - أبو داود في سننه .

٢ - الترمذي في جامعه .

٣ - ابن ماجه في سننه .

٤ - النسائي ، ذكره السفاريني في لوامع الأنوار البهية ، والمناوي

في فيض القدير ، وما رأيته في الصغرى ، ولعله في الكبرى .

٥ - أحمد في مسنده .

٦ - ابن حبان في صحيحه .

٧ - الحاكم في المستدرک .

٨ - أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف .

٩ - نعيم بن حماد في كتاب الفتن .

١٠ - الحافظ أبو نعيم في كتاب المهدي ، وفي الحلية .

١١ - الطبراني في الكبير والأوسط والصغير .

١٢ - الدارقطني في الأفراد .

١٣ - البارودي في معرفة الصحابة .

١٤ - أبو يعلى الموصلي في مسنده .

- ١٥ - البزار في مسنده .
 - ١٦ - الحارث بن أبي أسامة في مسنده .
 - ١٧ - الخطيب في تلخيص المتشابه ، وفي المتفق والمتفرق .
 - ١٨ - ابن عساكر في تاريخه .
 - ١٩ - ابن منده في تاريخ أصبهان .
 - ٢٠ - أبو الحسن الحربي في الأول من الحرييات .
 - ٢١ - تمام الرازي في فوائده .
 - ٢٢ - ابن جرير في تهذيب الآثار .
 - ٢٣ - أبو بكر بن المقرئ في معجمه .
 - ٢٤ - أبو عمرو الداني في سننه .
 - ٢٥ - أبو غنم الكوفي في كتاب الفتن .
 - ٢٦ - الديلمي في مسند الفردوس .
 - ٢٧ - أبو بكر الإسكاف في فوائد الأخبار .
 - ٢٨ - أبو حسين بن المناوي في كتاب الملاحم .
 - ٢٩ - البيهقي في دلائل النبوة .
 - ٣٠ - أبو عمرو المقرئ في سننه .
 - ٣١ - ابن الجوزي في تاريخه .
 - ٣٢ - يحيى بن عبد الحميد الحماني في مسنده .
 - ٣٣ - الروياني في مسنده .
 - ٣٤ - ابن سعد في الطبقات .
 - ٣٥ - ابن خزيمة .
 - ٣٦ - عمرو بن شبر .
 - ٣٧ - الحسن بن سفيان .
 - ٣٨ - أبو عوانه .
- وهؤلاء الأربعة ذكر السيوطي في العرف الوردی كونهم ممن
خرج أحاديث المهدي ، دون عزو التخريج إلى كتاب معين .

الثالث : ذكر لبعض الذين ألفوا كتباً في شأن المهدي :

وكما اعتنى علماء هذه الأمة بجمع الأحاديث الواردة عن نبيهم ﷺ تأليفاً وشرحاً ، كان للأحاديث المتعلقة بأمر المهدي قسطها الكبير من هذه العناية ، فمنهم من أدرجها ضمن المؤلفات العامة كما في السنن والمسانيد وغيرها ، ومنهم من أفردوا بالتأليف ، وكل ذلك حصل منهم حماية لهذا الدين ، وقياماً بما يجب من النصح للمسلمين ، فمن الذين أفردوها بالتأليف :

١ - أبو بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب . قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : « ولقد توغل أبو بكر بن أبي خيثمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للأحاديث الواردة في المهدي » .

٢ - الحافظ أبو نعيم ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وذكره في العرف الوردی ، بل قد لخص السيوطي الأحاديث التي جمعها أبو نعيم في المهدي ، وجعلها ضمن كتابه العرف الوردی ، وزاد عليها فيه أحاديث وآثاراً كثيرة جداً .

٣ - السيوطي ، فقد جمع فيه جزءاً سماه العرف الوردی في أخبار المهدي ، وهو مطبوع ضمن كتابه الحاوي للفتاوي في الجزء الثاني منه . قال في أوله : « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي ، لخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم ، وزدت عليه ما فات ، ورمزت عليه صورة (ك) » .

والأحاديث والآثار التي أوردتها السيوطي في شأن المهدي تزيد على المئتين ، وفيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ، وإذا أورد الحديث الواحد أضافه إلى كل من الذين خرّجوه ، فيقول مثلاً في أحدها : « أخرج أبو داود وابن ماجه والطبراني والحاكم عن أم سلمة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المهدي من عترتي من ولد فاطمة » .

٤ - الحافظ عماد الدين بن كثير قال في كتابه الفتن والملامح :

«وقد أفردت في ذكر المهدي جزءاً على حدة ، ولله الحمد والمنة» .

٥ - الفقيه ابن حجر المكي ، وقد سمي مؤلفه القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ، ذكر ذلك البرزنجي في الإشاعة ، ونقل منه ، وكذلك السفاريني في لوامع الأنوار البهية ، وغيرهما .

٦ - علي المتقي الهندي صاحب كنز العمال ، فقد ألف في شأن المهدي رسالة ذكرها البرزنجي في الإشاعة ، وذكر ذلك قبله أيضاً ملا علي القاري الحنفي ، في المرقاة شرح المشكاة .

٧ - ملا علي القاري ، وسمى مؤلفه المشرب الوردي في مذهب المهدي ، ذكره في الإشاعة ، ونقل جملة كبيرة منه .

٨ - مرعي بن يوسف الحنبلي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ، وسمى مؤلفه فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر ، ذكره السفاريني في لوامع الأنوار البهية ، وذكره الشيخ صديق حسن القنوجي في كتابه الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ، وغيرها .

٩ - ومن الذين ألفوا في شأن المهدي ، بالاضافة إلى مسألتي نزول عيسى عليه السلام وخروج المسيح والدجال ، القاضي محمد بن علي الشوكاني ، وسمى مؤلفه التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح ، ذكر ذلك صديق حسن في الإذاعة ، ونقل جملة منه ، والشوكاني ممن ألف بشأنه ، وحكى تواتر الأحاديث الواردة فيه .

١٠ - الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام ، المتوفى سنة ١١٨٢ هـ . قال صديق حسن في الإذاعة : «وقد جمع السيد العلامة بدر الملة المنير ، محمد بن إسماعيل الأمير اليماني ، الأحاديث القاضية بخروج المهدي ، وأنه من آل محمد عليه السلام ، وأنه يظهر في آخر الزمان» ، ثم قال : «ولم يأت تعيين زمنه إلا أنه يخرج قبل خروج الدجال» .

الرابع : ذكر بعض الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي ونقل

كلامهم في ذلك :

١- الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الأبري السجزي صاحب كتاب مناقب الشافعي ، المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاثمئة من الهجرة . قال في محمد بن خالد الجندي راوي حديث : « لا مهدي إلا عيسى بن مريم » : « محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل ، وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه » .

نقل ذلك عنه ابن القيم في كتابه المنار ، وسكت عليه ، ونقله عنه أيضاً الحافظ بن حجر في تهذيب التهذيب ، في ترجمة محمد بن خالد الجندي ، وسكت عليه ، ونقل عنه ذلك وسكت عليه أيضاً فتح الباري ، في باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ونقل عنه ذلك أيضاً السيوطي في آخر جزء العرف الوردي في أخبار المهدي ، وسكت عليه ، ونقل ذلك عنه مرعي بن يوسف في كتابه فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر ، كما ذكر ذلك صديق حسن في كتابه الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة .

٢- محمد البرزنجي المتوفى سنة ثلاث بعد المئة والألف في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة . قال : « الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة ، وهي أيضاً كثيرة ، فمنها المهدي ، وهو أولها . واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر » إلى أن قال : « ثم الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة أنه من ولد فاطمة » إلى أن قال : « قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان ، وأنه من عترة رسول

اللَّهُ ﷻ من ولد فاطمة ، بلغت حد التواتر المعنوي ، فلا معنى لإنكارها».

وقال في ختام كتابه المذكور ، بعد الإشارة إلى بعض أمور تجري في آخر الزمان : «و غاية ما ثبت الأخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة ، التي بلغت التواتر المعنوي ، وجود الآيات العظام التي فيها بل أولها خروج المهدي ، وأنه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً» .

٣ - الشيخ محمد السفاريني المتوفى سنة ثمان وثمانين بعد المئة والألف ، في كتابه لوامع الأنوار البهية . قال : «وقد كثرت بخروجه (يعني المهدي) الروايات ، حتى بلغت حد التواتر المعنوي» وأورد الأحاديث في خروج المهدي ، وأسماء بعض الصحابة الذين رووها ، ثم قال : «وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة ، وعن التابعين من بعدهم ، ما يفيد مجموعه العلم القطعي ، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة» .

٤ - القاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة خمسين بعد المئتين والألف ، وهو صاحب التفسير المشهور ، ومؤلف نيل الأوطار. قال في كتابه التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح : «فالأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة ، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول ، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي ، فهي كثيرة جداً ، لها حكم الرفع ؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك» .

وقال في مسألة نزول المسيح ﷻ : «فتقرر أن الأحاديث الواردة

في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة ،
والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام متواترة» .

٥ - الشيخ صديق حسن القنوجي المتوفى سنة سبع بعد الثلاثمئة
والألف . قال في كتابه الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة :
«والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جداً ،
تبلغ حد التواتر المعنوي ، وهي في السنن وغيرها من دواوين
الإسلام من المعاجم والمسانيد» إلى أن قال : «لاشك أن المهدي يخرج
في آخر الزمان من غير تعيين شهر ولا عام ، لما تواتر من الأخبار
في الباب ، واتفق عليه جمهور الأمة خلفاً عن سلف ، إلا من لا يعتقد
بخلافه» إلى أن قال : «فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود
المنتظر ، المدلول عليه بالأدلة ، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة
النصوص المستفيضة المشهورة ، البالغة الى حد التواتر» .

٦ - الشيخ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة خمس وأربعين
بعد الثلاثمئة والألف . قال في كتابه نظم المتناثر في الحديث المتواتر :
«وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة
والاجماع» ثم قال : «والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي
المنتظر متواترة ، وكذا الواردة في الدجال ، وفي نزول سيدنا عيسى
ابن مريم عليه السلام» .

الخامس : ذكر بعض ما ورد في الصحيحين من الأحاديث مما له تعلق
بشأن المهدي :

١ - روي البخاري في باب نزول عيسى بن مريم عن أبي هريرة
قال : «قال رسول الله ﷺ : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ، وإمامكم
منكم؟» .

٢ - وروى مسلم في كتاب الايمان من صحيحه عن أبي هريرة

مثل حديثه عن البخاري ؛ ورواه أيضاً عن أبي هريرة بلفظ : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمكم منكم ؟» ، وفيه تفسير ابن أبي نئب راوي الحديث لقوله : «وامكم منكم» ، بقوله : «فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ» .

٣ - وروى مسلم في صحيحه عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول : «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة» .

فهذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين ، وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ المهدي ، تدل على صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت . وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح اسمه محمد ، ويقال له المهدي . والسنة يفسر بعضها بعضاً . ولما كان المقام لا يتسع لإيراد الكثير من الأحاديث الواردة في غير الصحيحين ، في شأن المهدي ، والكلام عليها ، رأيت الاختصار هنا على إيراد بعضها ، مع الكلام على بعض أسانيدها .

السادس : ذكر بعض الأحاديث في المهدي الواردة في غير الصحيحين :

١ - عن أبي سعيد الخدري قال : «قال رسول الله ﷺ : أبشركم بالمهدي . يبعث على اختلاف من الناس ، وزلازل ، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، يقسم المال صحاحاً . قال له رجل : ما صحاحاً ؟ قال : بالسوية ، ويملا الله قلوب أمة محمد ﷺ غناء ، ويسعهم عدله» ، إلى آخر الحديث .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : «رواه أحمد بأسانيد أبي يعلى

باختصار كثير» .

٢ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «يكون في أمتي المهدي» ،
إلى آخر الحديث .

قال الهيثمي : «رواه الطبراني في الأوسط ، رجاله ثقات» .

٣ - عقد أبو داود في سننه كتاباً ، قال في أوله : «أول كتاب المهدي» ، وقال في آخره : «آخر كتاب المهدي» ، وجعل تحته باباً واحداً أورد فيه ثلاثة عشر حديثاً ، وصدر هذا الكتاب بحديث جابر ابن سمرة قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة» الحديث .

قال السيوطي في آخر جزء من العرف الوردي في أخبار المهدي : «إن في ذلك إشارة إلى ما قاله العلماء : إن المهدي أحد الاثني عشر» .
٤ - روى أبو داود في سننه من طريق عاصم بن أبي النجود ، عن أبي زرعة عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ قال : «لوم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي» الحديث .

وهذا الحديث سكت عليه أبو داود والمنذري ، وكذا ابن القيم في تهذيب السنن وقد أشار إلى صحته في المنار المنيف ، وصححه ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ، وقد أورده في مصابيح السنة في فصل الحسان ، وقال عنه الألباني في تخريج أحاديث المشكاة : «وإسناده حسن» .

٥ - قال أبو داود في سننه : «حدثنا سهل بن تمام بن بديع ، حدثنا عمران القطان عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : المهدي مني أجلى الجبهة ، أقى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، ويملك سبع سنين» .

قال ابن القيم في المنار المنيف : «رواه أبو داود بإسناد جيد» ،

وأورده في مصابيح السنة في فصل الحسان ، وقال الألباني في تخريج أحاديث المشكاة : «وإسناده حسن» ، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير .

٦ - قال أبو داود في سننه : «حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي ، حدثنا أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المهدي من عترتي من ولد فاطمة» ، وأخرجه ابن ماجه عن سعيد بن المسيب قال : «كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي ، فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المهدي من ولد فاطمة» .

وقد أورد هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز لصحته ، وأورده في مصابيح السنن في فصل الحسان ، وقال الألباني في تخريج أحاديث المشكاة : «وإسناده جيد» .

السابع : ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي واعتقدوا

موجبها ، وحكاية كلامهم في ذلك :

قال الحافظ أبو جعفر العقيلي المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة : «إن في المهدي أحاديث جيادا» . قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، في ترجمة علي بن نفيل بن زارع النهدي : «قلت : ذكره العقيلي في كتابه ، وقال : لا يتابع على حديثه في المهدي ، ولا يعرف إلا به» . قال : «وفي المهدي أحاديث جياد من غير هذا الوجه» . ويرى الإمام ابن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ أن الأحاديث الواردة في المهدي مخصصة لحديث : «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه» .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، في الكلام على الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن : «إن رسول الله ﷺ قال :

(*) هكذا، والصحيح أن يقول: على أن الحديث، الخ. «التحرير».

لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم» . قال : «واستدل ابن حبان في صحيحه بأن الحديث (*) ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي ، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً» .

وقال الإمام البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، بعد كلامه على تضعيف «لامهدي إلا عيسى ابن مريم» قال : «والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح البتة إسناداً» .

نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، في ترجمة محمد بن خالد الجندي ، راوي حديث «لامهدي إلا عيسى ابن مريم» ، ونقله عنه أيضاً ابن القيم في المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف .

وقال الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، في كتابه التذكرة في أمور الآخرة ، بعد ذكر حديث «ولامهدي إلا عيسى ابن مريم» قال : «إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث ، فالحكم بها دونه» ، وقال : «يحتمل أن يكون قوله ﷺ : ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم ، أي لا مهدي كاملاً إلا عيسى» . قال : «وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض» .

نقل ذلك عنه السيوطي في آخر جزء من العرف الوردی في أخبار المهدي .

وقال ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ في كتابه منهاج السنة النبوية (٢١١:٤) ، في التعليق على الحديث الذي رواه ابن عمر عن النبي ﷺ : «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي ، وكنيته كنييتي ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وذلك هو المهدي» : «إن الأحاديث

التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة ، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره ، كقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة ، وفيه : المهدي من عترتي من ولد فاطمة ، ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد ، وفيه : يملك الأرض سبع سنين ، ورواه عن علي ﷺ أنه نظر إلى الحسن وقال : إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ، يملأ الأرض قسطاً . وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف ، طائفة أنكروها ، واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي ﷺ قال : لا مهدي إلا عيسى ابن مريم ، وهذا الحديث ضعيف ، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه ، وليس مما يعتمد عليه ، ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي ، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندي ، وهو ممن لا يحتج به ، وليس في مسند الشافعي ، وقد قيل : إن الشافعي لم يسمعه من الجندي ، وإن يونس لم يسمعه من الشافعي ، وطائفة قالت : جده الحسين ، وكنيته أبو عبد الله ، فمعناه محمد بن أبي عبد الله ، وجعلت الكنية اسماً ، وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سماه غاية السؤل في مناقب الرسول .

وقد عقد ابن القيم في آخر كتابه المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف ، فصلاً في الكلام على أحاديث المهدي وخروجه ، والجمع بينها وبين حديث : «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم» ، قال فيه : «فأما حديث : لا مهدي إلا عيسى ابن مريم ، فرواه ابن ماجه في سننه عن يوسف بن عبد الأعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي

عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ ، وهو مما تفرد به محمد بن خالد . قال أبو الحسن محمد بن الحسين الابري في كتاب مناقب الشافعي : محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل . وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه ، وقال البيهقي : تفرد به محمد بن خالد هذا ، وقد قال الحاكم أبو عبد الله : هو مجهول ، وقد اختلف عليه في إسناده ، فروي عنه عن أبان بن أبي عياش عن الحسن مرسلاً عن النبي ﷺ . قال : فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد ، وهو مجهول ، عن أبان بن أبي عياش ، وهو متروك ، والأحاديث على خروج المهدي أصح إسناداً . قال ابن القيم : « قلت : كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجل مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . قال (يعني الترمذي) : وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة ، ثم روى حديث أبي هريرة وقال : حسن صحيح » .

ثم قال ابن القيم : « وفي الباب عن حذيفة بن اليمان وأبي أمامة الباهلي وعبد الرحمان بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص وثوبان وأنس بن مالك وجابر وابن عباس وغيرهم » ، ثم أورد عدة أحاديث رواها بنص أهل السنن والمسانيد وغيرها ، منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو ضعيف أورده للاستئناس به .

ثم قال : « وهذه الأحاديث أربعة أقسام : صحاح ، وحسان ، وغرائب ، وموضوعة ، وقد اختلف الناس في المهدي عن أربعة أقوال ،

أحدها أنه المسيح ابن مريم .

واحتج أصحاب هذا القول بحديث محمد بن خالد الجندي المتقدم ، وقد بينا حاله ، وأنه لا يصح ، ولو صح لم يكن به حجة ؛ لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله ﷺ وبين الساعة ، وقد دلت السنة الصحيحة عن النبي ﷺ على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وحكمه بكتاب الله ، وقتله اليهود والنصارى ، ووضعه الجزية ، وإهلاك أهل الملل في زمانه ، فيصح أن يقال لا مهدي في الحقيقة سواه ، وإن كان غيره مهدياً ، كما يقال لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا ما وقى وجه صاحبه ، وكما يصح أن يقال إنما المهدي عيسى ابن مريم ، يعني المهدي الكامل المعصوم .

القول الثاني : أنه المهدي الذي ولي من بني العباس ، وقد انتهى زمانه .

ثم ذكر حديثين منهما ذكر مجيء الرايات السود من قبل المشرق من جهة خراسان ، وأشار إلى ضعفهما ، ثم قال مشيراً إلى أولها وثانيها : « هذا والذي قبله لو صح لم يكن فيه دليل على (*) المهدي الذي تولى من بني العباس هو المهدي الذي يخرج من آخر الزمان ، بل هو مهدي من جملة المهديين ، وعمر بن عبد العزيز كان مهدياً » . ثم قال : « القول الثالث أنه رجل من أهل بيت النبي ﷺ يخرج في آخر الزمان ، وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً ، وأكثر الأحاديث على هذا تدل » .

ثم أورد بعض الأحاديث في خروج المهدي ، ثم قال : « وأما الإمامية فلهم قول رابع ، وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر ، من ولد الحسين بن علي ، لا من ولد الحسن ، الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار » .

وقال أبو الحسن السموهدي المتوفى سنة ٩١١ هـ : « ويتحصل مما

(*) هكذا ، والصحيح أن تكون العبارة : ... لو صحاً لم يكن فيهما دليل على أن المهدي الخ .
«التحرير»

ثبت في الأخبار عنه (أي المهدي) أنه من ولد فاطمة ، في أبي داود أنه من ولد الحسن ، والسرفيه ترك الحسن الخلافة لله شفقة على الأمة ، فجعل القائم بالخلافة - الحق - عند شدة الحاجة وامتلاء الأرض ظلماً من ولده ، وهذه سنة الله في عباده أنه يعطي لمن ترك شيئاً من أجله أفضل مما ترك أو ذريته ، وقد بالغ الحسن في ترك الخلافة . انتهى بواسطة نقل المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي . وقال ابن حجر المكي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ في كتابه القول المختصر في علامات المهدي المنتظر : «الذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر ، الذي يخرج الدجال وعيسى خلفه ، وأنه المراد حيث أطلق المهدي» . انتهى بواسطة نقل البرزنجي في الإشاعة لأشراط الساعة .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمته الله ، في كتاب الفتن والملاحم تحت عنوان في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان : «وهو أحد الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين» .

وقال الترمذي : «حدثنا محمد جعفر حدثنا شعبة سمعت زيدا العمى سمعت الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري قال : خشينا أن يكون بعد نبينا حدث ، فسألنا نبي الله ﷺ فقال : إن في امتي المهدي ، يخرج فيعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً (زيد الشاك) . قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : سنين . قال : يجيء إليه الرجل فيقول : يا مهدي أعطني . قال : فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمله . هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ . وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ، ويقال بكر بن قيس ، وهذا دليل على أن أكثر مدته تسع ، وأقلها خمس أو سبع ، ولعله هو الخليفة الذي يحني المال حثياً . والله أعلم . وفي زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزرع غزيرة ، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في

أيامه دائم» .

قال الإمام أحمد : «حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود ، وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمان ، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ قال عبد الله : ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألتنا رسول الله فقال : اثنا عشر كعده نقيب بني إسرائيل» .

وأصل الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال : «سمعت النبي ﷺ يقول : لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي ، فسألت أبي ماذا قال النبي ﷺ قال : كلهم من قريش» وهذا لفظ مسلم ، ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم .

وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي صاحب فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ ، في كتابه المذكور : «وأخبار المهدي كثيرة شهيرة ، أفردنا غير واحد في التأليف» إلى أن قال : «أخبار المهدي لا يعارضها خبر : لا مهدي إلا عيسى ابن مريم ؛ لأن المراد به ، كما قال القرطبي ، لا مهدي كاملاً إلا عيسى ابن مريم» .

وقال المناوي عند حديث : « لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى بن مريم في آخرها ، والمهدي في وسطها» «أراد بالوسط ما قبل الآخر ، لأن نزوله ﷺ لقتل الدجال يكون في زمن المهدي ، ويصلي عيسى خلفه ، كما جاءت به الأخبار ، وجزم به جمع من الأخيار» وذكر عند حديث : «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه» أنه بعد نزوله يجيء فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة ، فيتأخر ليتقدم ، فيقدمه عيسى ﷺ ويصلي خلفه . قال : «فأعظم به فضلاً وشفراً لهذه الأمة» ثم قال : «ولا ينافي ما ذكر في هذا الحديث ما اقتضاه بعض الآثار ، من أن

عيسى هو الإمام المهدي ، وجزم به السعد التفتازاني ، وعاله بأفضليته ؛ لإمكان الجمع بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولاً ليظهر أنه نزل تابعاً لنبينا حاكماً بشرعه ، ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضل بالفاضل .

وقال الشيخ محمد السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، الذي شرح فيه نظمه في العقيدة المسمى «الدرة المغنية في عقد الفرقة المرضية» :

وما أتى بالنص من أشراط فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم النصيح محمد المهدي والمسيح

«منها أي من أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار ، وتواترت في مضمونها الآثار ، أي من العلامات العظمى ، وهي أولها أن يظهر الإمام المقتدى بأقواله وأفعاله ، الخاتم للأئمة فلا امام بعده ، كما أن النبي ﷺ هو الخاتم للنبوّة والرسالة ، فلا نبي ولا رسول بعد الفصيح اللسان ، لأنه من صحيح العرب أهل الفصاحة والبلاغة» .

ثم قال : «وقوله : محمد المهدي ، هذا اسمه وأشهر أوصافه ، فأما اسمه فمحمد ، جاء ذلك في عدة أخبار ، وفي بعضها أن اسمه محمد ، واسم أبيه عبد الله ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي . رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ، ولفظه أن النبي ﷺ قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهلي بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود ؓ .

وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضاً : لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً

كما ملئت جوراً وظلماً ... أخرجه الطبراني في معجمه الصغير ، وأخرجه الترمذي ، ولفظه : حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وكذلك أخرجه أبو داود في سننه ، وروى ابن مسعود أيضاً رفعه : اسم المهدي محمد ، وفي مرفوع حذيفة : محمد بن عبد الله ، ويكنى أبا عبد الله ، ومن أسمائه احمد بن عبد الله ، كما في بعض الروايات . إلى أن قال : «وأما تسميته ووصفه بالمهدي ، فقد ثبتت له هذه الصفة في عدة أخبار» . إلى أن قال : «وأما كنيته فأبو عبد الله ، وأما نسبه فإنه من أهل بيت رسول الله ﷺ» .

ثم إن الروايات الكثيرة والأخبار الغزيرة ناطقة أنه من ولد فاطمة البتول ابنة النبي الرسول ﷺ ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين ، وجاء في بعض الأحاديث أنه من ولد العباس ، والأول أصح . قال ابن حجر في كتابه القول المختصر : وأما ما روي : إن المهدي من ولد العباس عمي ، فقال الدارقطني : حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم . قال : ولا ينافيه خبر الرافي عن ابن عباس مرفوعاً : ألا ابشرك يا عم أن ذريتك الأصفياء ، ومن عترتك الخلفاء ، ومنك المهدي في آخر الزمان ، به ينشر الله الهدى ، ويطفى نيران الضلالة . إن الله فتح بنا هذا الأمر ، وبذريتك يختم . ثم أورد ابن حجر عدة أخبار في هذا المعنى ، ثم قال : فهذه الأخبار كلها لا تنافي أن المهدي من ذرية رسول الله ﷺ من ولد فاطمة الزهراء ؛ لأن الأحاديث التي فيها أن المهدي من ولدها أكثر وأصح ، بل قال بعض حفاظ الأمة وأعيان الائمة ، أن كون المهدي من ذريته ﷺ مما تواتر عنه ذلك ، فلا يسوغ العدول ولا الالتفات إلى غيره» .

ثم ذكر الشيخ السفاريني رحمه الله خمس فوائد ، تكلم على كل واحدة منها ، الأولى في حليته وصفته ، والثانية في سيرته ، والثالثة في علامات ظهوره ، والرابعة في الإشارة إلى بعض الفتن الواقعة قبل

خروجه ، والخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك ، ثم قال بعد الانتهاء من الكلام على الفوائد الخمس : «قد كثرت الأقوال في المهدي ، حتى قيل لا مهدي إلا عيسى ، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى ، وأنه يخرج قبل نزول عيسى ﷺ ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي ، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُذ من معتقداتهم» ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث في خروج المهدي ، وأسماء بعض الصحابة الذين رووها ، ثم قال : «وقد روي عما(*) ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم روايات متعددة ، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي ، فالإيمان بخروج المهدي واجب ، كما هو مقرر عند أهل العلم ، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة» .

(*) هكذا ، والصحيح: عن.
«التحرير»

وقال الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي المتوفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة ألف ، في كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان : «وبعد انقراض قرن الصحابة أتى أمته ما يوعدون من الحوادث والبدع ، وكلما أحدث بدعة رفع مثلها من السنة ، ولكن في قرن التابعين وأتباع التابعين لم تظهر البدع ظهوراً فاشياً ، وأما بعد قرن أتباع التابعين فقد تغيرت الأحوال تغيراً فاحشاً ، وغلبت البدع ، وصارت السنة غريبة ، واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة ، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة إلا ما استثنى من زمان المهدي ﷺ ، وعيسى ﷺ إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس» .

وقال الشيخ شمس الحق العظيم آبادي المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ في حاشيته المسماة عون المعبود على سنن أبي داود : «وخرَج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة ، منهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزاز والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي ، وأسندوها إلى

جماعة من الصحابة ، مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث ابن جزء ، وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف .

وقال الشيخ محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ في كتابه عقيدة الاسلام : «أخرج مسلم في نزول عيسى عليه السلام عن جابر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم : تعال صلّ لنا ، فيقول لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة . قال الكشميري : «المراد به أنه لا يؤم في تلك الصلاة ، حتى لا يتوهم أن الأمة المحمدية سلبت الولاية» .

هذه بعض الكلمات التي وقفت عليها لبعض أهل السنة والأثر في شأن المهدي ، والاحتجاج بالأحاديث الواردة فيه ، وأعني بأهل السنة والأثر أهل الحديث ومن سار على منوالهم ، ممن جعل مستنده في الاعتقاد كتاب الله وما ثبت عن رسوله ﷺ ، دون الاعتراض على ذلك بخيال يسميه صاحبه معقولا .

الثامن : ذكر من وقفت عليه ممن حكي عنه إنكار أحاديث المهدي

أو التردد في شأنه ، مع مناقشة كلامه باختصار :

فإن قال قائل : قد أكثر من النقل عن أهل العلم في إثبات خروج المهدي في آخر الزمان ، فلماذا ؟ وهل وقفت على ذكر إنكار أحد لخروج المهدي ، أو التردد في شأنه على الأقل ؟ .

والجواب عن السؤال الأول هو أنني أوردت بعض ما وقفت عليه من كلام أهل العلم ، بشأن خروج المهدي في آخر الزمان ، لتزداد

ثباتاً و يقيناً بأن اعتقاد خروجه آخر الزمان هو الجادة المسلوكة ، ولتعلم أنه الحق الذي لا يسوغ العدول عنه والالتفات إلى غيره ، وعمدة اهل العلم في ذلك الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ فيه ، إذ لا مجال للرأي في مثل هذا الأمر ، بل سبيله الوحيد هو الوحي ؛ لأنه من الأمور الغيبية .

أما الجواب عن السؤال الثاني ، فهو أنني لم أقف على تسمية أحد في الماضين أنكر أحاديث المهدي ، أو تردد فيها ، سوى رجلين اثنين . أما أحدهما فهو أبو محمد بن الوليد البغدادي ، الذي ذكره ابن تيمية في منهاج السنة ، وقد مضى حكاية كلام ابن تيمية عنه ، وأنه قد اعتمد على حديث « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » وقال ابن تيمية : « وليس مما يعتمد عليه لضعفه » . وسبق في أثناء الكلام الذين نقلت عنهم أنه لو صح هذا الحديث لكان الجمع بينه وبين أحاديث المهدي ممكناً . ولم أقف على ترجمة لأبي محمد المذكور .

وأما الثاني فهو عبد الرحمان بن خلدون المغربي المؤرخ المشهور ، وهو الذي اشتهر بين الناس عنه تضعيفه لاحاديث المهدي . وقد رجعت إلى كلامه في مقدمة تأريخه ، فظهر لي منه التردد لا الجزم بالإنكار . وعلى كل حال فإنكارها أو التردد في التصديق بما دلت عليه شذوذ عن الحق ، ونكوب عن الجادة المطروقة . وقد تعقبه الشيخ صديق حسن في كتابه الإذاعة حيث قال : « لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر ولا عام ، لما تواتر من الأخبار في الباب ، واتفق عليه جمهور الأمة خلفاً عن سلف ، إلا من لا يعتد بخلافه » وقال : « لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود ، والمنتظر المدلول عليه بالأدلة ، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة ، البالغة إلى حد التواتر » .

ولي ملاحظات على كلام ابن خلدون أرى أن أشير إليها هنا :
 الأولى : أنه لو حصل التردد في أمر المهدي من رجل له خبرة
 بالحديث ، لاعتبر ذلك زللاً منه ، فكيف إذا كان من الأخباريين الذين
 هم ليسوا من أهل الاختصاص ؟ وقد احسن الشيخ أحمد شاكر في
 تخريجه لأحاديث المسند حيث قال : «أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس
 له به علم ، واقتحم قحماً لم يكن من رجالها» وقال : «إنه تهافت في
 الفصل الذي عقده في مقدمته للمهدي تهافتاً عجيباً ، وغلط أغلاًطاً
 واضحة» وقال : «إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين : الجرح
 مقدم على التعديل ، ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً
 مما قال» .

الثانية : صدر ابن خلدون الفصل الذي عقده في مقدمته للمهدي
 بقوله : «اعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر
 الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد
 الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويستولي على الممالك
 الإسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من
 أشرار الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، وأن عيسى ينزل من
 بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل معه فيساعده على قتله ، ويأتى بالمهدي
 في صلاته ، ويحتجون في هذا الشأن بأحاديث خرّجها الأئمة ، وتكلم
 فيها المنكرون لذلك ، وربما عارضوها ببعض الأخبار» .

أقول : هذه الشهادة التي شهد بها ابن خلدون ، وهي أن اعتقاد
 خروج المهدي هو المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر
 الأعصار ، ألا يسعه في ذلك ما وسع الناس على ممر الأعصار ؟ كما
 ذكر ابن خلدون نفسه ، وهل ذلك إلا شذوذ بعد معرفة أن الكافة على
 خلافه ؟ وهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ ؟ والأمر ليس اجتهدياً ،
 وإنما هو غيبي لا يسوغ لأحد إثباته إلا بدليل من كتاب الله أو سنة

نبيه ﷺ ، والدليل معهم وهم أهل الاختصاص .

الثالثة : أنه قال قبل إيراد الأحاديث : «ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن» وقال في نهايتها : «فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه في آخر الزمان» وقال في موضع آخر بعد ذلك : «وما أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا» .

وأقول : إنه قد فاته الشيء الكثير ، يتضح ذلك بالرجوع إلى ما أثبتته السيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي عن الأئمة ، بل إن مما فاته الحديث الذي ذكره ابن القيم في المنار المنيف عن الحارث بن أبي أسامة ، وقال : «إسناده جيد» ، وتقدم ذكره بسنده وحاصل ما قيل في رجاله .

الرابعة : أن ابن خلدون نفسه قد اعترف بسلامة بعض أحاديث المهدي من النقد ، حيث قال بعد إيراد الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان : «وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل» .

وأقول : إن القليل الذي يسلم من النقد يكفي للاحتجاج به ، ويكون الكثير الذي لم يسلم عاضداً له ومقوياً ، على أنه قد سلم الشيء الكثير كما تقدم ذلك في حكاية كلام القاضي محمد بن علي الشوكاني ، الذي حكى تواترها وقال : «إن فيها خمسين حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر» ثم إنه في آخر البحث ذكر ما يفيد ترده في أمر المهدي ، وذلك يفيد عدم ثبات رأيه ، لكونه تكلم فيه بما ليس باختصاصه .

هذه بعض الملاحظات على كلام ابن خلدون في شأن المهدي ، وسأستوفي الكلام فيها مع ملاحظات أخرى عليه ، في الرسالة التي أنا بصدد تأليفها في هذا الموضوع ، إن شاء الله تعالى .

التاسع : ذكر بعض ما قد يظن تعارضه مع الأحاديث الواردة في المهدي ، مع الجواب عن ذلك :

١ - تقدم في أثناء كلام الأئمة الذين حكيت كلامهم ، أن حديث « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » لا يتعارض مع الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ؛ لضعفه ، ولإمكان الجمع بينها لو صح ، بأن يكون معناه لا مهدي كاملاً إلا عيسى ابن مريم عليه السلام ، وذلك ينفي أن يكون غيره مهدياً ، كالمهدي الذي دلت عليه الأحاديث .

٢ - إن ما دلت عليه أحاديث المهدي من قيامه بنصرة الدين ، وامتلاء الأرض في زمانه من العدل ، لا ينافيه وجود الدجال وأتباعه في زمانه ، ومعاداتهم للمسلمين ، وكذا الأدلة الدالة على بقاء الأشرار مع الأخيار ، حتى تخرج الريح اللينة التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ، ولا يبقى بعد ذلك إلا شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة ؛ لأن المراد مما جاء في أحاديث المهدي كثرة الخير ، وقوة أهل الإسلام ، وحصول الغلبة لهم ، وقهرهم لغيرهم ، وهذا لا ينفي وجود أشرار مغمورين في زمانه ، كما أننا نعتقد أن الرسول ﷺ وخلفاءه قد ملؤوا الأرض عدلاً ، وكان مع ذلك في الأرض في زمانهم من أعدائهم الكثير ﴿ قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ .

٣ - إن ما دلت عليه أحاديث المهدي من امتلاء الأرض ظلماً وجوراً قبل خروجه لا يدل على خلو الأرض من أهل الخير قبل زمانه ، فالرسول ﷺ أخبر في أحاديث صحيحة بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله ، ومنها الحديث الذي رواه مسلم عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة ، وهذه الأحاديث وأحاديث المهدي تدل على أن الحق مستمر لا ينقطع ، لكنه

في بعض الأزمان تكون لأهله الغلبة ويحصل له الانتشار ، كما في زمن الرسول ﷺ ، وكما في زمن المهدي وعيسى ابن مريم ، وفي بعض الأزمان يضعف أهل الحق ويتضاءل انتشاره . أما أن الحق يتلاشى ويضمحل ، فهذا ما لم يكن فيما مضى منذ زمن الرسول ﷺ ، ولا يكون في المستقبل حتى خروج الريح التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ، كما أخبر بذلك الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه ، فما من زمن في الماضي إلا وقد هبأ الله لهذا الدين من يقوم به ، وفي هذا الزمن الذي تكالب أعداء الإسلام عليه ، وغزي بابائنا المنتسبين إليه أعظم من غزوه بأعدائه ، لم تخل الأرض من إقامة شعائر الدين الإسلامي .

العاشر : كلمة ختامية :

إن أحاديث المهدي الكثيرة ، التي أَلَفَ فيها مؤلفون ، وحكى تواترها جماعة ، واعتقد موجبها أهل السنة والجماعة وغيرهم ، تدل على حقيقة ثابتة بلا شك ، وأن أحاديث المهدي على كثرتها وتعدد طرقها ، وإثباتها في دواوين أهل السنة ، يصعب كثيراً القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها ، إلا على جاهل أو مكابر ، أو من لم يمعن النظر في طرقها وأسانيدها ، ولم يقف على كلام أهل العلم المعتمد بهم فيها . والتصديق بها داخل في الإيمان بأن محمداً هو رسول الله ﷺ ؛ لأن من الإيمان به ﷺ تصديقه فيما أخبر به ، وداخل في الإيمان بالغيب الذي امتدح الله المؤمنين به بقوله : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِيمَانُ بِهِ هَدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يؤمنون بالغيب ، وداخل في الإيمان بالقدر ؛ فإن سبيل علم الخلق بما قدره الله أمران :

أحدهما : وقوع الشيء ، فكل ما كان ووقع علمنا أن الله قد شاءه ، لأنه لا يكون ولا يقع إلا ما شاءه الله ، وما شاء الله كان وما لم يشأ

لم يكن .

الثاني : الإخبار بالشئ الماضي الذي وقع ، وبالشئ المستقبل قبل وقوعه من الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، فكل ما ثبت إخباره به من الأخبار في الماضي ، علمنا بأنه كان على وفق خبره ﷺ ، وكل ما ثبت إخباره عنه مما يقع في المستقبل ، نعلم بأن الله قد شاءه ، وأنه لا بد أن يقع على وفق خبره ﷺ . كإخباره ﷺ بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، وإخباره بخروج المهدي ، وبخروج الدجال ، وغير ذلك من الأخبار ، فإنكار أحاديث المهدي أو التردد في شأنه أمر خطير . نسأل الله السلامة والعافية والثبات على الحق حتى الممات .

قال الإمام علي بن الحسين (ع) :

مِنْ ثَبِتَ عَلَى وَلَا يَتَنَا فِي غَيْبَةٍ
قَائِمًا أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ الْفِ
شَهِيدٍ مِثْلَ شَهِدَاءِ بَدْرٍ وَاحِدٍ *

البحار - ٥٩ : ١٢٥

تحرير وتعليق

التحرير

(*) سبق منا نشر قرارات وتوصيات الدورة العاشرة لمجمع الفقه الاسلامي المنعقدة في جدة بتاريخ ٢٢/ صفر/ ١٤١٨ هـ ، مع بيان مسوارد الخلاف ورأي مدرسة أهل البيت (عليه السلام) فيها، ونظراً لاستحسان ذلك من العديد من علماء وفضلاء مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، وبناءً على طلبهم، قررنا مواصلة نشر ما سبق وما يلحق من قرارات وتوصيات دورات مجمع الفقه الاسلامي، مع التعليق المشار اليه اعلاه . والله المسدد للصواب.

«التحرير»

قرارات وتوصيات الدورة الثانية لمجمع الفقه الاسلامي في جدة

يعقد مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي جلساته بشكل دوري، ويحضره علماء المسلمين من أكثر من خمسين دولة اسلامية بصفة عضو رسمي، أو خبير متخصص أو مشارك، ويرأس وفد الجمهورية الاسلامية الايرانية ممثلها الدائم في مجمع الفقه الاسلامي سماحة الشيخ محمد علي التسخيري، الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، ورئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، ولأن القرارات والتوصيات التي يصدرها مجلس مجمع الفقه الاسلامي لا يطابق بعضها الرأي الفقهي لمدرسة أهل البيت (عليه السلام)، نقوم بنشرها (*) تبعاً مع ذكر موارد الخلاف ورأي فقهاء مدرسة أهل البيت (عليه السلام) فيها، وفي هذا العدد ننشر قرارات وتوصيات الدورة الثانية المنعقدة في جدة بتاريخ ١٠ - ١٦/ ربيع الثاني/ ١٤٠٩ هـ.

«التحرير»

عقد مجلس مجمع الفقه الاسلامي المنبثق عن منظمة



المؤتمر الاسلامي، دورته الثانية بجدة من ١٠ - ١٦ ربيع

الثاني ١٤٠٦ هـ، ٢٢ - ٢٨ ديسمبر ١٩٨٥ م، وأصدر قراراته

وتوصياته التالية :

قرار رقم ١

بشأن زكاة الديون

بعد أن نظر في الدراسات المعروضة حول زكاة الديون،

وبعد المناقشة المستفيضة التي تناولت الموضوع من جوانبه المختلفة تبين :

١ - أنه لم يرد نص من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ يُفَصِّل زكاة الديون .

٢ - أنه قد تعدد ما أثر عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم من وجهات نظر في طريقة إخراج زكاة الديون .

٣ - أنه قد اختلفت المذاهب الإسلامية بناءً على ذلك اختلافاً بيناً .

٤ - أن الخلاف قد انبنى على الاختلاف في قاعدة هل يُعطى المال الممكن الحصول عليه صفة الحاصل ؟ .

وبناء على ذلك قرر :

١ - أنه تجب زكاة الدين على رب الدين عن كل سنة ، إذا كان المدين مليئاً باذلاً^(١) .

٢ - أنه تجب الزكاة على رب الدين بعد دوران الحول من يوم القبض ، إذا كان المدين معسراً أو مماطلاً^(٢) .

قرار رقم (٢)

بشأن زكاة العقارات والأراضي المأجورة غير الزراعية

بعد أن استمع المجمع لما أعد من دراسات في موضوع زكاة العقارات والأراضي المأجورة غير الزراعية ، وبعد أن ناقش الموضوع مناقشة وافية ومعقدة ، تبين :

١ - أنه لم يؤثر نص واضح يوجب الزكاة في العقارات والأراضي المأجورة .

٢ - أنه لم يؤثر نص كذلك يوجب الزكاة الفورية في غلة العقارات والأراضي المأجورة غير الزراعية .

ولذلك قرر :

١ - أن الزكاة غير واجبة في أصول العقارات والأراضي المأجورة .

(١) لاتجب الزكاة إلا في الأنعام الثلاثة، الإبل والبقر والغنم، والغلات الأربع، الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وفي النقدين الذهب والفضة، ولاتجب في غيرها، ولو اقترض الشخص نصاباً من الأعيان الزكوية المذكورة، وبقي عنده سنة، وجبت الزكاة على المقرض بعد قبضه، وليس على المقرض والدائن شيء قبل أن يستوفي طلبه. (راجع تحرير الوسيلة ١: ٢١٣، ومنهاج الصالحين، المسألة ١٠٩١) .

(٢) راجع التعليقة (١) .

٢- أن الزكاة تجب في الغلة وهي ربع العشر بعد دوران الحول من يوم القبض ، مع اعتبار توافر شروط الزكاة ، وانتفاء الموانع (٣) .

قرار رقم (٣)

بشأن أجوبة استفسارات المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن

ألف المجمع لجنة من أعضائه للنظر في الأسئلة الواردة من المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن .

وبعد التأمل فيما قدم في الأمر من إجابات تبين منها :

١- أن الإجابات قد صيغت بطريقة مختصرة جداً لا يحصل معها الاقتناع وقطع دابر الخلاف أو الرفض .

٢- أنه لا بد من قيام المجمع بإزالة الاشكالات الحاصلة لإخواننا المسلمين في الغرب .

ولذا قرر :

١- تكليف الأمانة العامة بإحالة هذه الأسئلة على من تراه من الأعضاء أو الخبراء ، لاعداد إجابات معللة عن تلكم الأسئلة مستندة الى الأدلة الشرعية ، وأقوال من تقدم من فقهاء المسلمين وإبرازها في صورة مقنعة بيّنة .

٢- تكليف الأمانة العامة برفع ما تحصل عليه إلى الدورة الثالثة .

قرار رقم (٤)

بشأن القاديانية

بعد أن نظر المجمع في الاستفتاء المعروض عليه من مجلس الفقه الاسلامي في كيببتاون بجنوب افريقيا ، بشأن الحكم في كل من القاديانية والفئة المتفرعة عنها التي تدعى اللاهورية ، هل يعدّ أتباعهما من جملة المسلمين أم هم خارجون عن عدادهم ؟ وبشأن صلاحية

(٣) تجب الزكاة في غلة العقارات والأراضي إذا كانت من الغلات الأربعة، فيما لو بلغت النصاب، ولا تجب في الغلة غير الزراعية. (راجع تحرير الوسيلة ١: ٣١٥).

غير المسلم للنظر في مثل هذه القضية .

وفي ضوء ما قدم لأعضاء المجمع من أبحاث ومستندات في هذا الموضوع عن ميرزا غلام أحمد القادياني ، الذي ظهر في الهند في القرن الماضي ، وإليه تنسب نحلة القاديانية واللاهورية .

وبعد التأمل فيما ذكر من معلومات عن هاتين النحلتين ، وبعد التأكد من أن ميرزا غلام أحمد قد ادعى أنه نبي مرسل يوحى إليه ، وثبت عنه هذا في مؤلفاته التي ادعى أن بعضها وحي أنزل عليه ، وظل طيلة حياته ينشر هذه الدعوى ، ويطلب إلى الناس في كتبه وأقواله الاعتقاد بنبوته ورسالته ، كما ثبت عنه إنكار كثير مما علم من الدين بالضرورة كالجهاد .

وبعد أن اطلع المجمع أيضاً على ما صدر عن المجمع الفقهي بمكة المكرمة في الموضوع نفسه ، قرر ما يلي :

١ - أن ما ادعاه ميرزا غلام أحمد من النبوة والرسالة ونزول الوحي عليه ، هو إنكار صريح لما ثبت من الدين بالضرورة ثبوتاً قطعياً يقينياً ، من ختم الرسالة والنبوة بسيدنا محمد ﷺ ، وأنه لا ينزل وحي على أحد بعده . وهذه الدعوى من ميرزا غلام أحمد تجعله وسائر من يوافقونه عليها مرتدين خارجين عن الاسلام ، وأما اللاهورية فإنهم كالقاديانية في الحكم عليهم بالردة ، بالرغم من وصفهم ميرزا غلام أحمد بأنه ظل وبروز لنبينا محمد ﷺ .

٢ - ليس لمحكمة غير اسلامية ، أو قاض غير مسلم ، أن يصدر الحكم بالاسلام أو الردة ، ولا سيما فيما يخالف ما أجمعت عليه الأمة الاسلامية من خلال مجامعها وعلمائها ، وذلك لأن الحكم بالاسلام أو الردة ، لا يقبل إلا إذا صدر عن مسلم عالم بكل ما يتحقق به الدخول في الاسلام ، أو الخروج منه بالردة ، ومدرَك لحقيقة الاسلام أو الكفر ، ومحيط بما ثبت في الكتاب والسنة والاجماع ؛ فالحكم مثل هذه المحكمة باطل (٤) .

(٤) من ادعى النبوة خرج عن الاسلام ووجب قتله ، ودمه مباح لمن سمعه إلا مع الخوف أو كانت دعواه غير جدية ، والكافر يشمل من انتحل غير الاسلام ديناً ، والمرتد هو من كان مسلماً وخرج عن الاسلام ، سواء كان فطرياً أو ملتزماً ، ومن انتحل الاسلام ولكنه جحد ما يُعلم من الدين ضرورة ، بحيث يرجع جحوده لإنكار الرسالة وتكذيب النبي ﷺ ، أو تنقيص شريعته المطهرة ، أو صدر منه ما يقتضي كفره من قول أو فعل ، ويثبت الارتداد بشهادة عدلين أو بالإقرار . (راجع تحرير الوسيلة ٤: ٧٧٢ ، ٤٩٤) .

قرار رقم (٥)

بشأن أطفال الأنابيب

استعرض المجمع البحوث المقدمة من السادة الفقهاء والأطباء الذين عرضوا موضوع أطفال الأنابيب من جانيه الفقهي والفني الطبي، وناقش ما قدم من دراسات وافية ، وما أثير من جوانب مختلفة لاستيضاح الموضوع .

ولما تبين له أن الموضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسة طبياً وفقهياً ، وإلى مراجعة الدراسات والبحوث السابقة ، واستيفاء التصور من جميع جوانبه ، قرر :

- ١ - تأجيل البت في هذا الموضوع إلى الدورة القادمة للمجمع .
- ٢ - يعهد لفضيلة الشيخ الدكتور بكر أبو زيد (رئيس المجمع) بإعداد دراسة وافية في الموضوع تلم بكل المعطيات الفقهية والطبية .
- ٣ - توجيه الأمانة ما يصل إلى جميع الأعضاء قبل انعقاد الدورة القادمة بثلاثة أشهر على الأقل .

قرار رقم (٦)

بشأن بنوك الحليب

بعد أن عرض على المجمع دراسة فقهية ، ودراسة طبية حول بنوك الحليب ، وبعد التأمل فيما جاء في الدراستين ، ومناقشة كلّ منهما مناقشة مستفيضة شملت مختلف جوانب الموضوع ، تبين :

- ١ - أن بنوك الحليب تجربة قامت بها الأمم الغربية ، ثم ظهرت مع التجربة بعض السلبيات الفنية والعلمية فيها فانكمشت وقل الاهتمام بها .

- ٢ - أن الاسلام يعتبر الرضاع لحمه كحمة النسب ، يحرم به ما يحرم من النسب بإجماع المسلمين ؛ ومن مقاصد الشريعة الكلية

(٥) إذا كان المقصود ببنوك الحليب تجميع حليب نساء متعدّدات وإعطائه للأطفال، فلا إشكال فيه في نفسه، إذا لم يترتب عليه ضرر أو مفسدة. (راجع تحرير الوسيلة ٢: ٢٦٥).

(٦) الرضاع الذي يكون كالنسب مشروط بشروط، لعلها لا تتوفر في الرضاع من هذه البنوك، فلا يحرم، مثل أن يكون شرب الحليب بالامتصاص من الثدي، فلو وُجِدَ في حلقه اللبن أو شرب المحلوب من المرأة لم ينشأ الحرمة، والكمية، بأن يرتضع من المرأة المعينة يوماً وليلة مع اتصالهما، بأن يكون غذاؤه في هذه المدة منحصراً بلبن المرأة، أو العدد، بأن يرتضع منها خمس عشرة رضعة كاملة متصلة، وغيرها من الشروط. (راجع تحرير الوسيلة ٢: ٢٦٥).

المحافظة على النسب ، وبنوك الحليب مؤدية إلى الاختلاط أو الريبة .
٣ - أن العلاقات الاجتماعية في العالم الاسلامي توفر للمواليد الخداج ، أو ناقصي الوزن ، أو المحتاجين إلى اللبن البشري في الحالات الخاصة ، ما يحتاجون إليه من الرضاع الطبيعي ، الأمر الذي يغني عن بنوك الحليب .

وبناءً على ذلك قرر :

١ - منع إنشاء بنوك حليب الأمهات في العالم الاسلامي (٥) .

٢ - حرمة الرضاع منها (٦) .

قرار رقم (٧)

بشأن أجهزة الإنعاش

بعد أن نظر المجمع فيما قدم من دراسات فقهية وطبية في موضوع أجهزة الإنعاش ، وبعد المناقشات المستفيضة ، وإثارة مختلف الأسئلة ، وبخاصة حول الحياة والموت نظراً لارتباط فك أجهزة الإنعاش بانتهاء حياة المنعش ، ونظراً لعدم وضوح كثير من الجوانب ، ونظراً لما قامت به جمعية الطب الاسلامي في الكويت من دراسة وافية لهذا الموضوع ، يكون من الضروري الرجوع إليها ، قرر :

١ - تأخير البت في هذا الموضوع إلى الدورة القادمة للمجمع .

٢ - تكليف الأمانة العامة بجمع دراسات وقرارات مؤتمر الطب الاسلامي في الكويت ، وموافاة الأعضاء بخلاصة محددة واضحة له .

قرار رقم (٨)

بشأن استفسارات البنك الاسلامي للتنمية

بعد استماع المجمع إلى عرض البنك الاسلامي للتنمية لجملة من الأسئلة والاستفسارات بقصد الإفتاء بشأنها ، وبعد استماعه إلى

تقرير اللجنة الفرعية التي تألفت أثناء الدورة من أصحاب الفضيلة الأعضاء ، الذين تقدموا بردود عن المسائل المستفسر عنها ، ومن انضم إليهم ، ولكون الموضوع يحتاج إلى دراسة أوسع وأكمل ، تقتضي الاتصال بالبنك وتداول النظر معه في مختلف جزئياته في لجنة مكونة من طرفه . قرر بناء على ذلك :

١ - إرجاء هذا الموضوع للدورة القادمة .

٢ - مطالبة البنك بتقديم تقرير من هيأته العلمية الشرعية .

قرار رقم (٩)

بشأن التأمين وإعادة التأمين

بعد أن تابع المجمع العروض المقدمة من العلماء المشاركين في الدورة حول موضوع التأمين وإعادة التأمين ، وبعد أن ناقش الدراسات المقدمة ، وبعد تعمق البحث في سائر صوره وأنوعه ، والمبادئ التي يقوم عليها والغايات التي يهدف إليها وبعد النظر فيما صدر عن المجامع الفقهية والهيئات العلمية بهذا الشأن ، قرر :

١ - أن عقد التأمين التجاري ذا القسط الثابت الذي تتعامل به شركات التأمين التجاري ، عقد فيه ضرر كبير مفسد للعقد ، ولذا فهو حرام شرعاً^(٧) .

٢ - أن العقد البديل الذي يحترم أصول التعامل الاسلامي ، هو عقد التأمين التعاوني القائم على أساس التبرع والتعاون ، وكذلك الحال بالنسبة لإعادة التأمين القائم على أساس التأمين التعاوني .

٣ - دعوة الدول الاسلامية للعمل على إقامة مؤسسات التأمين التعاوني ، وكذلك مؤسسات تعاونية لإعادة التأمين ، حتى يتحرر الاقتصاد الاسلامي من الاستغلال ، ومن مخالفة النظام الذي يرضاه الله لهذه الأمة .

(٧) الظاهر أن التأمين عقد مستقل، وهو عقد صحيح لا إشكال فيه، ويشمله قوله تعالى: ﴿أوفوا بالعقود﴾؛ لأنه لا يختص بالعقود التي كانت معهودة ومتعارفة في زمان صدور الآية الشريفة، بل يشمل كل ما صدق عليه العقد وإن كان مستحدثاً، وإن لم يخضع لأحد عناوين العقود المعهودة، ويكفي في صحة العقد ذلك، أو أن يكون داخلاً تحت بعض العقود، كما احتمل ذلك بالنسبة لعقد التأمين، بأنه من عقد الصلح، أو الهبة المعوضة، أو الضمان المعوض، أو غيرها، وإن كان الحق أنه عقد مستقل، ويكفي ذلك في صحته كما ذكرنا، إذا لم يخالف بعض الأحكام المعتبرة في العقود، والسبب في ذلك كله أن أدلة العقود الخاصة، كدليل البيع أو الصلح، أو أدلة العقد بصورة عامة، كدليل ﴿أوفوا بالعقود﴾، إنما صدرت على نحو القضايا الحقيقية لا الخارجية، فلا تختص بمصاديق تلك العقود الخاصة، أو بمصاديق مطلق العقد التي كانت موجودة ومتعارفة في زمان صدور النص، بل تشمل كل ما صدق عليه =

- عنوان العقد الخاص،
كالبيع والصلح والإجارة
وغيرها، أو صدق عليه
عنوان مطلق العقد، وإن
كان المصداق مستحدثاً،
إلا أن يخرج عن مصداقته
لمفهوم العقد الخاص أو
عن مصداقته لمفهوم
مطلق العقد، بالأطلاق عليه
مفهوم أحد العقود
الخاصة، أو مفهوم مطلق
العقد، أو كان مخالفاً
للاحكام التي اعتبرها
الشارع المقدس في مطلق
العقد، أمثال البلوغ أو
الاختيار وغيرها بناءً على
اعتبارها.

وهذه قاعدة عامة
تفيدنا في تصحيح الكثير
من العقود المستحدثه التي
لم تكن موجودة في زمان
النص، بأن تحاول
إخضاعها أولاً لإحدى
العقود الخاصة، فإن لم
يمكن، حاولنا إخضاعها
لمطلق العقد. (راجع تحرير
الوسيلة ٢: ٢٦٥).

(٨) إذا لم يكن الاقتراض أو
القرض من البنك بشرط
الفائدة في ضمن عقد
القرض، جاز أخذ الزيادة،
فإنه إذا لم يشترط الفائدة
ضمن عقد القرض يجوز
أخذها، حتى وإن علم
بأخذها لاحقاً، لأن العلم
والداعي غير الاشتراط؛
كما يمكن تصحيح أخذ
الزيادة بأساليب أخرى،
كالجعالة والمضاربة
وغيرها من العقود
الصحيحة. (راجع تحرير
الوسيلة ٢: ١٦٦).

قرار رقم (١٠)

بشأن حكم التعامل المصرفي بالفوائد

وحكم التعامل بالمصارف الاسلامية

بعد أن عرضت على المجمع بحوث مختلفة في التعامل المصرفي
المعاصر، وبعد التأمل فيما قدم ومناقشته مناقشة مركزة أبرزت
الأثار السيئة لهذا التعامل على النظام الاقتصادي العالمي، وعلى
استقراره خاصة في دول العالم الثالث.

وبعد التأمل فيما جره هذا النظام من خراب نتيجة إعراضه
عما جاء في كتاب الله، من تحريم الربا جزئياً وكلياً تحريماً
واضحاً بدعوته إلى التوبة منه، وإلى الاقتصر على
استعادة رؤوس أموال القروض دون زيادة ولا نقصان قليلاً أو
كثيراً، وما جاء من تهديد بحرب مدمرة من الله ورسوله
للمرابين، قرر:

١- أن كل زيادة أو فائدة على الدين الذي حل أجله وعجز المدين
عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ
بداية العقد، هما رباً محرم شرعاً^(٨).

٢- أن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشاط
الاقتصادي حسب الصورة التي يرتضيها الاسلام، هو التعامل وفقاً
للاحكام الشرعية.

٣- قرر المجمع التأكيد على دعوة الحكومات الاسلامية
إلى تشجيع المصارف التي تعمل بمقتضى الشريعة
الاسلامية، والتمكين لإقامتها في كل بلد اسلامي، لتغطي
حاجة المسلمين، ولكي لا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه
ومقتضيات عقيدته.

قرار رقم (١١)

بشأن توحيد بدايات الشهور القمرية

بعد أن استعرض المجمع البحوث المقدمة إليه من الأعضاء والخبراء حول توحيد بدايات الشهور القمرية .

وبعد أن ناقش الحاضرون العروض المقدمة في الموضوع مناقشة مستفيضة ، واستمعوا إلى عديد من الآراء حول اعتماد الحساب في إثبات دخول الشهور القمرية ، قرر :

١ - تكليف الأمانة العامة لمجمع الفقه الاسلامي بتوفير الدراسات العلمية الموثقة ، من خبراء أمناء في الحساب الفلكي والأرصاد الجوية.

٢ - تسجيل موضوع توحيد بدايات الشهور القمرية في جدول أعمال الجلسة القادمة ، لاستيفاء البحث فيه من الناحيتين الفنية والفقهية الشرعية .

٣ - تكليف الأمانة العامة باستقدام عدد كاف من الخبراء المذكورين ، وذلك لمشاركة الفقهاء في تصوير جوانب الموضوع كلها تصويراً واضحاً ، يمكن اعتماده لبيان الحكم الشرعي .

قرار رقم (١٢)

بشأن خطاب الضمان

بحث المجمع مسألة خطاب الضمان ، وبعد النظر فيما أعد في ذلك من بحوث ودراسات ، وبعد المداولات والمناقشات المستفيضة ، تبين ما يلي :

١ - أن خطاب الضمان ، بنوعيه الابتدائي والانتهازي ، لا يخلو إما أن يكون بغطاء أو بدون ، فإن كان بدون غطاء ، فهو ضم ذمة الضامن إلى ذمة غيره فيما يلزم حالاً أو مآلاً ، وهذه هي حقيقة ما يعنى في الفقه الاسلامي باسم الضمان^(٩) أو الكفالة^(١٠) .

(٩) الضمان: هو نقل المال من ذمة المضمون عنه إلى ذمة الضامن للمضمون له، بحيث إذا تحقق الضمان الجامع للشرائط انتقل الحق من ذمة المضمون عنه إلى ذمة الضامن، وبرئت ذمة المدين منه.

(١٠) الكفالة: هي التعهد والالتزام بإحضار المدين، أو من كان عليه الحق، وتسليمه إلى الدائن أو من له الحق عند طلبه ذلك.

(١١) الوكالة: هي تفويض أمر إلى الغير ليعمله له حال حياته، أو إرجاع تمشية أمر من الأمور إليه.

(١٢) الظاهر أنه لا مانع من أخذ الأجرة على الضمان والكفالة والوكالة؛ لأن كلا منها عمل محترم يستحق الأجرة، والربا المحرم إنما هو في القرض مع أخذ الزيادة مطلقاً فيه، أو في البيع مع اتحاد جنس العوضين، وكونهما من المكسب والموزون مع الزيادة في أحدهما. (راجع تحرير الوسيلة ٢: ٦١٢ / مسائل أعمال البنوك، المسألة ٩)، وأنه يصح الضمان بعوض (الصفحة ٦٠٩، مسائل التأمين، المسألة ٦)، وصرح بجواز أخذ العوض على الكفالة والضمان لأنهما عمل محترم (منهاج الصالحين ٤١١: ١).

(١٣) راجع التعليقة (١٢).

وإن كان خطاب الضمان بغطاء، فالعلاقة بين طالب خطاب الضمان وبين مصدره هي الوكالة (١١)، والوكالة تصح بأجر أو بدونه مع بقاء علاقة الكفالة لصالح المستفيد (المكفول له).

٢- أن الكفالة هي عقد تبرع يقصد للإرفاق والإحسان. وقد قرر الفقهاء عدم جواز أخذ العوض على الكفالة؛ لأن أداء الكفيل مبلغ الضمان يشبه القرض الذي جر نفعاً على المقرض، وذلك ممنوع شرعاً. (١٢)

ولذلك فإن المجمع قرر ما يلي:

١- أن خطاب الضمان لا يجوز أخذ الأجر عليه لقاء عملية الضمان (التي يراعى فيها عادة مبلغ الضمان ومدته)، سواء أكان بغطاء أو بدونه (١٣).

٢- أما المصاريف الإدارية لإصدار خطاب الضمان بنوعيه ف جائزة شرعاً، مع مراعاة عدم الزيادة على أجر المثل، وفي حالة تقديم غطاء كلي أو جزئي، يجوز أن يراعى في تقدير المصاريف لإصدار خطاب الضمان، ما قد تتطلبه المهمة الفعلية لأداء ذلك الغطاء.

قال الرسول الكريم (ص):

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ رِعَايَةً
وَرِعَايَةُ هَذَا الدِّينِ
أَفْأَمُّ قَبْلِهَا

روايات جبر الأمة

ابن عباس

٢

اهل البيت
في روايات الصحابة

* صادق السوداني

١٤ - عن ابن عباس قال : « قال رسول الله ﷺ : علي بمنزلة رأسي من بدني » (١).



(١) الصواعق المحرقة: ٧٥.

١٥ - عن ابن عباس قال : « قال عمر بن الخطاب : كفوا عن ذكر علي ابن أبي طالب ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول في علي ثلاث خصال ، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس . كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، والنبي متكئ على علي بن أبي طالب ، حتى ضرب بيده على منكبه ثم قال : أنت يا علي أول المؤمنين إيماناً ، وأولهم إسلاماً ، (ثم قال) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، وكذب علي من زعم أنه يحبني ويبغضك » (٢).

(٢) كنز العمال: ٦: ٣٩٥.

١٦ - عن ابن عباس قال : « إن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ » (٣).

(٣) مجمع الزوائد ٩: ١٠٩.

١٧ - عن ابن عباس قال : « لما أخى النبي ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والانصار فلم يواخ بين علي بن أبي طالب وبين أحد منهم ، خرج مغضباً حتى أتى جدولاً فتوسد ذراعه ... فقال له النبي ﷺ : قم ، فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب . أغضبت علي حين أخيت بين

المهاجرين والانصار ولم أواخ بينك وبين أحد منهم ؟ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي ؟ ألا من أحبك خف بالأمن والإيمان ، ومن أبغضك أماته الله ميتة جاهلية وحوسب بعمله في الاسلام» (٤) .

(٤) كنز العمال ٦ : ١٥٤ .

١٨ - عن ابن عباس قال : «كان علي رضي الله عنه يقول في حياة رسول الله ﷺ : أن الله يقول : ﴿ أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ . والله لا تنقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت . والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه . فمن أحق به مني ؟ » (٥) .

(٥) مستدرک الصحيحین ١٢٦ : ٣ .

١٩ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : لأُم سلمة : هذا علي بن أبي طالب لحمه لحمي ، ودمه دمي ، فهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (٦) .

(٦) مجمع الزوائد ٩ : ١١١ .

٢٠ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه» (٧) .

(٧) تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٢ .

٢١ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : أنت ولي كل مؤمن بعدي» (٨) .

(٨) مسند أبي داود ١١ : ٣٦٠ .

٢٢ - عن ابن عباس قال : «أتى عبد الله بن سلام ورهط معه من أهل الكتاب نبي الله عند الظهر ، فقالوا : يا رسول الله ، إن بيوتنا قاصية لا نجد من يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد ، وإن قومنا لما رأونا قد صدقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العداوة ، وأقسموا ألا يخالطونا ولا يؤاكلونا ، فشق ذلك علينا ، فبينما هم يشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ ، إذ نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ، ونودي بالصلاة ، صلاة الظهر ، وخرج رسول الله ﷺ فقال للسائل : أعطاك أحد شيئاً ؟ قال : نعم . قال : من ؟ قال : ذاك الرجل القائم . قال : على أي حال أعطاكه ؟ قال : وهو راكع . قال : وذاك علي بن أبي طالب ، فكبر رسول الله ﷺ وهو يقول : ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن

(٩) الواحددي، اسباب

النزول: ١٤٨.

حزب الله هم الغالبون» (٩).

٢٣ - عن ابن عباس قال : «لما رجعنا من حجة الوداع ، جلسنا مع رسول الله ﷺ في مسجده فقال : أتدرون ما أقول لكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : اعلّموا أن الله عزوجل منّ على أهل الدين إذ هداهم بي ، وأنا آمنّ على أهل الدين إذ أهديهم بعلي بن أبي طالب ، ابن عمي وأبي ذريتي . ألا ومن اهتدى بهم نجا ، ومن تخلف عنهم ضلّ وغوى . أيها الناس ، الله الله في عترتي وأهل بيتي» (١٠).

(١٠) البحار ٢٣: ١٤٢.

٢٤ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : ما في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة ، فقام إليه عمه العباس بن عبد المطلب فقال : من هم يا رسول الله ؟ فقال : أما أنا فعلى البراق ، وأخي صالح على ناقه الله التي عقرها قومه . قال العباس : ومن يا رسول الله ؟ قال : وعمي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء على ناقتي . قال العباس : ومن يا رسول الله ؟ قال : وأخي علي على ناقه من نوق الجنة زمامها من لؤلؤ ... ويده لواء الحمد وهو ينادي : اشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فيقول الخلائق : ما هذا إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، فينادي مناد من بطنان العرش : ليس هذا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلأ ، ولا حامل عرش . هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين» (١١).

(١١) تاريخ بغداد ١١: ١١٢.

٢٥ - عن ابن عباس قال : «إن النبي ﷺ عهد إلى علي عليه السلام سبعين عهداً لم يعهد إلى غيره» (١٢).

(١٢) حلية الأولياء ١: ٦٨.

٢٦ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : الصديقون ثلاثة ، حبيب النجار مؤمن آل يس ، قال : يا قوم اتبعوا المرسلين ، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال : أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ، وعلي بن أبي طالب ، وهو أفضلهم» (١٣).

(١٣) الصواعق المحرقة:

٧٤.

٢٧ - عن ابن عباس قال : «رحم الله أبا الحسن ؛ كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحل الحجى ، وطود النهى ، ونور السرى في ظلم الدجى ، داعياً إلى المحجة العظمى ، عالماً بما في الصحف الاولى،

وقائماً بالتأويل والذكرى ، ومتعلقاً بأسباب الهدى ، وتاركاً للجور والأذى ، وحائداً عن طرقات الردى ، وخير من آمن واتقى ، وسيد من تقمص وارتنى ، وأفضل من حج وسعى ، وأسمح من عدل وسوى ، وأخطب أهل الدنيا إلا الأنبياء والنبي المصطفى ، فهل يوازيه موحد ؟ وزوج خير النساء ، وأبو السبطين . لم تر عيني مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقا ، من لعنه فعليه لعنة الله والعباد إلى يوم القيامة» (١٤) .

(١٤) مجمع الزوائد ٩: ١٥٨.

٢٨ - عن ابن عباس قال : «نظر النبي ﷺ إلى علي عليه السلام فقال : أنت سيد في الدنيا ، وسيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي» (١٥) .

(١٥) مستدرک الصحيحین

١٢٧:٣ .

٢٩ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : سدوا أبواب المسجد كلها إلا باب علي» (١٦) .

(١٦) حلية الأولياء ٤: ١٥٣.

٣٠ - عن ابن عباس قال : «قال النبي ﷺ : إن الله جعل نزية كل نبي في صلبه ، وجعل نزيتي في صلب علي بن أبي طالب» (١٧) .

(١٧) كنز العمال ٦: ١٥٢.

٣١ - عن ابن عباس قال : «كنت أنا وأبي العباس بن عبد المطلب جالسين عند رسول الله ﷺ ، إذ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فسلم فردّ عليه رسول الله ﷺ السلام ، وبشّ به ، وقام إليه واعتنقه ، وقبل بين عيني ، وأجلسه عن يمينه ، فقال العباس : يا رسول الله ، أتحب هذا ؟ فقال النبي ﷺ : يا عم رسول الله ، والله لئن أشدّ حباً له مني . إن الله جعل نزية كل نبي في صلبه ، وجعل نزيتي في صلب هذا» (١٨) .

(١٨) تاريخ بغداد ١: ٣١٦.

٣٢ - عن ابن عباس قال : «إن رسول الله ﷺ قال : إن الجنة اشتاقت إلى أربعة من اصحابي ، فأمرني ربي أن أحبهم ، فانتدب صهيب الرومي ، وبلال بن أبي رباح ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وحذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر فقالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الأربعة حتى نحبهم ؟ قال رسول الله ﷺ : يا عمار ، عزّك الله المنافقين ، وأما هؤلاء الأربعة فأحدهم علي بن أبي طالب ، والثاني المقداد بن الأسود الكندي ، والثالث سلمان الفارسي ،

والرابع أبو ذر» (١٩).

(١٩) كنز العمال ٤٢٨:٦.

٣٣ - عن ابن عباس قال : «أتى النبي ﷺ بطير فقال : اللهم انتني بأحب خلقك إليك ، فجاء علي عليه السلام فقال : اللهم والي» (٢٠) .

(٢٠) مجمع الزوائد ١٢٦:٩.

٣٤ - عن ابن عباس قال : «قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام : من أحبك فبحبي أحبك ، فإن العبد لا ينال ولا يتي إلا بحبك» (٢١) .

(٢١) كنز العمال ١٥٨:٦.

٣٥ - عن ابن عباس قال : «خرج رسول الله ﷺ قابضاً على يد علي عليه السلام ذات يوم فقال : ألا من أبغض هذا فقد أبغض الله ورسوله ، ومن أحب هذا فقد أحب الله ورسوله» (٢٢) .

(٢٢) كنز العمال ٣٩١:٦.

٣٦ - عن ابن عباس قال : «نظر رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام فقال : لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق . من أحبك فقد أحبني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، وحببي حبيب الله ، وبغضي بغض الله . ويل لمن أبغضك بعدي» (٢٣) .

(٢٣) مجمع الزوائد ١٣٣:٩.

٣٧ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : من سره أن يحيى حياته ، ويموت مماتاً ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بالأنمة من بعدي ؛ فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، رزقوا فهماً وعلماً ، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي» (٢٤) .

٣٨ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : حب علي يأكُل الذنوب كما تأكل النار الحطب» (٢٥) .

(٢٤) حلية الأولياء ٨٦:١.

(٢٥) كنز العمال ١٥٨:٦.

٣٩ - عن ابن عباس قال : «قال رسول الله ﷺ : حب علي بن أبي طالب يأكُل السيئات كما تأكل النار الحطب» (٢٦) .

(٢٦) تاريخ بغداد ١٩٤:٤.

٤٠ - عن ابن عباس قال : «قلت للنبي ﷺ : يا رسول الله ، للنار جواز ؟ قال : نعم . قلت : ماهو ؟ قال : حب علي بن أبي طالب» (٢٧) .

(٢٧) تاريخ بغداد ١٦١:٣.

٤١ - عن ابن عباس قال : «قال علي بن أبي طالب عليه السلام : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعاني رسول الله ﷺ فقال لي : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال :

يا محمد، إنك ألا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن؛ ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم، وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له؛ وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه؛ فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجننت به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ جذية من اللحم، فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصخرة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى مالهم بشيء حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفسى علي بيده؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: اسق القوم، فجننتهم بذلك العُس، فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بده أبو لهب إلى الكلام فقال: لهَذَا ما سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال: الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي. قال: ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة. ثم قال اسقهم، فجننتهم بذلك العُس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا بني عبد المطلب؛ إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جنتكم به؛ إني قد جنتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وإني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحشمهم ساقاً؛ أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أملك أن تسمع لابتك وتطيع» (٢٨).

(٢٨) تاريخ الطبري ٥٤٢:١.

٤٢ - عن ابن عباس قال: «أشهد بالله لسمعته من رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله عز وجل أكبه الله على منخريه» (٢٩).

(٢٩) ذخائر العقبى: ٦٦.

٤٣ - عن ابن عباس أنه مر - بعدما حجب بصره - بمجلس من مجالس قريش ، وهم يسبون علياً عليه السلام ، فقال لقائده : «ما سمعت هؤلاء يقولون ؟ قال : سبوا علياً عليه السلام . قال : فردني إليهم ، فردّه . قال : أيكم الساب لله ؟ قالوا : سبحان الله ! من سب الله فقد أشرك . قال : أيكم الساب لرسول الله ﷺ ؟ قالوا : سبحان الله ! من سب رسول الله ﷺ فقد كفر . قال : فأيكم الساب لعلي عليه السلام ؟ قالوا : أما هذا فقد كان . قال : فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله ﷺ يقول : من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله عز وجل أكبه الله على منخره ...» (٣٠) .

(٣٠) الرياض النضرة ٢ : ١٦٦ .

٤٤ - عن ابن عباس قال : «والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم ، وإيم الله لقد شارككم في العشر العاشر» (٣١) .

(٣١) الاستيعاب ٢ : ٤٦٢ .

٤٥ - عن ابن عباس قال : «ما انتفعت بكلام بعد النبي ﷺ إلا شيء كتب به إلي علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإنه كتب : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد يا أخي ، فإنك تسر بما يصل إليك مما لم يكن يفوتك ، ويسوؤك ما لم تدره ، فما نلت يا أخي من الدنيا فلا تكن به فرحاً ، وما فاتك فلا تكن عليه حزناً ، وليكن عملك لما بعد الموت والسلام» (٣٢) .

(٣٢) الرياض النضرة ٢ : ٢٢٢ .

٤٦ - عن ابن عباس قال : «سمعت عمر بن الخطاب يقول : كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب ؛ فلقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لأن تكون واحدة منهن في آل الخطاب ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس . كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فانتبهت إلى باب أم سلمة وعلي قائم على الباب ، فقلنا : أردنا رسول الله ﷺ ، فقال : يخرج إليكم ، فخرج رسول الله ﷺ فثرنا إليه ، فاتكأ على علي بن أبي طالب ، ثم ضرب بيده على منكبه ثم قال : إنك مخاضم نخاضم . أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأعلمهم بأيام الله ، وأوفاهم بعهده وأقسمهم بالسوية ، وأرافهم بالرعية ، وأعظمهم رزية» (٣٣) .

(٣٣) كنز العمال ٣٩٣ : ٦ .

٤٧ - عن ابن عباس قال : «دخل رسول الله ﷺ على أم هاني بنت

أبي طالب يوم الفتح فقالت : يا رسول الله ، إن أصهاراً لي قد لجأوا إلي ، وإن علي بن أبي طالب لا تأخذه في الله لومة لائم ، وإنني أخاف أن يعلم بهم فيقتلهم ، فاجعل من دخل دار أم هاني آمناً حتى يسمع كلام الله ، فأمنهم رسول الله ﷺ وقال : أجرتنا من أجارت أم هاني» (٣٤) .

(٣٤) ذخائر العقبين : ٢٢٣ .

قال الرسول الكريم :

مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ حُبَّ الْأُمَّةِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِي فَقَدْ أَصَابَ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، فَلَا يَسْكُنُ أُنَّةً فِي الْجَنَّةِ
وَأَنْ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِي عِشْرِينَ
خَصْلَةً عَشْرُ فِي الدُّنْيَا وَعَشْرُ
فِي الْآخِرَةِ

صفحة ٨١

مشقة الأثر

فَخِرُ الْمِرَّةِ بِفَضِيلَةِ لَا بَأَصِلَةٍ

من عرر مكم
أهل البيت عليه السلام

عبد القادر خرم الله

في رحاب الإمامة الوادعة تَفِيئاً الْقُلُوبَ الصُّدُنَةَ بِأَحْضَانِ الرُّضَا، وَتَنْشِقُ أَنْفَاسَ
الْهُدَى وَالسُّكِينَةِ، وَتُلْفِي رِبِيحَ وَجُودِهَا، وَأَنْسَ وَحْشَتِهَا وَضِياعِهَا، فَإِذَا هِيَ رِيًّا بَعْدَ
ظُلْمًا، وَخَضِرَاءَ بَعْدَ إِقْقَارٍ، وَمَطْمَئِنَّةً بَعْدَ إِصْحَارٍ.

وفي هذا الباب نستشرف في تلك الرُّحَابِ من أَضْوَائِهَا مَا يَهْدِي سَبِيلَنَا، وَيُقَوِّمُ
خَطَرَاتِ نَفُوسِنَا، وَيُثَبِّتُ عَلَى مَسَالِكِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ خُطَايَا، حَيْثُ ﴿يَزِيدُ اللَّهُ
الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُرْشِدًا﴾.

وقد كانت مَنَاهِلُ قَبَسَاتِنَا هَذِهِ مِنْ أَنْوَارِ حُكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَقَاةً مِنْ
كِتَابِ مِيزَانِ الْحِكْمَةِ.

«التحرير»

الفضيلة :

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : «الفضائل أربعة اجناس : أحدها الحكمة ،



وقوامها في الفكرة ، والثاني العفة ، وقوامها في الشهوة ، والثالث القوة ،

وقوامها في الغضب ، والرابع العدل ، وقوامه ^(١) في اعتدال قوى النفس .

٢ - وعنه عليه السلام : «أقوى الوسائل حسن الفضائل» .

(١) في المصدر: قوامها ،
وفي البحار كما أثبت.

علامات الفضيلة وثمراتها :

١ - وعنه عليه السلام : «عند تعاقب الشدائد تظهر فضائل الإنسان» .

٢ - وعنه عليه السلام : «من قلت فضائله ضعفت وسائله» .

٣ - وعنه عليه السلام : «الجهل بالفضائل من أفتيح الرذائل» .

٤ - وعنه عليه السلام : «خذ عدوك بالفضل فإنه أحد الخلفين» .

جوامع الفضائل :

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : «من أحسن إلى من أساء إليه ، فقد أخذ بجوامع

الفضل» .

٢ - وعنه عليه السلام : «المروءة اسم جامع لسائر الفضائل والمحاسن» .

٣ - وعنه عليه السلام : «جامع الفضل في اصطناع الحر^(٢) ، والإحسان إلى أهل الخير» .

٤ - وعنه عليه السلام : «كن عفواً في قدرتك ، جواداً في عسرتك ، مؤثراً مع فافتك ، تكمل لك

الفضائل» .

٥ - وعنه عليه السلام : «إذا اتقيت المحرمات ، وتوزعت عن الشبهات ، وأديت

المفروضات ، وتنقلت بالنوافل ، فقد أكملت في الدين الفضائل» .

٦ - وعنه عليه السلام : «لقد أخذ بجوامع الفضائل من رفع عن نفسه سوء المجازاة» .

٧ - وعنه عليه السلام : «من عفا عن الجرائم ، فقد أخذ بجوامع الفضل» .

أفضل الفضائل :

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : «لا فضيلة أجل من الإحسان» .

٢ - وعنه عليه السلام : «من أفضل الفضائل اصطناع الصنائع ، وبث المعروف» .

٣ - وعنه عليه السلام : «حفظ اللسان ، وبذل الإحسان ، من أفضل فضائل الإنسان» .

٤ - وعنه عليه السلام : «أفضل الفضائل بذل الرغائب ، وإسعاف الطالب ، والإجمال في

المطالب» .

٥ - وعنه عليه السلام : «الإنصاف أفضل الفضائل» .

رأس الفضائل :

١ - قال أمير المؤمنين : «رأس الفضائل العلم» .

٢ - وعنه عليه السلام : «رأس الفضائل فلك الغضب ، وإمالة الشهوة» .

٣ - وعنه عليه السلام : «رأس الفضائل اصطناع الأفاضل» .

(٢) اصطناع المرء:
الإحسان إليه.

٤ - وعنه عليه السلام : «غاية الفضائل العقل» .

أهل الفضل :

١ - قال رسول الله ﷺ : «إذا جمع الخلائق يوم القيامة ، نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم أناس وهم يسير ، فينطلقون سراعاً إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون : إنّا نراكم سراعاً إلى الجنة ، فيقولون : نحن أهل الفضل ، فيقولون : كنا إذا ظلمنا غفرنا ، وإذا أسيء إلينا عفونا ، وإذا جهل علينا حلمنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» .

٢ - قال زين العابدين عليه السلام : «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ثم يتنادى مناد : أين أهل الفضل ؟ قال : فيقوم عنق (٣) من الناس ، فتلقاهم الملائكة فيقولون : وما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنّا نصل من قطعنا ، ونعطي من حرمتنا ، ونعفو عمن ظلمنا ، فيقال لهم : صدقتم . ادخلوا الجنة» .

(٣) عنق : جماعة.

أفضل الناس :

١ - قال رسول الله ﷺ : «أفضلكم منزلة عند الله تعالى أطولكم جوعاً وتفكيراً ، وأبغضكم إلى الله تعالى كل نؤوم وأكول وشروب» .

٢ - وعنه عليه السلام : «أيها الناس ، إن أفضل الناس عبداً من تواضع عن رفعة ، وزهد عن رغبة ، وأنصف عن قوة ، وحلم عن قدرة . ألا وإن أفضل الناس عبداً أخذ في الدنيا الكفاف ، وصاحب فيها العفاف ، وتزوّد للرحيل ، وتأهب للمسير» .

٣ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أفضل الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأنقياء» .

٤ - وعنه عليه السلام : «إن أفضل الناس عند الله من أحيا عقله ، وأمات شهوته ، وأتعب نفسه لصلاح آخرته» .

٥ - وعنه عليه السلام : «إن أفضل الناس من حلم عن قدرة ، وزهد عن غنية ، وأنصف عن قوة» .

٦ - وعنه عليه السلام : «أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدي وهدي ، فأقام سنة

معلومة ، وأما بدعة مجهولة .

٧ - وعنه عليه السلام : «أفضل الخلق أقضاهم بالحق» .

٨ - وعنه عليه السلام : «إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن

نقصه وكرهه ^(٤) . من الباطل وإن جر إليه فائدة وزاده» .

(٤) كرهه: اشتد عليه وبلغ منه المشقة.

٩ - وعنه عليه السلام : «قيل للعبد الصالح لقمان: أي الناس أفضل ؟ قال: المؤمن الغني .

قيل: الغني من المال ؟ فقال: لا . ولكن الغني من العلم ، الذي إن احتيج إليه انتفع بعلمه ،

فإن استغني عنه اكتفى . وقيل: فأَي الناس أشر ؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً» .

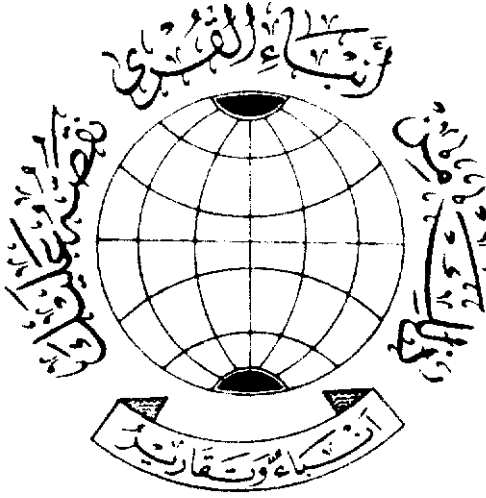
١٠ - سئل عيسى عليه السلام : من أفضل الناس ؟ قال : «من كان منطقه نكراً ،

وصعته فكراً ، ونظره عبرة» .

قال الإمام علي عليه السلام :

الْفَضِيلَةُ
بِحُسْنِ الْكَمَالِ
وَمَكَارِمِ الْأَفْعَالِ
لَا بَكْثَةَ الْمَالِ
وَجَلَالَةَ الْأَعْمَالِ

غُرِّ الْحَكَمِ



من ألباء الضيق

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير.

الجمهورية الإسلامية

الایرانية

نمت بإمكاناتهما الذاتية

وبمشروعها الإسلامي

المجتمع الذي ينشئه الاسلام هو المجتمع الذي يرتقي بالانسان إلى كمالاته . وحين تكون الخصائص الانسانية فيه موضع التكريم والاعتبار ، وتكون فيه انسانية الانسان هي القيمة العليا ، سيكون هذا المجتمع مجتمعاً

متحضراً . أما إذا كان المجتمع هدفه المادة ، وهي عنده موضع التكريم والاعتبار ، وهي القيمة العليا ، فهذا يعني حقيقة أن هذا المجتمع متخلف ، رغم التطور الصوري ؛ لأن التقدم الحقيقي لكل مجتمع من خلال تمسك ذاك المجتمع بالقيم الانسانية الرفيعة ، وهذه القيم ليست من المسائل الغامضة أو المتغيرة ، التي لا تستقر على حال ، ولا ترجع إلى

الحاق أضرار كبيرة بها .

إن التوجه الأوروبي الجديد يعني أن هذه الدول تحررت من الضغوط الأميركية . فأميركا كما بدا واضحاً للأوروبيين تريد توظيف المصالح الأوروبية ، في إطار سياستها العدوانية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، ولهذا ورطت الدول الأوروبية في حادثة ميكونوس ، وما ترتب عليها من آثار سلبية ألحقت بسمعة القضاء الألماني وبالدول الأوروبية أضراراً بالغة .

إن أميركا لا تتردد في التضحية بالمصالح الأوروبية لقاء مصالحها ، وهذا ما أدركته الدول الأوروبية ، ولذلك وجدت أن الذهاب بعيداً مع التوجهات والسياسات الأميركية إزاء المنطقة بشكل عام ، والجمهورية الإسلامية بشكل خاص ، يؤدي إلى إلحاق أضرار فادحة بأوروبا ؛ مما دفعها إلى التحرر من هذا الطوق والتمرد على الضغوط الأميركية ، وهذا يعني الوقوف بوجه الطموحات

أصل ، بل أصلها ثابت وفرعها في السماء .

و حين يهدف سلوك المجتمع إلى وضع كل السلوك البشري في موضعه الصحيح من الكون والحياة على أساس رباني ، فإنه بلا شك يتقدم ويزدهر ويرفل بالسعادة ، رغم العقبات التي تقف أمامه من قبل الآخرين ، من أجل تقويضه ، أو على أقل تقدير من أجل تأخير تقدمه وازدهاره .

ومن مصاديق ذلك ما نراه اليوم من الاتصالات والزيارات ، التي قام بها المسؤولون في الدول الأوروبية للجمهورية الإسلامية الإيرانية ، حيث تعتبر نقطة تحول في التوجهات الأوروبية إزاء العلاقة مع الجمهورية الإسلامية ، إذ تعكس هذه الاتصالات أن الدول الأوروبية بدأت تفكر بشكل صحيح ، وتدرك الوقائع ومعطياتها ، بعد أن كانت تنظر إلى الأمور بعين الضغوط والمؤثرات الصهيونية والأميركية ، ونتيجة لهذه النظرة الخاطئة فقد تسببت هذه الدول في

الأميركية اللامشروعة إلى السيطرة على العالم ، وفرض عالم القطبية الواحدة ، التي تريد تسخير كل امكانيات العالم لخدمة مصالحها وأهدافها .

وعلى الصعيد نفسه نرى هذا التوجه من قبل الدول الأوروبية يعني أيضاً التحرر من الابتزاز الصهيوني ؛ لأن ديدن الصهاينة هو تحقيق مصالحهم ، ولو كان ذلك يضر بمصالح الآخرين ، وأنهم لا يترددون حتى في الإضرار بالمصالح والسمعة الأوروبية لقاء بقاء مصالحهم ؛ وخير دليل على ذلك هو ما كُشف مؤخراً من استخدام جوازات سفر كندية ، في محاولة الاغتيال التي تعرض لها المجاهد الاسلامي خالد مشعل ، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الفلسطينية في الاردن ، ثم الإساءة إلى سمعة الأمن السويسري ، بالقيام بعملية تجسس على هواتف الدبلوماسيين الايرانيين في هذا البلد ، وهو ما دفع الصهاينة إلى تقديم اعتذار

رسمي على هذا الفعل المشين للحكومة السويسرية .

لقد تضررت المصالح الأوروبية منذ تراجعها عن موقفها ، في استمرار المقاطعة الدبلوماسية مع الجمهورية الاسلامية ، التي اتخذتها تلك الدول بعد قرارات محكمة ميكونوس الألمانية . والجدل يحتدم بين أوساطها حول جدوى اتباع سياسة الحوار النقدي مع الجمهورية الاسلامية الايرانية ، والخضوع للضغوط الأميركية في هذا الإطار ، فالكثير من الدول الأوروبية ، وعلى رأسها فرنسا وإيطاليا ، أدركت أن المتضرر الوحيد من اتباع هذه السياسة هي الدول الأوروبية نفسها ، في حين نلاحظ هذا الموقف لم يغير من موقف الجمهورية الاسلامية ، سواء على صعيد السياسة الخارجية أو الداخلية ؛ لأن مواقف الجمهورية الاسلامية مواقف مبدئية تستمد قوتها من الاسلام المحمدي الأصيل ؛ كما أن ثمة معطيات وتطورات حصلت في

المشروط مع الجمهورية
الاسلامية الايرانية ، هو تنامي قوة
هذه الدولة الاسلامية .

إن الهدف الذي توخته أميركا
من فرض الحصار الأوربي
الأميركي على الجمهورية
الاسلامية الايرانية ، هو حرمان
ايران المسلمة من النمو
الاقتصادي والعسكري ، والحيلولة
دون تقدمها ؛ باعتقادها أن تنامي
علاقات الجمهورية الاسلامية
الايرانية الخارجية مع العالم
الغربي ، هو السبب في تقدمها
وازدهارها ، ولكن الواقع أن هذه
القناعة خاطئة ولا تستند إلى أي
دليل ؛ لأن ايران الاسلامية نمت
بإمكاناتها الذاتية ، وبمشروعها
الاسلامي ، حيث تفجرت طاقاتها
الشبابية ، وتألفت ابداعات شعبها
المعطاء ، فارتقت سلم التطور على
جميع الصعد ، وحققت الاكتفاء
الذاتي في أكثر من ميدان دون
الاعتماد على الآخرين .

كما أن الدعوى التي تثيرها
أميركا ، وقبل ذلك الدول الأوربية

المنطقة عززت من مكانة
الجمهورية الاسلامية الايرانية ،
مما جعل الأوربيون ينتبهون إلى
الخطأ الذي وقعت فيه سياساتهم
إزاء هذا البلد المسلم ، إضافة إلى
الأزمة العراقية التي كشفت
بوضوح نوايا واشنطن ، من إرادة
تعزير سيطرتها على آبار النفط
في المنطقة ، ومن ثم التحكم
بأوروبا وبمقدراتها ، علماً أن
التطورات النفطية التي حصلت في
بداية السبعينات بين الدول
الأوربية وأميركا ، لازالت في
الأذهان ، والتي كان يقف وراءها
وزير الخارجية الأميركي الأسبق
هنري كيسنجر ، وتسببت في حل
الكثير من الشركات الأوربية ،
وحلت بدلاً عنها شركات أميركية ،
سيطرت على عقود الاستثمارات
النفطية في الدول العربية . بل إن
تلك التطورات سببت خسائر مادية
ومعنوية لأوروبا .

ومن أهم الأسباب التي حولت
السياسة الأوربية من الحوار
النقدي ، إلى الحوار المفتوح غير

ضد الجمهورية الاسلامية ، في دعم الارهاب ، وهذه دعوى باطلة وظالمة بحق الجمهورية الاسلامية؛ لذلك نراها لم تصمد أمام مجريات الواقع الملموس ، فايران الاسلامية بذلت جهوداً حثيثة ضد الارهاب ، من أجل إقرار الأمن والسلام ، فساهمت مساهمة فعالة بالتعاون مع روسيا من أجل إنهاء الأزمة الطاجيكية ، وتبذل المساعي الجمة لحل المشكلة الأفغانية ، وكان لها الدور الأساسي في إرساء الأمن والاستقرار في البوسنة والهرسك، ثم لولا تدخل أميركا المفرض والأطراف الصهيونية لقطعت شوطاً كبيراً في حل أزمة قره باغ الاذربيجانية ، ولأنهت الخلاف بين أرمينيا وأذربيجان ، ثم المبادرة التي اتخذتها إزاء دول الخليج بهدف إقرار الأمن في منطقة الخليج الفارسي ، وهي مبادرة لم تقف عند حد الأقوال ، وإنما أكدت السياسة الأخوية للجمهورية الاسلامية الايرانية ، وحسن نوايا

القيادة الاسلامية .

كل هذه التطورات عزّت الدعوات الأميركية والأوروبية من أية مصداقية ، ونقصد بها الدعوى الباطلة باتهام الجمهورية الاسلامية بالارهاب ، وأنها تهدد السلام والأمن العالميين .

إن وضوح الصورة الحقيقية ، والتوجهات للجمهورية الاسلامية الأخوية الصادقة نحو العرب والمسلمين ، أدّى إلى تفهم الأخوة العرب والمسلمين لهذه الحقيقة ، وأدركوا أنهم كانوا قد توهموا صورة غير صحيحة عن سياسة ايران الاسلامية ، كانت الأوساط الأميركية والصهيونية تثيرها ، مما جعل العلاقة الايرانية العربية تنتقل من مرحلة التشكيك إلى مرحلة الثقة المتبادلة ، ثم تحولت هذه الثقة إلى عامل أساسي في وضع برامج عملية من أجل تعزيز التعاون الأمني ، الذي يعيد للمنطقة الاستقرار بعيداً عن وجود القوات الأجنبية ، التي تهدد أمن المنطقة أولاً ، وثانياً تنهك الدول العربية

الحقيقة يعرفها الأوروبيون قبل غيرهم ، وقد كان توقيت الأوروبيين في التخلي عن سياساتهم الخاطئة السابقة مع الجمهورية الاسلامية توقيتاً جيداً ؛ لأنهم شعروا أنهم سيكونون معزولين إذا استمروا في محاولاتهم ، مثلما انعزلت أميركا من قبلهم .

إن تعزيز العلاقة مع الجمهورية الاسلامية الايرانية ، سوف يفتح آفاق التعاون والتبادل التجاري والاقتصادي في كافة المجالات ؛ لأن الظروف باتت مهيأة لهذا التعاون بشكل واضح ؛ لأن الاتجاه العام في المنطقة هو ضد أميركا ، نتيجة لسياستها العدوانية والمنحازة للعدو الصهيوني ، كما أن هناك تحركاً شعبياً عاماً يطالب بطرده القوات الأميركية من المنطقة ، ويضغط على النظام العربي الرسمي بقطع الروابط والتعاون معها .

إن هدف أميركا هو عزل أوروبا عن المنطقة ، أو على أقل تقدير أن يكون اتصالها بالمنطقة من خلال

اقتصادياً ، فضلاً عن تهديداتها للأمن الاجتماعي في تلك الدول للأسباب المعروفة ، فأميركا تأخذ جميع مصروفات وجود قواتها في الخليج الفارسي من الدول العربية ، بحجة حمايتها ، في حين لا يوجد خطر يتهدد تلك الدول سوى خطر نفس هذه القوات الأجنبية .

وقد شهدت هذه العلاقة بين الجمهورية الاسلامية الايرانية والدول العربية مرحلة متقدمة ، وبخاصة خلال انعقاد مؤتمر القمة الاسلامية في طهران ؛ فقد ترك هذا المؤتمر معطيات إيجابية ، وآثاراً مهمة في تعزيز هذه العلاقات الأخوية ، وبخاصة العلاقة الايرانية السعودية ، التي كان لها انعكاسات إيجابية في المنطقة ، والتي نقلت العلاقات العربية الايرانية إلى مرحلة متقدمة .

إن الجمهورية الاسلامية الايرانية دولة من الدول الكبرى في المنطقة ، ولها أن تلعب دوراً مهماً ، وعليه لا يمكن تجاهل دورها الاقليمي والدولي ؛ وهذه

أي دليل .

تؤكد الوثائق التاريخية أن مدينة القدس من المدن العربية العريقة ، التي تبوأ منذ فجر التاريخ مكانة هامة ، فقد سكنها الكنعانيون واليبوسيون وهم من العرب ، وقد احتلت مكانة عالية في قلوب العرب . وبعد الدعوة الاسلامية احتلت هذه المدينة المقدسة في قلوب المسلمين مكانة خاصة ؛ فهم لا ينفكون عنها ، ولا يرضون العدوان عليها ، ولا يمكن أن يتخلوا عنها ، فهي جزء من تاريخهم .

وإذا كانت هذه المدينة المقدسة قد تعرضت عبر التاريخ القديم إلى غزوات الشعوب الأخرى ، فإن ذلك لا يعني بأي شكل من الاشكال أن ملكيتها تحولت إلى الغزاة ؛ فقد تعرضت خلال أزمنة مختلفة من التاريخ الذي سبق الاسلام لأطماع شعوب عديدة . دخلها العبرانيون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، واستعمروها فترة من الزمن قاربت السبعين عاماً ، ثم غزاها

القناة الأميركية ، وهذا ما ترفضه الدول الأوروبية ، وعليها أن تدرك هذه الحقيقة ، وتتصرف وفق مصالحها ، وتتخلص من الابتزاز الأمريكي .

□ فلسطين

اليهود والادعاءات الكاذبة

لأزالت حكومة العدو الصهيوني تتابع خطواتها لتهويد المدينة المقدسة ، من خلال إجراءات التهجير القسري لسكان العرب من أحيائهم ، وإحلال المستوطنين مكانهم في مستوطنات مستحدثة ، يتعارض إنشاؤها مع قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ، بدعوى أن اليهود لهم حقوق في فلسطين وفي القدس بشكل خاص . وقد ذكرنا في العدد السابق الدليل الديني على بطلان هذه الدعوى . والآن نذكر الدليل الثاني ، ألا وهو الدليل التاريخي من أجل تسخيف هذه الدعوى اليهودية التي لا تستند إلى

يجرؤ أي من الغزاة والمحتلين
عبر التاريخ على إحداث تغيير على
معالم المدينة المقدسة .

إلا أننا نرى اليوم محاولات
الصهاينة المتكررة من أجل تغيير
الديمقراطية السكانية ، زاعمين أن
القدس مدينة عبرانية ، متجاهلين
كل الوثائق التاريخية التي تؤكد
على أنها مدينة عربية بناها
الكنعانيون العرب ، وكذلك تاريخ
العرب في فلسطين يرجع إلى ما
قبل ستة آلاف سنة ، وفق ما
تؤكد الكشوف الأثرية والمراجع
التاريخية ، وهذا يعني أن الوجود
العربي في فلسطين بشكل عام ،
وفي القدس بشكل خاص ، كان
قبل غزو العبرانيين للمدينة
المقدسة بـ ٢٦٠٠ سنة ، ثم تميزت
بالهوية الإسلامية بعد الإسلام
باعتبارها داراً للإسلام
والمسلمين ، وكونها القبة الأولى
لهم . وهذا دليل آخر من التاريخ
يدحض مزاعم اليهود ، التي تدعي
أن لهم حقوقاً في فلسطين ،
ولاسيما القدس الشريفة .

الفرس بعدهم عام ٥٨٦ قبل
الميلاد، كما دخلها الاسكندر
المقدوني بقواته عام ٣٣٢ قبل
الميلاد . أما الرومان فقد غزوها
عام ٧٠ بعد الميلاد ، ولكن نرى أن
أهلها العرب كانوا يخرجون الغزاة
في كل مرة لتظل القدس مدينة
عربية عريقة ، وظلت القدس
كذلك حتى جاء الفتح الإسلامي
في القرن السادس الميلادي ،
وفي عام ٢٣ هـ سماها المسلمون
بيت المقدس .

وكما تعرضت مدينة القدس
للاحتلال قبل الإسلام ، فقد
تعرضت له كذلك خلال التاريخ
الإسلامي ؛ فقد دخلتها القوات
الصليبية القادمة من أوروبا في
العصور الوسطى ، وأخضعت
فلسطين وعاصمتها القدس
الشريفة للانتداب البريطاني ،
وذلك في أعقاب الحرب العالمية
الأولى ، ومع كل ذلك خرج جميع
هؤلاء المستعمرين منها ؛ لتظل
مدينة إسلامية لها خصائصها
وسماتها وأصالتها المتميزة ، ولم

الصهاينة والإساءة للإسلام والمسلمين

وردت في التقرير السنوي للجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة ، فقرة مسيئة للإسلام والقرآن الكريم ، وهذه الفقرة منقولة من تقرير الحكومة الاسرائيلية عن الاتجاهات المعادية للسامية ، جاء فيها : «إن استخدام الأفكار المسيحية والعلمانية الأوروبية المعادية للسامية في المطبوعات الاسلامية في ازدياد ، وإن المتطرفين الاسلاميين بدأوا يتحولون في الوقت نفسه بدرجة متزايدة إلى مصادرهم الدينية الخاصة ، وفي مقدمتها القرآن الكريم كمصدر أساسي في معاداة السامية» .

وقد اعترضت الدول الاسلامية الأعضاء في لجنة حقوق الانسان بشدة على هذه الفقرة ، وطلبت حذفها من التقرير .

من جانب آخر أقدم مستوطنون صهاينة على اقتحام مقامين اسلاميين ، في قرية غرب نابلس في الأرض المحتلة ، حيث

مزقوا نسخاً من القرآن الكريم كانت موجودة في المقامين ، والقوا أوراق المصاحف في الشوارع العامة .

وأفاد الأهالي أن هذا العدوان الآثم جرى على مرأى ومسمع من سلطات العدو الصهيوني ، وبعض أفراد الشرطة الفلسطينية ، الذين لم يحركوا ساكناً ، حيث اعتاد المستوطنون على اقتحام الأماكن الاسلامية المقدسة بين الحين والآخر ، والقيام بأعمال منافية للأخلاق والآداب العامة ، مصحوبة بالرقص الصاخب والصراخ والشتم والنيل من الاسلام والمسلمين .

وهدد الأهالي المسلمون بالجوء إلى خطوات تصعيدية ، ما لم يتم وضع حد لمثل هذه التصرفات الاستفزازية من قبل الصهاينة .

أما ما أقدم عليه الصهاينة أعداء الله وقتلة الأنبياء من نشر رسوم تستهدف الإساءة إلى رسول الاسلام ، وإلى كتاب الله الكريم في

الصهيوني ، وامتدت هذه الاحتجاجات لتشمل معظم المدن الفلسطينية .

أما على مستوى العالم الاسلامي فقد شهدت عواصم ومدن مختلفة من العالم مسيرات احتجاجية ضخمة ، واعتصامات احتجاجية على وقاحة الكيان الصهيوني ، وتبجحه بالإساءة للمقدسات الاسلامية ، وكانت في مقدمة تلك الدول الجمهورية الاسلامية الايرانية .

وأمام هذا ونظائره يتحتم على الشعوب الاسلامية وطلبتها الواعية ، أن تلهب أوار صحوتها ، وتنادي بالثأر لدينها وعقيدتها وكتابها ونبياها ، وتقف في وجه حكامها المتخاذلين ، خصوصاً أولئك السسائرين في ركب الاستسلام والخيانة والمهادنة مع العدو الغاصب ، من أجل أن يصححوا مسارهم ، ولا يفرطوا بدينهم أولاً وبشعوبهم ثانياً .

ولم يبق للمسلمين إزاء هذه الممارسات المهينة من اليهود

الآونة الأخيرة في الارض المحتلة ، فقد شكل عملاً إجرامياً وإساءة بالغة إلى أكثر من مليار مسلم على وجه الأرض ، ونقطة سوداء في سجل اليهود المتعصبين الحافل بالجرائم والموبقات على مر التاريخ ، حيث عثر على ملصقات صهيونية مسيئة للإسلام وللنبي محمد ﷺ ، توقيع حركة كاخ اليهودية العنصرية المتطرفة في مدينة الخليل ، وقد وضعت على أبواب المتاجر ، وألقيت نسخ منها على الطرقات . وقد كانت ردود الفعل كبيرة في داخل الأرض المحتلة وخارجها ، حيث أصدرت حركة حماس ، وحركة الجهاد الاسلامي ، وتحالف القوى الفلسطينية بيانات أدانت فيها هذه الجريمة الصهيونية النكراء ، ودعت إلى الاضراب والتظاهر احتجاجاً ودفاعاً عن المقدسات الاسلامية ، وبالفعل لبت الجماهير المسلمة في مدينة الخليل الدعوة ، وشهدت إضراباً شاملاً تخللته مظاهرات عنيفة ضد الاحتلال

إن الاعلان عن تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ ، ولو بعد عشرين عاماً ، هو انتصار لمبدأ الحق والعدالة ، ولصمود الأبطال من رجال المقاومة الاسلامية .

إن قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ صريح وواضح ، وهو ينص على الانسحاب الكامل لجميع القوات الصهيونية من الجنوب اللبناني ، دون قيد أو شرط ، إلا أن حكومة العدو أرادت أن تتخلص من هذا المأزق بإضافة شرط إلى القرار الدولي ، وهو وضع بعض الترتيبات ، إلا أن ذلك جوبه برفض أي اضافة إلى القرار ، واسقاط أي شرط يفرض على لبنان ، وهذا يعني أن الانسحاب الصهيوني من الجنوب اللبناني غير المشروط ، ليس فضيحة لاسرائيل فحسب ، وإنما هو فضيحة للهولة السياسية .

إن الورطة التي أوقعت اسرائيل فيها نفسها في الجنوب اللبناني ، أصبحت اليوم تهدد قواتها بفعل قوة واقتدار المقاومة الاسلامية ،

الحاقدين ، من سلب حقوقهم ، واغتصاب بلادهم ، وإهانة مقدساتهم ، إلا أن يتحدوا ويعلنوا حرباً وجهاداً ضد العدو الصهيوني ؛ لتخليص فلسطين من براثن الصهيونية ، مهما تكن التضحيات ، ومهما يكن الثمن ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ .

□ لبنان

المقاومة الاسلامية اللبنانية

أركعت الصدق

بلغت الهزيمة النفسية في صفوف الجيش الصهيوني قمتها ، نتيجة لصلابة المواجهة التي تبديها عناصر المقاومة الاسلامية اللبنانية ، وخصوصاً قوات حزب الله ، الذي أصبح النذ الأكبر لصلابة ضد التعتت الصهيوني ، بحيث أدى هذا الإصرار إلى أن يتنازل نتياهو عن عنجهيته وغطرسته السابقة ، ليعترف أمام الرأي العام باستحالة مواجهة المقاومة الاسلامية اللبنانية في الجنوب .

استخدامه لكل الوسائل من أجل إبعاد هذا الشبح عن أفراد قواته ، من خلال وسائل الاعلام تارة ، والتكتم على خسائره تارة أخرى ، إلا أن النهاية كانت قاسية ، حيث شملت هذه الهزيمة النفسية كل أفراد الجيش الصهيوني ، وليس فقط الذين يوجدون في جنوب لبنان .

وبهذه الطريقة استطاعت المقاومة الاسلامية زرع الرعب والخوف في صفوف العدو ؛ وقد أكد على هذه الحقيقة كبار القادة العسكريين .

إن استمرار العمليات الجهادية للمقاومة الاسلامية تعني الإحباط النفسي للقوات الصهيونية .

إن ارادة وصلابة المقاومة الاسلامية في الجنوب اللبناني ، وتصديها للاحتلال بعزم صادق ، جعلت العدو يقع في ورطة حقيقية ، مما دفعه أن يجرب كل الأساليب الخبيثة من أجل القضاء على هذه المقاومة الاسلامية ، أو احتوائها على أقل تقدير ، من خلال زرع

التي استطاعت في فترة وجيزة أن تمنع عملاء اسرائيل من التغلغل بين صفوفها ، واختراق عملها العسكري .

إن تجربة المقاومة الاسلامية في الجنوب اللبناني ، أثبتت للعالم أجمع ، وللقات الصهيونية خاصة أن العدو مهما يمتلك من قوات عسكرية كبيرة ، ومعدات وأسلحة حديثة ، لا يمكنه أن يقهر ارادة الشعوب ، أو يتحمل ضرباتها الموجهة لقواته .

لذلك نرى العدو بدأ بخوض الحرب الخاطفة ، معتمداً على عنصر المباغلة والتقنية الحديثة ؛ لأن الحرب الطويلة المستمرة تكون دائماً محتاجة إلى المعنويات ، التي لا تتوفر في الجيش الصهيوني . ورغم اتباع هذا الأسلوب نرى العدو قد تكبد خسائر فادحة بالأرواح ، مما انعكس بشكل مباشر على معنوياته ، وبذلك حققت المقاومة الاسلامية هدفها المباشر ، وهو هزيمة العدو نفسياً ، رغم

الشريط المحتل ، لكن هذا الركوع - كعادة الصهاينة - لا يأتي إلا مغلفاً بالغطرسة والخبث ، فجاءت الموافقة الصهيونية على القرار ٤٢٥ تنطوي على أهداف خبيثة وخطيرة ؛ لأن الصهاينة لا يريدون الانسحاب إلا بعد فصل المسارين السوري واللبناني ، وقد أدرك اللبنانيون اللعبة الصهيونية بكافة أبعادها .

إن المقاومة الاسلامية التي برهنت خلال هذه الفترة الطويلة ، على إمكانية إلحاق الهزيمة بالجيش الصهيوني بقليل من السلاح ، ولكن بإرادة عالية وقوية مستمدة من قوة وعظمة الاسلام ، ستظل ذراعاً طويلاً لردع العدوان وحماية الجنوب اللبناني .

إن المقاومة الاسلامية لم تستخدم سلاحاً مادياً متطوراً ، بقدر ما كانت تقاتل بطراز أولئك الرجال الذين آمنوا أن طريق تحرير الأرض لا يتم إلا بالشهادة ، وهي أعلى درجات التحدي .

إن المقاومة الاسلامية أصبحت

العملاء ، أو تشكيل جيش لهم .

إن الدرس البليغ الذي أعطته المقاومة الاسلامية للصهاينة ، لا يمكن بأي حال من الأحوال احتواء انعكاسه الداخلية ، فقد استطاعت تحطيم معنوياته بدرجة كبيرة . وإذا أردنا أن نطالع الدراسات والبحوث التي قامت بها الأجهزة المختصة في جيش العدو ، نجد التحذيرات المتكررة من استمرار تعاظم الهزيمة النفسية ، نتيجة لدور المقاومة الاسلامية .

وقد شهدت اسرائيل في أوساطها العسكرية والسياسية والأمنية ، جدلاً واسعاً حول مخاطر الاحتلال الاسرائيلي للجنوب اللبناني على المدى الطويل ، ففريق يطالب بالانسحاب الفوري ، وفريق آخر يريد أن يكون الانسحاب مشروطاً .

وجاءت النتيجة وركع العدو ، وبدأ تنتياهاو أكثر تحمساً للخلاص من مأزق الجنوب ، لاسيما وإن الاخفاق العسكري قد ازداد في عهده على نحو كبير خصوصاً في

الشعب العربي المسلم ، فإنه لا يتورع عن استخدام شتى أنواع الأساليب الخبيثة والمحرمة دولياً ضد هذا الشعب .

ففي أحداث عام ١٩٩٤ م ، كانت مطالبة الشعب البحريني مطالبة سلمية ، تتلخص بمطلبين شرعيين ، هما إصدار دستور دائم للبلاد ، كبقية الدول الاخرى ، وإجراء انتخابات عامة تشمل جميع مرافق الحياة ، وهذه المطالب لو نظرنا إليها بتأمل وروية ، نراها مطالب مشروعة يمكن لأي شعب أن يطالب بها حكومته .

إلا أن ردّ هذا البريطاني المجرم بالتنكيل والتعذيب لأبناء الشعب المسلم البحريني ، وقتلهم في الشوارع ، واعتقال مجموعة أخرى وقتلها تحت التعذيب الوحشي ، أدّى أن تأخذ هذه المطالب منحى آخر هو أسلوب المواجهة مع الحكومة .

إن الذي يعايش الوضع المأساوي الذي وصل إليه

اليوم حقيقة فرضت نفسها على الجميع ، وأثبتت من خلال عملياتها النوعية ضد العدو المحتل ، أنها تستطيع أن تواجه باسم المسلمين الغطرسة الاسرائيلية ، وهذا مما جعل شعبيتها لا تنحصر في لبنان فحسب ، وإنما اتسعت وامتدت في جميع الدول العربية والاسلامية .

□ البحرين

إقالة هندرسون تلقى ارتياح وسرور الشعب البحريني

إن إقالة المجرم البريطاني إيان هندرسون من جهاز الاستخبارات ، وتعيين الشيخ خالد ابن سلمان الخليفة بدلاً عنه ، تعتبر خطوة جديرة بالاهتمام والمناقشة؛ إذ إن سجل هذا المجرم ، الذي كان يرأس جهاز المخابرات البحرينية ، مليء بالجرائم في حق الشعب البحريني . لقد استقدم إيان هندرسون من بريطانيا عام ١٩٧١ م ، ليكون على رأس المخابرات البحرينية ، وبما أنه لا يرتبط بأي صلة مع هذا

إن سجل هذا المجرم مليء بالموبقات بحق هذا الشعب ، حتى وصل الأمر إلى أن البريطانيين أنفسهم خجلوا من تصرفات هذا الزنيم ، وطالبوا بوضع حد لممارساته اللاإنسانية ، والمتمثلة بأبشع صور القمع الفردي والجماعي ، حتى اقترن اسمه بالأساليب الاستبدادية والديكتاتورية في البحرين .

ولازال الشعب يتذكر أساليب القمع الوحشية التي مارسها هذا المجرم ، عندما أمر بنزول الدبابات إلى الشوارع ؛ من أجل قمع الشعب المسلم الأعزل ، الذي راح أبناؤه ضحايا مخرجين بدمائهم ، إرضاءً لنزوات ورغبات هذا البريطاني ؛ لأن هذا الشعب كما يقول ليس شعبه ، فليذهب الجميع إلى الجحيم .

إن ممارسة الارهاب والقمع ما كانت في يوم ما حلاً أمام المطالب المشروعة ، بل هي العكس ، فإن شأن من يقوم بها كشأن من يصب الزيت على النار

البحرين في عهد هندرسون ، يدرك مدى ما وصل إليه إصرار هذا الشعب المسلم من أجل تحقيق أهدافه المشروعة ، بمطالبته بعودة العمل بالدستور ، ولو أدى ذلك إلى التضحية بالغالي والنفيس .

إن إقالة هندرسون لا يغير من الأمر شيئاً . صحيح أن الشعب البحريني تلقى نبأ الاستقالة بارتياح وسرور .

إن هذا الإجراء يدخل ضمن إلغاء انتهاكات حقوق الانسان ، وأساليب القمع التي كانت تمارس ضد أبناء الشعب ، وهذا ما اعترف به هندرسون نفسه ، عندما قال إنه استخدم شتى أنواع العنف والقوة ضد الشعب البحريني ، من أجل انتزاع الاعترافات من المعارضين ، ولكن ماهي هذه الاعترافات التي أدت إلى ازهاق أرواح الأبرياء ، الذي جعل منظمة العفو الدولية تسلط الأضواء على هذه الانتهاكات الواسعة ، التي تعرض لها الانسان في البحرين على يد هذا الجلاد البريطاني ؟

لخلق أعداء ومعارضين لها .
ومن هذا المنطلق فإن المشاركة
الجماعية من الأمور التي
لا نقاش في إيجابيتها ، ومن يسع
ضد هذا التيار الحضاري ، فهو في
حقيقة الأمر يعزل نفسه .

إن أحداث البحرين تكشف
بوضوح أن هذا الشعب المسلم
الواعي ، لن يرضى بعزل
هندرسون فقط ، فلا بد أن تسعى
الحكومة في المنامة إلى إيجاد
المناخ الملائم ، وتتقدم بخطوات
أكثر ايجابية .

□ أريتريا

قاعدة إسرائيلية لتحميد

الدول الإسلامية المجاورة

تقع أريتريا على البحر الأحمر
في الجزء الشمالي الشرقي من
إفريقيا . فتحها العثمانيون في
القرن السادس عشر ، ومن القرن
السابع عشر إلى القرن التاسع
عشر تنازع السيطرة عليها كل من
إثيوبيا والدولة العثمانية
والخديوية المصرية ، وفي سنة

لكي تتعالى ألسنتها ، فانتهاج تلك
الممارسات يلهب الحماس في
نفوس الشعب ، ولا يكون سبيلاً
لإخماد جذوة الانتفاضة فيها .

والحقيقة التي يجب أن يقال
هي أن إقالة هندرسون هي مطلب
شعبي أولاً ، وهي خطوة جديرة
من قبل الحكومة ، إلا أن هذه
الخطوة تبقى ناقصة إذا لم تتبعها
بخطوات ، من قبيل الانفتاح
السياسي ، والمشاركة الشعبية ،
وخاصة في القضايا المصيرية .

إن الحكومة في المنامة يجب عليها
أن تفكر في المرحلة اللاحقة من
أجل مستقبل البلاد ، وأن تتبع
أسلوب يلائم المرحلة .

إن المجتمع الدولي اليوم يسير
بخطوات سريعة ، إلى إيجاد السبل
الكفيلة لمشاركة الشعوب
السياسية ، من أجل جني مكاسب
كثيرة للحكومات وللشعوب على
حد سواء ، بعكس تلك الحكومات
التي تقوم بإبعاد الشعوب عن
ممارسة دورها الطبيعي ، فإنها
تواجه صدمات وخسائر نتيجة

١٨٨٥م ، سقطت تحت الاستعمار الإيطالي ، وظلت تحت هذا الاستعمار حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، حيث أصبحت عام ١٩٤١م ، تحت الانتداب البريطاني . وفي عام ١٩٤٥م ، قررت هيئة الأمم المتحدة منح حق تقرير المصير للمستعمرات البريطانية في إفريقيا . ونتيجة للصراع والأطماع الغربية في إفريقيا ، اتحدت أريتريا مع إثيوبيا في اتحاد فدرالي عام ١٩٥٢م ، ولكن الامبراطور الإثيوبي هيلاسيلاسي وجد في الاتحاد الفدرالي مجالاً لاستعمار أريتريا ، وجعلها إحدى مقاطعات إثيوبيا مخالفاً بذلك كل قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالاتحاد الفدرالي ، مما جعل الشعب بشكل عام والمسلمين بشكل خاص يحاربون قرار الإمبراطور بالضم ، وقدموا شكاوى إلى هيئة الأمم المتحدة ، ولكن عندما لم يجدوا آذاناً صاغية في الأمم المتحدة ، اضطروا إلى حمل السلاح في وجه الاستعمار

الجديد ، وأسسوا جبهة تحرير أريتريا في أيلول ١٩٦١م ، وهذه الجبهة تكونت نتيجة لجهود المسلمين عسكريين وسياسيين ، وتمكنت خلال فترة وجيزة أن تحقق انتصارات على القوات الإثيوبية ، مما اضطر الإمبراطور إلى الاستعانة بالمساعدات الأميركية والخبراء الاسرائيليين ، لتدريب فرق الكوماندوس التي قامت بحرق كل المناطق الاسلامية بدءاً من عام ١٩٦٧م .

وقد أدت حرب الإبادة إلى لجوء معظم المعارضة الاسلامية إلى خارج أريتريا ، مما يعني أن جبهة تحرير أريتريا حوصرت نتيجة لوحشية الإمبراطور هيلاسيلاسي ضد الشعب والثوار . وكانت جبهة تحرير أريتريا حتى السبعينات هي التنظيم الوحيد في أريتريا ، إلا أنه في أوائل عام ١٩٧٠م ، تأسست في أريتريا جبهة جديدة ، هي قوات التحرير الشعبية ، وهذا هو أول انشقاق عن جبهة التحرير

بمساعدة فصيل إثيوبي ، وقد تمكن من إخراج كل الفصائل الأريتيرية من الساحة في آب ١٩٨١ م .

ومنذ ذلك الحين انفرد أفورقي في سيطرته على الساحة الأريتيرية.

انحلال ثورة جديدة

شعر المسلمون أن الدوائر الغربية لم تهتم بالقضية الأريتيرية، وذلك لأن حركة التحرير الأريتيرية الأم كانت تمثل في نظرهم المد الاسلامي ، لذلك تصاموا عن سماع أية شكوى وتعاموا عن لحاظ أية تطورات على الساحة الأريتيرية . إلا أنه بعد أن ظهر أفورقي في الساحة الأريتيرية بدأ الاهتمام الغربي ، وبدأت التطورات تسير لصالح عناصر صليبية يراود تسليم السلطة إليها ؛ لذا أنشأ المسلمون حركة إسلامية تسمى حركة الجهاد الاسلامي الأريتيري ، وذلك في عام ١٩٨٨ م ؛ لكي تقاوم هذا التوجه الجديد من جهة ، وتستعيد حقوق المسلمين

الأريتيرية ، ثم حدثت بعد ذلك انشقاقات داخلية أخرى .

وكان من ضمن الذين انضموا إلى قوات التحرير الشعبية أسيااس أفورقي ، وهو نصراني ، وقد نال ثقة كبيرة من أطراف دولية ذات مصالح خاصة في هذه المنطقة ، وقد مكّنه من أن يكون مسؤولاً على قوات التحرير الشعبية .

وكان أفورقي من العناصر التي تم تدريبها في الصين ، في دورات سياسية وعسكرية ، وبعد فترة تمكن من السيطرة على قوات التحرير الشعبية ، وأن يكون تنظيمًا جديدًا باسم الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا عام ١٩٧٦ م ، وحينها بدأ هذا الفصيل باتصالاته مع جهات أميركية وكنسية متعددة ، وعمل على إحداث الخلافات بين الجبهات الأريتيرية ، وعندما حسم الموقف العسكري لصالحه ، تمكن من الانقضاض على جبهة التحرير الأريتيرية الأم ، وقام بتصفية العناصر المسلمة ، والقضاء عليها

الدور الأميركي والإسرائيلي في أريتريا

تتحرك أريتريا بقوة لا تتناسب مع حجمها كدولة فقيرة متخلفة ، فهي تحتل جزءاً من اليمن ، وتهدد أمن السودان وجيبوتي .
والحقيقة هي أن أريتريا أصبحت في عهد أفورقي ، تحت إشراف الخبراء الأميركيين والإسرائيليين بشكل مباشر ، وهي عبارة عن أداة طيعة بيد إسرائيل ؛ ولهذا فهي تنفذ المخططات المرسومة لها ؛ وتدار جميع الإدارات الحكومية فيها من قبل أميركا وإسرائيل .

وما احتلالها لجزر حنيش في اليمن ، ولبعض أراضي جيبوتي ، إلا عبارة عن خطة إسرائيلية للسيطرة على البحر الأحمر .

وهنا تقع المسؤولية على عاتق الدول الإسلامية المجاورة ، من أجل افشال المخطط الإسرائيلي ؛ لأن إسرائيل تريد تحويل البحر الأحمر إلى بحر إسرائيلي ، ومن ثم تتحكم في كل من اليمن

المهدورة ، لاسيما بعد أن أُستُهدفوا في عقيدتهم ، من جهة أخرى .

وبعد فترة وجيزة من تأسيس الحركة ، دخلت في مواجهات مع جيش الجبهة الشعبية الأريتيرية التي يرأسها أفورقي .

وأهداف هذه الحركة الإسلامية هي الدفاع عن حقوق المسلمين ، وتربية الشباب تربية إسلامية ، وتعليمهم وتأهيلهم في كل المجالات . ولها مجاهدون في الداخل يحاربون ، وممثلون سياسيون في الخارج .

وقد استطاعت هذه الحركة الإسلامية من تعبئة الشعب ، وبخاصة المسلمين الذين يشكلون ٧٠٪ من تعداد السكان في أريتريا ، ضد نظام أفورقي ، كما أن هناك أفراداً عديدين من المسيحيين يعارضون النظام . وللحركة الإسلامية مواقع محصنة داخل أريتريا ، كما يوجد ساحل بحري يمتد أكثر من ألف كليومتر ، يمكن أن تقود منه هجماتها على جيش النظام الحاكم .

وقد ألغت الجامعات التركية منفصلاً القرار الذي يمنع دخول المحجبات والملتحين إليها ، بعد تواصل الاحتجاجات في تركيا .

ويبدو أن التنازلات التي أقدمت عليها الحكومة العلمانية التركية ، متعارضة مع تحذير الجيش العلماني (المدافع الحقيقي عن الأتاتوركية) ، من التراجع في مسألة منع ارتداء الحجاب الاسلامي .

في الوقت نفسه نلاحظ أن مجلس الأمن القومي ، الذي يسيطر عليه الجيش ، جدد دعوته لمكافحة الأنشطة الاسلامية في تركيا ، بعد عام من الحملة العلمانية التي أسقطت اول حكومة اسلامية في تركيا .

وفي الوقت نفسه يطالب حزب المعارضة الاسلامي الرئيس في تركيا ، بمزيد من المساعدات التي تقدمها الحكومة للأحزاب السياسية في تركيا .

وجاء على لسان زعيم المجموعة البرلمانية لحزب

والسعودية والسودان ومصر ولبنان .

☐ تركيا

الحجاب الاسلامي

يتحدى تعست العلمانية

أعلن رئيس الحكومة التركية في تصريح واضح ، أن الحكومة لن تطبق حظر ارتداء الحجاب الاسلامي على التلميذات في المدارس .

جاء ذلك ضمن مؤتمر صحفي، وقال إن نتائج الاجتماعات التي جرت مع شركاء الائتلاف الحاكم ، قرر أن الحكمة هي عدم إرغام تلميذات المدارس على خلع الحجاب الاسلامي ، وخاصة في المدارس الدينية ، ويجب علينا احترام العادات الدينية المحلية .

علماً أن آلاف المسلمين في تركيا ، احتجوا على محاولة الحكومة التركية تنفيذ حظر في أنحاء البلاد ، على ارتداء الحجاب الاسلامي في المؤسسات التعليمية.

علماء الشيعة المسلمين الأتراك ،
ضد تصريحات المفتش العام
لمنظمة الشؤون الدينية التركية .

وطالب هؤلاء العلماء
باستحداث مقعد للمذهب الشيعي
في كليات العلوم الاسلامية في
كافة أنحاء تركيا .

علماً أن هذا الاحتجاج جاء
بسبب التصريحات النابية من قبل
عبد القادر سزكين ، المفتش العام
لمنظمة الشؤون الدينية التركية ،
والتي ضمنها ادعاءات فارغة
وكاذبة ، حول استلام علماء
الشيعة في تركيا رواتب
ومساعدات من قبل الجمهورية
الاسلامية الايرانية .

وقد فند العلماء المسلمين
الشيعة ادعاءات هذا المفتش العام ،
الذي يقول إن هناك أئمة ٣٠٠
مسجد للشيعة في شرق تركيا ،
يستلمون أموالاً من الجمهورية
الاسلامية في ايران .

صحيح أن هناك حوالي ٢٠٠
مسجد للشيعة في شرق تركيا ،
وأن أئمة هؤلاء المساجد فعلاً تلقوا

الفضيلة الاسلامي ، البديل عن
حزب الرفاه الاسلامي ، قوله : «إن
الأموال التي تقدم من الحكومة لا
تكفي ، قياساً بحجم الأموال التي
يريدها الاسلاميون» .

وقد أفرجت الحكومة التركية
مؤخراً عن أموال تقدر بأكثر من
٢٨٢ مليار ليرة تركية ، لحزب
الفضيلة الاسلامي الذي أنشئ
حديثاً ، ليخلف حزب الرفاه
الاسلامي المحضور بأمر من
المحكمة الدستورية ، بدعوى أنه
خالف التعاليم العلمانية
الأتاتورية ، وقام بأنشطة تهدد
النظام العلماني .

علماً أن الجيش ، ضمن
سياسته العدائية للاسلاميين ،
لا يزال يمارس أنواع الضغوط ،
فهو يقوم بين الفينة والأخرى
بتسريح الضباط العسكريين ،
الذين يدعى تعاطفهم مع المنظمات
الاسلامية ، أو مع الاسلاميين .

احتجاجات علماء المسلمين

الشيعة الأتراك

صدرت عدة احتجاجات من

الكرواتى تيتو ، الذى نهج منهج الشيوعية ؛ وبذلك خضعت الأقاليم ومن ضمنها إقليم كوسوفو بسكانه المسلمين للنظام الشيوعى الجديد .

وفى دستور سنة ١٩٧٤م ، حاول تيتو معالجة المشكلة القومية فى الدولة اليوغسلافية ، حيث تم إعطاء إقليم كوسوفو سلطة الحكم الذاتى بشكل يتيح له المشاركة فى أجهزة الدولة والحزب ، أسوة ببقية الجمهوريات الست المكونة للدولة اليوغسلافية .

وبعد بروز بوادر تفتت الدولة اليوغسلافية فى نهاية الثمانينات ، قام الرئيس الصربى الحالى ميلوسيفيتش فى عام ١٩٨٩م بإلغاء حق الحكم الذاتى ، الذى منحه دستور عام ١٩٧٤م لإقليم كوسوفو ، وضم هذا الإقليم إلى جمهورية صربيا ، وتم فرض الطوارئ وتشديد قبضة الشرطة الصربية على الإقليم .

لم تهدأ الأمور بعد ذلك ، إذ عمد الألبانيون - سكان الإقليم

تعاليمهم الدينية فى الجمهورية الإسلامية فى إيران ، كبقية اخوتهم من الدول الإسلامية الأخرى ، ولكن هذا لا يعنى بأي حال من الأحوال ، أنهم يستلمون رواتب ومساعدات مالية من الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، وتعتبر هذه دعوى باطلة لا يسندها أى دليل ، الأمر الذى دفع أحد علماء مدينة إيغدير فى شرق تركيا ، أن يرفع دعوى قضائية ضد هذا المفتش العام لمنظمة الشؤون الدينية لدعواه الباطلة ضد علماء الشيعة فى تركيا .

يذكر أن جميع علماء المسلمين الشيعة فى تركيا يعتمدون فى معيشتهم بشكل أساسى ، على استلامهم للحقوق الشرعية من المسلمين الشيعة فى تركيا .

□ كوسوفو

الحماء الإسلامية تسيل من جديد

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، نشأت الجمهورية اليوغسلافية الاتحادية بقيادة

وقد حضروا طلاب الثانوية والجامعات من سكان الإقليم فصولاً دراسية في بيوت وأقبية ومكاتب خاصة ، حيث عمل المدرسون الألبانيون على تعليمهم بدون أجر أو بأجر رمزي ، وساعد كذلك قيام أكثر من ٣٠٠ ألف ألباني ممن غادروا الإقليم بتمويل هذه الجهود .

وفي عام ١٩٩٢م قام سكان الإقليم بانتخاب الكاتب إبراهيم روجوفا رئيساً لجمهورية الإقليم ، التي اعلنوها في تحدٍ جديد للسلطات الصربية .

وبعد اندلاع حروب الاستقلال الكرواتية والسلوفينية والبوسنية ، بين جمهوريات الدولة اليوغسلافية الاتحادية عام ١٩٩٢م، دخلت قضية إقليم كوسوفو منعطفاً جديداً ، حيث عمد الصرب إلى اتباع سياسة المراحل في تعاملهم مع سكان الإقليم ، فأخذت حكومة الصرب في أول مرحلة لها في إحلال سكان صرب محل السكان الأصليين من

الأصليين - إلى التظاهر والاحتجاج المستمر ، مما أسفر عن استمرار وقوع العديد من القتل والجرحى . وفي عام ١٩٩٠م قام سكان الإقليم بتنظيم استفتاء شعبي عام ، أسفر عن تأييد ساحق لدعوى الاستقلال عن صربيا ، والإعلان عن استقلال الإقليم .

ردت صربيا على هذه الخطوة بإصدار دستورها الجديد في نفس السنة ، الذي أخضع الإقليم بموجبه بصورة مباشرة لبلغراد . وفي عام ١٩٩١م قامت السلطات الصربية بإلغاء حق التعليم بالألبانية ، وإغلاق ٩٧٥ مدرسة ابتدائية ، و ١١٥ مدرسة ثانوية ، و ٢٠ كلية جامعية ، مما أدى إلى حرمان ٤٣٠ ألف طالب ألباني من التعليم ، وكذلك ١١٨ ألف مدرس من وظائفهم .

ورغم هذه الاجراءات التعسفية لم يستسلم مسلمو كوسوفو أمام هذه الهجمة الضارية ، بل تبنا نظاماً تعليمياً موازياً ، بعد أن قاطعوا التعليم الصربي الرسمي ،

السكان الألبانيين في هذا الإقليم ، مما أدى ذلك في النهاية إلى الإعلان عن وجود حركة مقاومة مسلحة ، بين عدد من سكان الإقليم باسم الجبهة الوطنية لتحرير كوسوفو ، وجميع أفرادها هم من الألبانيين .

وفي شباط من ١٩٩٨م اندلعت المظاهرات الواسعة بعد تدخل الجيش الصربي بالدبابات والأسلحة الثقيلة ، وقيامه بعمليات إبادة شاملة لما أسماه بمناطق وجود أعضاء الجبهة الوطنية لتحرير كوسوفو ، ومحاصرته لعدد كبير من قرى الإقليم وتدمير العدد الأكبر منها ، مما أدى ذلك إلى سقوط العدد الكبير من القتلى المسلمين ، وكذلك إلى نزوح مئات الأسر بعيداً عن منازلهم ؛ خوفاً من أعمال العنف والقمع الصربية .

والملاحظ أن المواقف الدولية متباينة من هذه القضية ؛ فروسيا تقف بشكل كلي مع الصرب بسبب عوامل كثيرة ، كوحدة التوجه الأرثوذكسي والوحدة العرقية

المسلمين الألبانيين ، بل قدمت تسهيلات كبيرة للصربيين الرغبين في الهجرة إلى الإقليم ، كما ساعدتهم على تشكيل ميليشيات مسلحة داخل الإقليم من أجل إرهاب السكان المسلمين الأصليين ، ودفعهم إلى الخروج من الإقليم ، في محاولة لإحداث تغيير ديموغرافي واسع على الأرض ، مما أدى ذلك إلى نزوح ما يزيد على ربع مليون من سكان الإقليم .

وفي عام ١٩٩٥م قامت الحكومة الصربية بتوطين الآلاف من صرب منطقة كرواتيا ، الواقعة في جمهورية كرواتيا الحالية في الإقليم ، بمؤامرة خبيثة ومحبوكة أظهرت فيها جمهورية صربيا هزيمة صرب منطقة كرايينا ، أمام القوات الكرواتية بشكل مفاجئ أثار دهشة العديد من المراقبين والمحللين السياسيين . وتواصلت أعمال القمع الصربي ضد مسلمي كوسوفو ، وبدأت أعمال مقاومة محدودة هنا وهناك من جانب

والعمل بمبدأ حق تقرير المصير للشعوب ، والالتزام بنتائج الاستفتاء الشعبي العام الذي أعلن مطالبته بالاستقلال لهذا الإقليم ذي الغالبية المسلمة .

☐ المجتمعات الغربية

التطلع للإسلام ومسؤولية

المفكرين الإسلاميين

يوجد إقبال شديد على اعتناق الاسلام في المجتمعات الغربية ، على الرغم من كثافة الحملات التشويهية لصورة الاسلام الحقيقية . الأمر الذي يكشف عن قوة أرضية للاستجابة له ، ولقيمه لدى الانسان الغربي . وقد ظهر في الأعوام القليلة الماضية العديد من الكتب والدراسات الإحصائية ، التي تحذر السياسة الغربية من آثار هذه الظاهرة ، على الهيكلية السياسية في بلدانهم .

وتفسير هذه الظاهرة مفهوم في ظل اتضاح عجز الكنيسة عن معالجة الأزمات المعنوية والروحية ، التي سببتها الحضارة

والمصالح الاستراتيجية ، وترى أن إبادة المسلمين في كوسوفو شأن داخلي لا يصح التدخل فيه من قبل أي دولة في العالم .

أما فرنسا وإيطاليا وألمانيا فهي تقف موقفاً رافضاً لاستقلال كوسوفو ، وذلك بادعائهم أنه سوف تتغير الخريطة في البلقان ، وينتج عنه تغيير في موازين القوى، ولكنها في نفس الوقت ترى أن لا بأس بالتباحث حول إعادة الحكم الذاتي للألبانيين ، الذي كان مُقرّاً منذ عام ١٩٧٤م في عهد تيتو. أما أميركا وبريطانيا فموقفهما فقط موقف دعائي ، لذلك لم يكن غريباً ألا تخرج تلك الدول بقرار واضح وعادل ومنصف في لقاء لندن الأخير .

إن حل الأزمة في كوسوفو يكمن في التوصل إلى صيغة ، يتم الاتفاق عليها بشأن المستقبل السياسي للمنحدرين من أصل ألباني ، عن طريق إجراء المباحثات السياسية للأطراف المعنية في جمهورية يوغسلافيا الاتحادية ،

الغربية فشلت في إشباع حاجاتهم الروحية ، وأدخلتهم في حروب طاحنة أكلت منهم الكثير بشرياً ومادياً ، وكل ذلك يؤكد أنه من الممكن أن يتحول المسيحيون إلى مسلمين ، وأن تتحول الكنائس إلى مساجد بسهولة ، إذا نجح المسلمون في تقديم الصورة الصحيحة لاسلامهم» .

إن أرضية تقبل الاسلام واعتناقه متوفرة لدى الانسان الغربي بشكل خاص ، والعالم الغربي بشكل عام ، والمطلوب هو عرض الصورة الصحيحة للاسلام عليهم .

إن الصورة التي يمتلكها العالم الغربي عن الاسلام اليوم ، هي وليدة الدعايات السياسية المعادية للاسلام والمسلمين ، والكتابات اليهودية ، أو الكتابات المتأثرة بالدعايات الصهيونية وسياستها المعادية للاسلام .

لذا فإن الموقف السلبي الذي نجده لدى بعض الأوساط الغربية تجاه الاسلام ، ليس هو في الواقع

الغربية لهذا العالم ، بسبب ترسيخها للنزعات المادية على حساب الطموحات المعنوية والاحتياجات الروحية .

وقد صدر كتاب جديد في أميركا يحمل عنوان أزمة الكنائس، للدكتور روبرت ووت ثاف ، أستاذ علم الاجتماع الديني ، تناول فيه الأزمة المالية التي تعيشها الكنائس في أميركا ، وقلة الإعانات المقدمة لها لأداء خدماتها ، ليصل إلى نتيجة مفادها، حسبما نقلته صحيفة نيويورك تايمز ، أن هذه الأزمة المعنوية هي بالدرجة الأولى ترجع إلى طبيعة نظرة الانسان الغربي الى الكنيسة، وعجزها عن تلبية احتياجاته المعنوية . ونظائر هذا الكتاب كثيرة، تصدر بين الحين والآخر داعية إلى تنشيط دور الكنيسة في الغرب ، لمعالجة هذه الاحتياجات .

يقول المفكر الألماني مراد هوفمان الذي اعتنق الاسلام : «إن الشعوب الغربية أصبحت موقنة ومؤمنة اليوم ، أن الحضارة

لتقبلها .

والنقطة المهمة في تصريحات الاستاذ مراد هوفمان ، هي تأكيده على ضرورة أن يقوم المسلمون بأنفسهم بهذه المهمة ، وهذا مطلب طبيعي ؛ لأن مصادر معرفة الاسلام الأخرى عاجزة من القيام بهذه المهمة ، فلا يمكن أن نتوقع منها أن تقدم الصورة النقية للاسلام ، بل على العكس ، فإنها قد تستغل لترسيخ الصورة المشوهة ، التي هي إما من نتاجات الأصابع اليهودية ذات الدوافع السياسية ؛ وإما من نتاجات الغربيين الماديين ، وإما من نتاجات المستشرقين الذين أثبت الكثير من الدراسات الحديثة ، أن دراساتهم لم تكن بعيدة عن الأهداف السياسية لحكوماتهم ، خاصة وأن معظمها يرجع إلى بدايات الاستعمار الغربي للبلدان الاسلامية ، وقد ارتبط بأهداف هذا الاستعمار يضاف إلى ذلك أن معظم نتاجات المستشرقين خلطت بين المراجع الأساسية لأحكام

ضد الاسلام الحقيقي ، بل هي ضد الصورة المشوهة التي روجتها الدعايات المعادية له ، وبعبارة أدق إن هذه الحالة وليدة الجهل بالاسلام وبقيمه وأحكامه الأصلية.

فإذا اطلعوا على الصورة السليمة للاسلام الواقعي ، زالت هذه الحالة من المواقف السلبية ، وأقبل الغربيون على الاسلام ، كما شاهدنا ذلك من خلال مواقف الذين اعتنقوه . ومن المؤكد أن هؤلاء أحرص من غيرهم على التأكيد على ضرورة توضيح صورة الاسلام الحقيقية للشعوب الغربية ؛ لأنهم أدركوا الفاصلة الكبيرة بينهما وبين الصورة المشوهة ، التي عرضتها الكتابات الدعائية الصهيونية ، أو السياسة الغربية عن الاسلام للعالم الغربي ، والانسان الغربي ، ولذلك لاحظنا المفكر الالماني مراد هوفمان يؤكد على ضرورة تقديم هذه الصورة الصحيحة للشعوب الغربية ، مشيراً إلى استعدادها القوي

وسياساتها ومصالحها المخالفة للقيم الإسلامية ، وكذلك من أسر اجتهادات فقهاء السلاطين الموروثة .

✻ فرنسا

محاكمة الفكر ومحاصرة الرأي

ارضاة للصهاينة

تمكن العدو الصهيوني بوسائله المالية والاعلامية من خلال اللوبي الصهيوني ، وعبر العالم الغربي والأميركي ، من حمل هؤلاء على تبني خرافاته وادعاءاته حول الجرائم التي يزعم أن اليهود تعرضوا لها على أيدي النازيين ، وقد نجح هذا اللوبي من تأسيس ثقافة ضخمة خاصة بالمذابح النازية التي حاقت باليهود ، واستطاع هذا العدو أن يجعل من هذه الخرافات والادعاءات جداراً مقدساً لا يمكن المساس به ، بل الاقتراب منه .

وعندما شكك الفيلسوف الفرنسي المسلم رجاء غارودي بالمزاعم الصهيونية ، وذلك من

الاسلام وتعاليمه وقيمه ، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وبين آراء الفقهاء (فقهاء السلاطين) ، أو ممثلي الاسلام الحكومي ، وهو بلا شك غير الاسلام الحقيقي في معظم عصور التاريخ الاسلامي .

وقد مثلت آراء هؤلاء تجاوزاً على قيم الاسلام النقية ، واستهدفت تبرير أخطاء وسوءات الحكام ، ولو اقتضى ذلك طمس معالم الاسلام الأصيل ، فأخذ المستشرقون آراءهم على أنها آراء الاسلام ، تدفعهم لذلك خلفياتهم وقناعاتهم الموروثة ، وهي غير إيجابية تجاه الاسلام في الغالب .

من هنا تتضح حقيقة أن المسؤولين الأول عن عرض الصورة الحقيقية للاسلام على الشعوب الغربية ، هم المسلمون أنفسهم ، وبالتحديد الفقهاء والعلماء الرساليون ، والمفكرون الاسلاميون المتحررون من أسر الخضوع لتوجيهات الحكومات ،

خلال كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية) ، ثارت حفيظة الصهاينة ، وعملوا على تنظيم سلسلة من المحاكمات والمصادرات السياسية للمعادين للصهيونية داخل فرنسا وخارجها. إن وقوف الفيلسوف المسلم غارودي أمام القضاء الفرنسي ، هو وصمة عار في تاريخ فرنسا الحديث ، التي تدعي أنها عاصمة النور ؛ لأنها تحاكم الفكر بالخرافة ، وتحاصر الرأي بالعنصرية .

إن هذه المحكمة هي حلقة من حلقات الحرب الحضارية التي يستخدمها الصهاينة ضد الاسلام والمسلمين ، وكذلك وجه من وجوه تلك المصاديق التي تترجم يومياً في الأرض المحتلة ، حيث المحاولات الصهيونية لتدمير هوية الشعب الفلسطيني المسلم ، عبر المطالبة بسحق وتدمير البنية التحتية لطلائع الاسلامية ، وكذلك عبر تعطيل وتدمير المقدسات في حياة هذا الشعب ، إضافة إلى السحق الاقتصادي والنفسي

وتهويد الأرض .

إن هذه المحاكمة تشكل تحدياً للاسلام ، لكون الذي يحاكم هو الفيلسوف غارودي الذي يعدّ أحد رموز الاسلام في الغرب ، وكذلك هي تحدّ لمفاهيم ممارسة الرأي والحريات في تلك الديمقراطيات التي تتبجح بها على الآخرين . وإلا فان غارودي لم يُسئ لليهودية ديناً ، وإنما كشف واحدة من أساطير الصهيونية التي تستند عليها السياسة الصهيونية في الأرض المحتلة ، وتبرر على أساسها ذبح وقتل وتدمير وتشريد شعب بكامله هو الشعب الفلسطيني ، والثابت تاريخياً أن ما أدّعاه الصهاينة من مزاعم المحارق التي تعرضوا لها على أيدي النازية ، ليست صحيحة ، وإنما فيها تهويل ، فالصهاينة يقولون إن ستة ملايين يهودي قتلوا على أيدي النازيين ، والصحيح أن الذين تعرضوا إلى هذه الممارسات كانوا عدداً قليلاً من اليهود . علماً أن هذه

الروحي بيار عندما دافع عن غارودي ، فقد تعرض إلى حملة عارمة من قبل المؤسسات الفرنسية ، التي يسيطر عليها الصهاينة الفرنسيين ، فقد أدانته جمعيات الناجين من المعسكرات النازية ، والكنيسة الفرنسية ، وكذلك المنظمات المعادية للعنصرية ، وانتقدته حتى الجمعية الخيرية لمساعدة المشردين التي أسسها بنفسه ، كما استبعدته رابطة «ليكرا» من لجنّتها الفخرية .

إن هذه المحاولات الصهيونية تصب في إطار واحد ، هو تأكيد دعوى سيادة الصهاينة على البشر، تمهيداً لتحقيق الهدف السياسي الذي يطمحون إليه ، وهو إخضاع البشرية والعالم الاسلامي خصوصاً ، واستغلالها واستعبادها ، فقد دأبوا على ضرب قدسية الاسلام ومقدساته ، فتمزيقهم للقرآن الكريم ، وتحريفهم لآياته ، وتدنيهم لأماكن العبادة ، ممارسات معروفة

الممارسات تمت بالتنسيق بين أقطاب الصهيونية والنازيين ، من أجل طرح فكرة الصهيونية عالمياً ، واستدراج عطف العالم من خلال تلك الممارسة ، ليصار إلى ترجمتها على أرض الواقع فعلياً بإقامة كيان للصهاينة في فلسطين. والملاحظ أن غارودي لم يكن الوحيد الذي شكك في مزاعم الصهاينة ، وإنما هناك أشخاص في فرنسا شككوا في هذه المزاعم، منهم البروفيسور هنري روك ، والبروفيسور روبير فريسون ، وكذلك الأب بيار الذي دافع عن غارودي .

إن محاكمة غارودي هي في الحقيقة محاكمة لكل مفكر أو باحث أو محقق تاريخي ، يريد التقرب من الأساطير الصهيونية ، وكشف محتواها الهزيل ، والمصطنع من قبل الصهاينة ، وتعتبر سوط الإرهاب الفكري الصهيوني لكل من يفتح فمه ضد الأساطير الصهيونية . وخير شاهد على ذلك ما تعرض له الأب

□ الفاتيكان

يصدر وثيقة اعتذار لليهود

تحت عنوان نحن نتذكر

اعترف الفاتيكان باسم المسيحيين الكاثوليك في العالم ، بما يسمى بأخطاء المسيحية بتسهيل جرائم هتلر ضد السامية ، ولكنه في المقابل برأ البابا بولس الثاني عشر من الاتهامات التي وجهت إليه اثناء الحرب العالمية الثانية ، من أنه أغضض العيون عن المذبحة التي أقامها النازيون بستة ملايين يهودي .

ونصت وثيقة الفاتيكان المؤلفة من اثنتي عشرة صفحة ، والتي كان البابا يوحنا بولس الثاني قد سبقها بموقف مماثل ، لكنه كان موقفاً شخصياً ، وكذلك بعض الكنائس الأخرى كالكنيسة الأميركية ، والكنيسة الفرنسية ، وعدد من الكنائس الأوروبية الأخرى ، نصت على أن الفاتيكان ينفي بعمق لما أسماه بالأخطاء والذنوب التي اقترفها مسيحيون عديدون خلال المحرقة ، واعترف بأن معاداة السامية شرعت

من أجل تدمير العالم الاسلامي فكرياً وحضارياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ومن ثم تحقيق الحلم الصهيوني بإقامة اسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل .

ونقول للمسلمين ولكل انسان شريف : إن الغرب وفرنسا بالذات وقفت ، ممثلة بكل مؤسساتها وحكوماتها ورؤسائها ، بالأمس تدافع عن المرتد سلمان رشدي ، وعن آياته الشيطانية ، واعتبرتها ممارسة للفكر وحرية الرأي ، رغم إساءته لمقدسات المسلمين واستخفافه بها ، بينما نراها اليوم تحاكم غارودي رغم أنه مارس حرية الفكر والرأي إزاء قضية تاريخية لا تستناسب إطلاقاً وحساسية وخطورة قضية المرتد سلمان رشدي .

إن هذا التناقض في الموقف يكشف عن عورة هذه الديمقراطية التي نضعها امام عين كل منصف ، ليحكم بنفسه على القوانين الغربية التي تكيل بمكيالين .

وقد ورد في الوثيقة حرص الفاتيكان على التوقف أمام تلك الدعاوى ، ونفي التهمة الموجهة من قبل بعض المؤرخين الصهاينة أو أذئابهم ، بضلوع الفاتيكان بتلك الجرائم ، فأكدت الوثيقة أن الكنيسة الكاثوليكية ، كانت تقف على الدوام في وجه تلك الصيغة المتشددة في معاداة السامية ، باعتبارها تعمل على إزالة جنس من البشر .

وحدث وثيقة الفاتيكان التي طال انتظارها من جانب اليهود ، على تناسي الاعتقاد التاريخي أن اليهود هم الذين صلبوا السيد المسيح ﷺ ، ضمن دعواتها إلى إزالة كل نوع من التفرقة العنصرية أو العرقية لأي جنس أو شعب ، في أي مكان أو زمان في هذا القرن .

وفي هذا الإطار شجبت الوثيقة صنوف العنف في أماكن كثيرة من العالم ، ذكرت منها أرمينيا ، وكرواتيا ، وآسيا ، وإفريقيا ، حيث جاء في ختامها أن المسيحيين لا يستطيعون أن ينسوا كذلك مأساة

واستمرت قروناً بواسطة مسيحيي أوروبا ، الذين عملوا على تشغيل ماكينة الموت النازية ، حسب تعبير الوثيقة .

ويعبر الفاتيكان في الوقت نفسه عن الأمل في ألا تتكرر المذبحة أبداً مرة أخرى .

والوثيقة التي أصدرها الفاتيكان تحت عنوان نحن نتذكر تحمل اعتذاراً واضحاً وصريحاً لليهود عما اقترف ضدهم من مجازر ، وإن كانت الحقيقة التي أكدها مؤرخون منصفون ، هي أن المسألة مبالغ فيها إلى حد كبير ؛ وذلك لغايات سياسية استطاعت القوى الصهيونية توظيفها لمآربها الخاصة ، كما أثبت ذلك الفيلسوف المسلم غارودي في كتابه ، الذي حوكم بسبب ما ورد فيه من حقائق وأرقام وتحليلات مقاربة للواقع ، خلافاً كما يشيحه مؤرخون وقعوا تحت التأثير الصهيوني ، تحاول الأوساط الصهيونية إشاعته على أنه حقائق نهائية ، لا تقبل الدحض فضلاً عن النقاش .

عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر» ، بل على الرغم مما تمتلئ به أعمال الرسل من اتهامات صارخة ضد الإسرائيليين .

وفكرة تبرئة اليهود ليست وليدة اليوم ؛ إذ يعود تأريخها إلى أواخر الستينات من هذا القرن ، وقد تمخض هذا الموقف عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، لتبرئة اليهود من قتل السيد المسيح ، واعترف الكرسي البابوي بالكيان الاستيطاني الصهيوني في فلسطين المحتلة .

والكاردينال الألماني أغسطين بيا ، الذي صاغ هذا المشروع ، هو أيضاً صاحب الإشارة بتعديل ما ورد في صلاة الأحد ، من أن اليهود هم الشعب العاصي ، بل إنه يندفع في تبرئة اليهود من دم السيد المسيح ، بأن يحتمل البشرية جمعاء مسؤولية موته .

أسباب هذا التودد لليهود

إن التودد الذي يبديه الفاتيكان لليهود من منتصف الثمانينات ،

الشرق الأوسط ، التي تعيش في ظروف نعلمها جميعاً جيداً حسب تعبير الوثيقة .

وقد جاءت هذه الوثيقة تتويجاً لسياسة دأب على اتباعها بابا الفاتيكان الحالي يوحنا بولس الثاني ، منذ الأيام الأولى لتوليهِ الموقع الأول في حاضرة الفاتيكان أواخر السبعينات .

والوثيقة التي أصدرها الفاتيكان تأتي بعد مخاضات عسيرة ، شهدتها الساحتان الأوربية والأميركية بكل ما حفلتا به من مراجعات ، وجدل محتدم حول العديد من القضايا المطروحة للنقاش ، وخاصة ما يتعلق بمسؤولية اليهود أو تبرئتهم من دم السيد المسيح ﷺ .

والموقف الواضح هو إصرار التيار المتعصب في الفاتيكان على تبرئة اليهود من دم السيد المسيح ﷺ ، قادة وحكاماً وشعباً ، على الرغم مما نقرأه في إنجيل لوقا : « فقام كل جمهورهم وجاؤوا به إلى بيلاطس ، وابتدأوا يشكون

والحقيقة هي تغلغل القوى الصهيونية في أروقة القرار البابوي ، وسر هذا التحول المتعصب وكيفية اختراق معقل البابوية العتيد ، هو أن الصهيونية المتمركزة في الولايات المتحدة الأميركية والمحركة لها ، قد اعتمدت على المسيحيين الأميركيين لتنفيذ مآربها ، خاصة وأن البابا يمثل السلطة العليا ، وأي تغيير أو تعديل لابد أن يمر عبر البابا ، ومن هنا استطاع هرتزل أن يجد مدخله للاحتيال وفقاً لما أورده في مذكراته : «منذ حوالي عامين أردت أن أجد حلاً للمسألة اليهودية ، بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية على الأقل في النمسا أردت التوصل لمقابلة البابا ، بالطبع بعد التأكد من تأييد رؤساء الكنيسة النمساوية ، ومخاطبته بما يلي : ساعدونا ضد المعادين للسامية ، وأنا أقود حركة كبيرة لدخول اليهود الحر المستقيم في المسيحية» .

في الوقت الذي يواصل فيه

يقول عنه الأب سلوم سركيس ، وهو أحد القساوسة اللبنانيين : «معلوم أن الضجة التي أثارت في المجمع الفاتيكاني الأخير ، حول نص خاص يتوود إلى اليهود كثيراً، ما حاولوا تبريرها بأن البابا يوحنا الثالث والعشرين هو الذي أوحى بل ألحّ بالمشروع .

والواقع أن أيّ روح مسيحية لا يمكن أن ترضى بما كانت النصوص الكنسية تورده ، من لعنات على اليهود نهار الجمعة العظيمة ، مادام اليهود لا يمكن أن يكونوا مسؤولين عن قتل المسيح ، ومادام الذين سعوا في قتله كما يشهد الإنجيل هم رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، لا الشعب بجملة ، فإن يأمر البابا بتصحيح النصوص انسجاماً مع روح المسيحية وواقع التاريخ شيء ، وأن يطبل الكرادلة وتزمر الصحافة تصنعاً وبهتاناً ، فيما يشرد الفلسطيني ويقتل ، ويدوس الصهاينة قبر المسيح ذلك شيء آخر» .

يتولّى أية مسؤوليات كنسية نظامية . وهذا مثال واحد من أمثلة عديدة .

في المقابل يحاول بعض الكتاب اليهود أن يرسخوا عقدة الذنب لدى الغرب المسيحي ، بتضخيم العداء المسيحي المزعوم لليهود ، مع العلم أن الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في أوروبا ، منذ القرون الوسطى حتى الحرب العالمية الثانية ، لم يكن سببها الأساسي معتقدات اليهود الدينية ، وإنما ممارساتهم العدائية والطغرافية في المجتمعات التي آوتهم ، وكذلك استغلالهم لثروات الشعوب .

والواقع أن الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في أوروبا ، كانوا هم المسؤولين عنها بالدرجة الأولى ، وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني اليهودي «موريتز الازاروس» عندما قال : «إن السؤال المركزي عند اليهود هو : لماذا يضطهدنا الآخرون ؟ والجواب يأتي دائماً : لأننا ارتكبنا

الفاتيكان تنازلاته لليهودية عبر العديد من الممارسات ، وخاصة في العقود الأخيرة ، نجد في المقابل أن اليهود يواصلون تنفيذ خطتهم لكبت الأصوات المسيحية الصادقة ، كما دأبوا على ذلك خلال هذا القرن ، حتى إنهم باتوا اليوم قادرين على تنحية الشخصيات الدينية المسيحية ، التي تجرأت على إعلان الموقف المسيحي المنصف والمحايد ، حيال ما يرتكبه اليهود الاسرائيليون في الأراضي المحتلة ضد المدنيين الأبرياء .

ومن رجال الدين المسيحيين القلائل ، ممن تجرأوا بصريح الكلام في أميركا عن حقوق المواطنين المسلمين في فلسطين ، القس فرنسيس ب ساير ، الذي أمضى سبعة وعشرين سنة في رئاسة الكتدرائية الوطنية في واشنطن ، ثم شغل عليه اليهود حملة شعواء ، وحالوا دون ترقيته إلى مطران ، بل انتهى به الأمر إلى حالة شبيهة بالتقاعد ، دون أن

إن الغرب أثار ضجة كبيرة ضد هذه الفتوى ، التي صدرت بحق شخص أساء إلى الذات الإلهية المقدسة ، وإلى الأنبياء تحت ذريعة الدفاع عن حقوق الانسان ، ووصف المدافعين عن هذا الحكم بالإرهابيين .

علماً أن الحكم الصادر بحق هذا المرتد قائم على أساس المبادئ الدينية والشرعية للإسلام.

إن الموقف ثابت بالنسبة للجمهورية الإسلامية الإيرانية ، وإن الفتوى مازالت نافذة المفعول ، ورغم الطلبات الأوروبية فإن الموقف الإسلامي الإيراني لم يتغير ولن يتغير حيال هذه القضية، ومن الناحية الشرعية أكد كبار علماء المسلمين أن الفتوى باقية بقاء المبادئ الإسلامية .

وقد استبعد المرتد سلمان رشدي احتمال إلغاء الفتوى خلال حديثه مع إذاعة بي بي سي ، وقيمت الإذاعة رأيه بأنه قريب للواقع . وقال رشدي في حديثه إن حياته مهددة بالخطر ، وإنه مازال

الخطيئة» .

وإذا ما أضفنا إلى ما تقدم ما يشاع عن وجود علاقة بين المخابرات المركزية الأميركية وبين بابا الفاتيكان ، وتنسيق الطرفين مع جهاز الموساد الإسرائيلي ، وخاصة فيما يتعلق بحالة العداء للإسلام ، باعتباره - حسب نظرهم - العدو الوحيد المتبقي الذي يتعين مواجهته الآن ، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفياتي . ولعل عمليات الإبادة التي اقترفها الصرب ضد مسلمي البوسنة ، هي إحدى مفردات هذا التنسيق .

□ أميركا

الإساءة المتعمدة للمسلمين

أكد الرئيس الأمريكي ، في دفاعه عن المرتد سلمان رشدي ، ضرورة الضغط على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، من أجل إلغاء الفتوى بهدر دم هذا المرتد ، كما جث على ضرورة العناية به وحمايته .

حيّز اشباع الإعلام الأميركي بأفلام ، الهدف منها سوق الرأي العام الاميركي إلى نفس الأنماط السابقة المسيئة للمسلمين .

وليست هذه هي المرة الأولى التي تتعمد فيها شركات هوليوود ، تكريس الأنماط الصورية المسيئة للإسلام ، فقد سبق أن سجلت هذه المنظمات الاسلامية اعتراضاتها على أفلام حازت شهرة واسعة .

وقد سبق أن نشرت هذه المنظمات الاسلامية العديد من التقارير الإحصائية ، التي أكدت تصاعد نسبة تسجيل الاعتداءات على العرب والمسلمين في أميركا بنسبة « ٣٠٠٪ » ، خلال السنوات الأخيرة وأن الترويج لمثل هذه الأفلام سيعمق أجواء العداء ضد المسلمين في أميركا .

الإساءة للإسلام من خلال الإساءة للرسول الكريم ﷺ

اكتشف أحد المسلمين الأميركيين عن طريق الصدفة ، أن تماثيل الزينة المصنوعة من المرمر ، في إحدى جوانب القاعة الرئيسية للمحكمة الأميركية العليا

بحاجة إلى حماية الشرطة ليلاً ونهاراً .

ومن ناحية أخرى يستمر الأمر في أميركا على الاساءة إلى الاسلام ، فقد أنتج فلم في هوليوود يسيئ للإسلام والمسلمين ، إلا إن وعي المسلمين في أميركا دفع بمنظماتهم الاسلامية إلى رصد ما يتم عرضه ، والعمل بشكل منظم لمعالجة الإساءة من خلال الحوار والبيان والاحتجاج .

وقد نجحت المنظمات الاسلامية الأميركية في تثبيت حفظها على أحد الأفلام المعروضة في شبكات التلفزة الأميركية ، والذي يتضمن العديد من المشاهد والمعاني المسيئة إلى المسلمين ، إلا أن هذه المنظمات الاسلامية لم تنجح في منع الفلم .

وعلى الرغم من أن الفلم لم يحظ برعاية إعلامية ، بسبب رداءة إنتاجه ، وسطحية القصة التي اعتمدها ، وكذلك تكرارها في العديد من المشاهد التي سبق أن عرضتها الأفلام الأميركية ، فإن المنظمات الاسلامية اعتبرته ضمن

بتصحيح النص المكتوب الذي يصف الرسول ﷺ بأنه مؤسس الاسلام ، باعتبار أن النبي محمد ﷺ هو آخر رسل الاسلام ، وخاتم الانبياء ، وبين المسلمون من خلال رسالتهم اعتراضهم بقوة على التجسيم ، ونحت الرسول بشكل تمثال بشري ، لتعارض ذلك مع الشريعة الاسلامية من جهة ، ولأن التمثال الذي يظهر فيه الرسول الكريم حاملاً القرآن بيمينه والسيف بشماله ، يولد انطباعاً سيئاً عن الاسلام ، يتوافق مع نمط التشويه الاعلامي الذي يشيعه الأعداء في الغرب في حربهم السافرة مع هذا الدين الحنيف وأتباعه ، من أنهم قد نشروا الاسلام بالقوة .

أما المحكمة رفضت كلياً الطلب الأساسي بإزالة التمثال أو تغيير معالمه ، معذرة بأعذار وتبريرات واهية ، ماعدا موافقتها على إجراء تصحيح طفيف في النص المكتوب ، باستبدال عبارة «مؤسس الاسلام» بعبارة «رسول الاسلام».

في واشنطن ، يضم تمثالاً يحمل اسم النبي محمد ﷺ ، وهو بهيئة رجل ملتج يحمل القرآن بيمينه والسيف بشماله ، وقد رافق التمثال كتابة جاء فيها : «محمد ٥٧٠ - ٦٣٢م هو مؤسس الاسلام . يعتقد المسلمون بأن القرآن هو كلام الله المقدس والموحي إلى محمد . القرآن هو مصدر القانون الاسلامي . تعاليم محمد شرعت وطبقت مبادئ القرآن» .

وقد أثار وجود هذا التمثال جملة من ردود الفعل لدى المسلمين الأميركيين ، تمخض عن اتفاق ست عشرة منظمة اسلامية أميركية ، على الرد بشكل مدروس على هذه الاهانة لشخصية نبي الاسلام ، الرسول الكريم ﷺ ، فقاموا بتقديم رسالة مفصلة إلى المحكمة الأميركية العليا ، مطالبين بإزالة التمثال أو تغيير معالمه ، بحيث لا يمثل هيئة بشرية ، ومنادين بضرورة احترام مشاعر المسلمين في أميركا ، وتجنب ما يسيء إلى معتقداتهم . وقد طالبت المنظمات الاسلامية أيضاً



مع قرأ، الاضليين

باب ننتفتح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقليين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء ، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● (رسالة الثقليين)

رسالة الوحدة الاسلامية

الانقسام والتفسخ في المشهد السياسي والفكري العربي والاسلامي العام ، ومحاولة تحريك وإثارة كل الإمكانيات والطاقات والمواهب المعنوية والمادية للأمة ، في مواجهة الاستكبار والصهيونية العالمية ، ومشاريعهم الخبيثة الهادفة إلى تفتيت المنطقة ، وإسقاطها سياسياً وأمنياً أكثر مما هي عليه الآن . لذلك إيماناً منا بخطر المرحلة

اسمحوا لنا بداية أن ننثني على الدور الثقافي والفكري الرائد الذي تقوم به مجلتكم الغراء ، في مجال المعرفة الاسلامية الأصيلة ، من خلال حرصها العميق على تكريس رسالة الوحدة الاسلامية ، والتمسك المبدئي الراسخ بعناصر القوة الروحية ، والمفاهيم التاريخية للأمة في مواجهة واقع

إننا نأمل استمرار التواصل
الفكري والثقافي فيما بيننا ، لما فيه
خير الأمة وتقدمها روحياً
ومفاهيمياً والله الموفق .

الأستاذ

نبيل علي صالح

اللاذقية - سورية

● (رسالة الثقلين)

هي سبيل لنشر المذهب الحق

ندعو الله أن يؤيدكم بنصره ،
ويبارك جهودكم المبذولة في
سبيل نشر المذهب الحق مذهب
أهل البيت عليه السلام ، ونود أن نخبركم
بأن مجلتنا رسالة الثقلين وصلت
إلينا ، وقد اثلجت صدورنا ،
وغمرتنا الفرحة والسرور ،
وأعجبنا بمواضيعها الهادفة
والمفيدة التي ترفع من مستوى
ثقافتنا الاسلامية .

لذا نرجو منكم دعمنا ثقافياً
وفكرياً ، وإمدادنا بالكتب
الاسلامية لكي نتسلح بها لمواجهة
اعداء الاسلام .

يحيى سليمان العفريت

المركز الصيفي للعلوم الاسلامية

اليمن

العصيبة التي نعيش راهناً ، ونظراً
إلى اهمية التحديات المصيرية
المشترعة على احتمالات عدة ،
وضرورة وعي الظروف
والمواقف والأدوار ، والارتفاع
الجدي المسؤول إلى مستوى دقة
وصراحة الموقف الاسلامي العام ،
من خلال وجوب حشد الطاقات
الفكرية الفاعلة في خط تحصين
الأمة ، والدفاع عن مقوماتها
ومقدراتها وشخصيتها الكيانية
الاسلامية المستقلة ، فإننا نرغب
في المساهمة المنتجة والتواصل
الثقافي الفعال مع مجلتكم العزيزة،
لذلك فقد أرسلت إلى مجلتكم
ضمن هذه الرسالة دراسة فكرية
عامة في مجال تاريخ اهل
البيت عليه السلام ، نأمل نشرها على
صفحات المجلة .

إننا نتمنى لكم المزيد من النجاح
والتوفيق والصبر ، لأننا نعلم تماماً
أن عملكم هذا صعب مستصعب ،
خاصة ونحن نعيش في عصر
شراء الأقلام وصكوك بيع العقول
وتأجير الضمائر .

● «رسالة الثقلين»

دونت عنوانها في قلبي

وقع مصادفة بين يدي عدد من مجلتكم ، وكانت فرحتي لا توصف به لكونه الأول من هذا الطراز ، ولأنه قد حيل بيننا منذ أمد طويل ، وسرحت مع هذا العدد طويلاً ليكون واحداً مما يحقق لي أحلامي المشروعة والمؤجلة منذ زمن طويل ، وهكذا دونت عنوانها في قلبي ، لكوني مقبلاً خلال الأيام القريبة القادمة على السفر إلى عمان ، عسى أن أتمكن من مخاطبتكم من هناك ، وعسى أن يجمعنا المولى جلت قدرته . أرجوكم وأسألكم بالله وبرسوله وبالعنرة الطاهرة الاهتمام بطلبي هذا . وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير ودمتم .

أبو كميل

المملكة الاردنية الهاشمية

* * *

● مواضع «رسالة الثقلين»

ينفتح القلب لها

تشرفنا بوصول مجلتكم الموقرة . وإنني أشكر لكم عطاءكم،

سائلاً المولى العلي القدير أن يأخذ بأيديكم لخدمة ديننا الحنيف ، والمسلمين قاطبة في كافة أنحاء المعمورة ، لما في المجلة من مواضيع مهمة في مختلف علوم اهل البيت عليه السلام ينفتح لها القلب ، وتطمئن بها النفس .

دعائي لكم وللعاملين في مجلة رسالة الثقلين بالتسديد والتوفيق في عملكم هذا انه سميع مجيب .

أبو أمين الأسدي
كرمنشاه - إيران

* * *

● «ارسلوا لنا رسالة الثقلين»

من أجل التفقه في الدين

أرجو منكم أيها السادة مساعدتي بإرسال بعض الكتب الاسلامية التي تزودني بالثقافة ، وتحقق رغبتي في الأخذ بأسباب المعرفة ، حتى نتمكن من المساهمة في تعليم من حولنا ، وتفقيهم في الدين ليهتدي الناس هنا في توغو ، ويتصدوا للحملات التبشيرية التنصيرية المعادية للإسلام والمسلمين .

أسأل الله أن يوفقكم لما فيه

نشر معارف وعلوم اسلامية
مستمدة من الكتاب والسنة .

واني بحاجة إلى مجلتكم القيمة
لأتزود من معارفها الغنية ، وما
فيها من الأخبار الاسلامية ، وكذلك
بهذه المناسبة أرجو منكم أن
تزودوني ببعض الكتب الاسلامية ،
التي تصدر عن مجمعكم المبارك ؛
كي تعينني على رفع مستواي
العلمي في الدين الاسلامي ،
وتحفظني أيضاً من أفكار وتقاليد
الغرب التي تحيط بدولتنا .

محمد إسحق سالف

بنين - شرق إفريقيا

* * *

● «رسالة الثقلين» تسامح

في توسيع الدعوة لأهل البيت (عليه السلام)

نحن هنا في هذه الجزيرة
جزيرة إندونيسيا من شيعة أهل
البيت (عليه السلام) ، وقليل العدد ، لذا نعتبر
من الغرباء ، إلا أننا ولله الحمد
مجتهدون في تحصيل علوم
ومعارف أهل البيت (عليه السلام) .
وأصحابنا اليوم معروفون
بالتقوى والصلاح ، مما جذب إلينا
أنظار الآخرين ، فلا تبخلوا علينا

خير الدين والدنيا ، وأن ينفع بكم
دائماً .

الطالب

شعيب محمد / توغو

* * *

● نتمنى لكم السعادة والمجلة

«رسالة الثقلين» النجاح

يسرنا أن نتقدم لكم بالشكر
الجزيل على ارسالكم مجلة رسالة
الثقلين ، التي سررنا بها كثيراً ،
وكذلك نشكركم على حسن
تعاونكم معنا ، ونتمنى لكم
ولمجلتكم كل السعادة والنجاح ،
وندعو الله تعالى أن يسبغ علينا
جميعاً من نعمه ، ويجزيكم أحسن
الجزاء على ما تبذلونه في سبيله .

عميد كلية أنوار الاسلام العربية

الهند

* * *

● اعجز عن وصف قيمة وأهمية

مواضيع رسالة الثقلين

عندما طالعت مجلتكم الرائعة ،
وجدت في طياتها دراسات
ومقالات ثقافية وفكرية رفيعة
المستوى ، يعجز اللسان عن
وصف قيمتها وأهميتها ، فبارك
الله فيكم على ما تقومون به من

بارسال مجلتنا رسالة الثقلين ؛
لأنها تساهم في توسيع الدعوة
لأهل البيت عليه السلام ، ومواجهة أعدائهم
الذين يجولون في المدن والقرى
من أجل بث سمومهم . علماً أن
نشاطنا هذا يحتاج إلى دعمكم لنا
بالكتب الاسلامية .

أملنا بكم كبير فلا تتركوا أيدينا
مكتوفة .

مصطفى بن يحيى المحضار
إندونيسيا

● ارفدونا بمجلة «رسالة الثقلين»

من أجل دعم مسيرتنا العلمية

إن مركزنا مؤسسة غير
انتفاعية ، يشترك فيها بعض
الأخوة المتطوعين من ذوي
الاختصاص ، وتهدف إلى القيام
بالدراسات الاستراتيجية
والحضرية والتخطيطية ، فيما
يتعلق بالمجتمعات العربية وطبيعة
تكوينها وعناصر هويتها المتميزة،
كما تركز هذه المؤسسة وتهتم
بالبحوث ذات الصلة بتطور
المدينة الاسلامية ، على الأصعدة
التخطيطية والمعمارية والتراثية .

نرجو منكم التفضل برفدنا

بمجلتكم ، وبقية إصداراتكم ذات
العلاقة ، دعماً منكم لمشروعنا
الناشئ ، ولمسيرتنا العلمية
المتواضعة ، وهي تخطو أول
خطواتها في طريق خدمة أمتنا .
ودمتم للعطاء الخير .

د . السيد علاء الموسوي
لندن

● «رسالة الثقلين»

نتاج فكر علماء المسلمين ومفكرهم
بدأت أقلب صفحاتها الواحدة
تلوا الأخرى ، فوجدتها قد شحنت
بنتاج أفكار علماء المسلمين
ومفكرهم . إنها والله مجلة
اسلامية جلية ، جامعة للغرائب ،
وقانصة للشوارد ، وكاشفة عما
غُشي عن الاذهان من مقام أهل
البيت ومنهجهم عليه السلام .

إن تلك الجوهرة الكامنة في
أصدافها تاقت نفسي لتحصيلها ،
فكُتبت إليكم رسالتي هذه راجياً
منكم تحصيل مطلبي ، وتحقيق
أمني ؛ لأنكم منتجع الداعي ومرمي
الطلب .

عبد القادر محمد بل
نيجيريا

رسالة الشغلين
مجلة إسلامية جامعة

قسمة
الاشتراك

الاسم

العنوان

المدينة

البلد

المهنة

مدة الاشتراك

ابتداء من

عدد النسخ

الاشتراك

السوي / لمدة ٦ اشهر

الاسم

الاسم

الجمهورية الإسلامية
في إيران (الطهران)

٨٠٠٠ ٤٠٠٠

دافعي دول العلف بالذولار
لأميركي

٣٠ ١٥
(أو ما يعادله)

يرافق الاشتراكي : إصك إصك بريدي | | حوالة بردية

أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الشغلين» الى العنوان التالي :

الجمهورية الإسلامية في إيران . طهران . ص. ب . ٣٨٩٩ - ١٤١٥٥

الاشتراكات

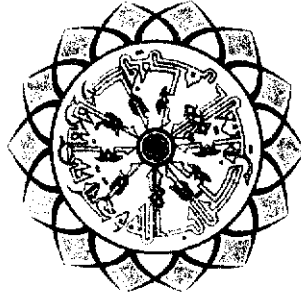
- في داخل الجمهورية الإسلامية تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٨٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :
- الجمهورية الإسلامية في إيران . طهران . بانك تجارت . شعبه سازمان آب . رقم الحساب الحاري ٣١٧ . ٢٥٦٣١ (بانك ريال) مجلة رسالة الشغلين
- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠١ دولارا أميركيا أو مايعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

1 - Bank Saderat, Hamburg 6232-32-3016

2 - Bank Mellat, Iran 11C/AC/120025 - 11C/A/120207

ثمن النسخة :

- الجمهورية الإسلامية الإيرانية ٢٠٠٠ ريال ■ العراق ١٠ دنانير ■ لبنان ٢٥٠٠ ليرة ■ سوريا ٥٠ نيرة
- الأردن دينار واحد ■ الكويت دينار واحد ■ البحرين دينار واحد ■ الإمارات ١٥ درهما ■ قطر ١٥ ريالا
- عمان ريال واحد ■ السعودية ٢٥ ريالا ■ اليمن ٣٥ ريالا ■ مصر ٧٥ قرشا ■ ليبيا ١٠٠٠ درهم
- السودان ١٠٠ جنيه ■ تونس دينار واحد ■ المغرب ١٥ درهما ■ الجزائر ١٢ دينارا.
- وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أميركية أو مايعادلها.



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol.7, No. 25, May - Jul. 1998

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى: لوحة فنية بخطي الثلث والديواني تتضمن :

قولاً للإمام الباقر عليه السلام .

الصفحة الثانية: لوحة فنية بخطي النسخ والإجازة تتضمن :

قولاً للإمام علي عليه السلام ، وبيتين للشافعي في مدح

أهل البيت عليهم السلام .